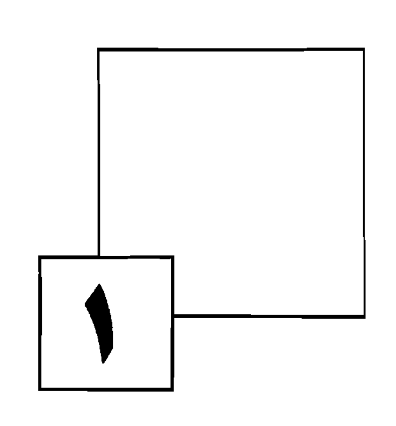
موسوعة العقيدة والأديان

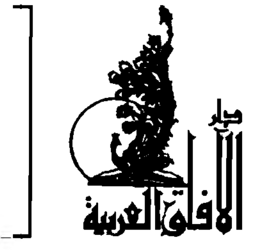


يوم القيامة

بين الإسلام والمسيحية واليهودية



أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

نشر - توزيع - طباعة

٥٥ - ش محمود طلعت - من ش الطيران

مدينة نصر - القاهرة

تليفون : ٢٦١٧٣٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤

E-mail : daralafk@hotmail.com

اسم الكتاب : يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية

اسم المؤلف : د. فرج الله عبد الباري

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١١٥٢٧

الترقيم الدولى : 5 - 088 - 344 - 977

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم حسن فرغل

لابد لنا في تقديم هذه الرسالة من إلقاء الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بموضوعها؛ لأن الموضوع الذي نعالجه يثار حوله - عمدًا - كثير من البلبلة والتشويش، وكثير من التجاهل المتعمد لمنهج البحث العلمي.

هناك سؤال مطروح الآن حول: علاقات الجدل العقدي بين الإسلام وأديان أهل الكتاب... يهودية أو مسيحية!.

هناك -مثلاً- فكرة طرحت فعلاً تصرح بأنه (من حق أي إنسان أن يتحدث - حتى بمنطق الجهل - في تمجيد دينه، وجنسه، وقومه، ولكن ليس من حقه أن يتحدث مهاجمًا دينًا آخر، ولا بد من تجريم ذلك بالقانون) [١].

وصحفي آخر يعتبر أن مجرد الإكثار من ذكر «الإسلام» يعد نوعا من الإثارة، إذ يقول عن بعض المتحدثين إنه (يطالب بسياسة إسلامية، وباقتصاد إسلامي، وبمجتمع إسلامي، وبقانون إسلامي، وبوحدة إسلامية، وبتنمية إسلامية، و... و... إلى آخر مشاكلنا بإضافة كلمة «إسلامية».. فمن غير المعقول ونحن على مشارف القرن العشرين أن ينادي أحدنا بهذا التعصب ليعيدنا إلى جاهلية العصور الوسطى..) [٢].

(١) اليوميات بالأهرام في ١٩٨٧/٣/٢٧م .
(٢) أخبار اليوم في ١٩٨٧/٣/٢٨م.

والسؤال المطروح علينا هو:

كيف يرسم قسم مقارنة الأديان - بكلياتنا ومعاهدنا - طريقه بين هذه المحاذير؟

١- أيكون ذلك بالانكباب على «الإسلام» دون تعرض لغيره؟

وإذن فكيف تتم المقارنة، وهي حق لأجهزة البحث العلمي على مستوى العالم، وهي ضرورة «داخلية» قائمة في نصوص الدين؟!

٢- أو بشرح العقيدة بكل أبعادها وعلاقاتها وملابساتها، مع المحافظة على الصلات الطيبة: وطنيًا واجتماعيًا وفرديًا، وبخاصة في الإسلام الذي يحرص على الأمرين معًا، حرية تامة في توصيف العقيدة والحكم عليها وعلى غيرها، دون أن يمثل ذلك نوعًا من الإثارة، كالذي توهمه نصارى نجران، إذ ذهبوا إلى رسول الله يعاتبونه قائلين: (مالك تشتم صاحبنا؟ قال: «ما أقول؟» قالوا: تقول: إنه عبد الله! قال: «أجل، هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فغضبوا)[(١)].

إذن فمجرد قول المسلم عن عيسى عليه الصلاة والسلام: إنه عبد الله ورسوله أثار غضبًا في الطرف الآخر.

فهل يمكن أن تدفعنا هذه الحساسية إلى السكوت عن تقرير ما هو صريح في الدين؟.

إذن فلتغلق معاهد الدين، ولتطمس صفحات من الكتب، وليكف القارئ عن تلاوة بعض الآيات...

ولا أظن أن هذا مقصود لعاقل من الناس...

نعم، فليكن الجدل بالحسنى...

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] في كثير من التفاسير، ومنها تفسير الآلوسي.

ولكن الجدل بالحسنى لا يعني طمس الحقيقة...

لأن الحقيقة سوف تعلن عن نفسها في نهاية الأمر، رضي الناس أم سخطوا.
والجدل بالحسنى في باب العقيدة - بالذات - لن يخلو قط من استعمال كلمات هي من نبات هذا الميدان ومفرداته التي لا غنى عنها، من قبيل هذا **«إيمان»** وهذا **«كفر»**، هذا **«مؤمن»**، وهذا **«كافر»**، هذا **«مصيره إلى الجنة»**، وهذا **«مصيره إلى النار»**.

فكيف يمكن أن يقال: انكبوا على أنفسكم ولا تتعرضوا للأديان الأخرى؟

وإذا كنا نريد أن نضع قواعد لمثل هذه الأمور فيجب أن نتقبل داخل هذه القواعد مثل هذه الأوصاف، ولا يصح أن تدخل في حساب الشجار أو في حساب الإثارة.

لقد كان ذلك هو الأمر دائمًا في تاريخ العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب في جميع العصور دون أن يستثير ذلك شعور أحد أو يستفز فكرًا أو يهدد أمنًا.

لتكن الحدود العقائدية حازمة بارزة كما يريدها الله تعالى، لا معنى إطلاقًا لتمييع هذه الحدود، لأن البعض وهو يعمل لتجنب الفتنة الطائفية يتطرق إلى هذه الحدود ويميعها، وهناك مقالات كثيرة تنشر يريد أصحابها أن يحققوا السلام الاجتماعي على حساب الحدود العقائدية، أو بالدخول في مساومات من أجل وضع ميثاق؟!!

إن الطريق إلى تجنب الفتنة الطائفية إنما يتحقق كما تحقق دائمًا في التاريخ الإسلامي.

فنحن لسنا مقبلين على تجربة جديدة، ولكن لقد حقق هذا المجتمع وحققت هذه الحضارة تجربتها، واستقرت الأوضاع، وساد السلام الاجتماعي دون مساومة أو تمييع بين العقيدتين، وأن السلام الاجتماعي لا يكون إلا بشريعة الله عز وجل التي تقرر أن لأهل الذمة ما لنا وعليهم ما علينا.

والحدود الأساسية التي قامت عليها هذه الرسالة تدور حول مسميات الدين

والإسلام والكفر بحسب ما تسمح به العقيدة الإسلامية.

اما عن استعمال كلمة «الدين» فإنها تاتي بمعنيين:

أ- بالمعنى اللغوي الشامل: الذي يشمل الصحيح من الدين وغير الصحيح، وقد جاء هذا في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى :٢١] وكقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون :٦].

ب - ولكنها تأتي في المقام الأول بالمعنى الخاص الذي لا ينطبق إلا على الدين الصحيح، وهو هنا ليس إلا «الإسلام» دينًا لجميع الرسل والأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ.

ذلك هو صريح قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩].

وفي ذلك جاء قوله ﷺ صريحًا: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد» متفق عليه.

وهنا لنا وقفة مع أهل الزيغ والضلال والجهل الذين كانوا - وما زال بعضهم - يعدد الأديان السماوية (الحقة).

فلما أثبتنا أنه ليس في «الحق» إلا دين سماوي واحد هو «الإسلام» اغتصبوا كلمة «الإسلام» ليلبسوها ثوبًا مرقعًا من «جميع الأديان» التي سبق أن ادعوا تعددها فقالوا: تلك الأديان «إسلام»!!

إنه إذا كان بعض هؤلاء ينوي أن يستغل حقيقة «وحدة الدين» بأن يجعلها وحدة تنطوي على «التعدد»، فيجرون بذلك مجرى التناقض الذي يقبلونه في عقيدة الألوهية نفسها، فإنه لا شأن لنا بهذا التحريف الذي لا تنتهي وسائله عندهم.

وحدة الدين المعلنة واضحة.

دين سماوي واحد.

دين فرد.

دين واحد فرد هو الإسلام لا غير.

يجب أن يكون واضحًا أننا عندما ننادي - في مجال الدين الصحيح بـ«وحدة الدين»، فإننا لا نقولها ثم نسكت ولكن نقول: (وحدة الدين عند الله: الإسلام).

إننا نسوق ذلك باعتباره مصطلحًا يعني الوحدانية ولا يعني الشمول.

ليس هذا وصفًا «جامعًا».

ولكنه وصف «مانع».

أإذا قلنا: وحدانية الله الفرد، الصمد، لننفي ألوهية فرعون، واللات، وبوذا... جاء من يقول لنا: لعلكم تقصدون وحدانية الله التي تجمع في داخلها فرعون واللات وبوذا؟

سبحان الله!

أي انحراف في المنطق هذا؟

وإنه لمما يبعث على الأسف أن رذاذًا من هذا المنطق المريض تسرب إلى أقلام تتعرض للحديث عن الإسلام.

فواحد من هؤلاء يعيب على الباحثين الذين دعوا إلى المفاصلة الكاملة مع أهل الكتاب ويقول ردًّا عليهم: (إن المسلمين في لغة القرآن هم المؤمنون بالله الواحد، وليسوا أتباع دين خاص...) [(١)] !!

وآخر مُعَمَّم - رحمه الله - في حديث له بالتليفزيون - بمناسبة الإسراء والمعراج - يعتبر أن ما جاء في حديث الإسراء والمعراج من قوله ﷺ عن لقائه بالأنبياء وأخوته لكل منهم «أخي موسى... أخي عيسى...» يعتبر أن هذا إعلان بالأخوة بين الإسلام والمسيحية؟!!

سبحان الله، أيجهل هؤلاء أبجديات العقيدة الإسلامية، وأن الإسلام لا يكون

---

(١) مقال الثلاثاء بالأهرام ١٧/٣/١٩٨٧م.

بغير الإيمان بالرسل، جميع الرسل ؟! ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة :٢٨٥] ؟!

إن بعض الباحثين - الذين نُكِنُّ لهم كل الاحترام - عندما يكتبون في مجالات تخصصهم تنزلق بهم الأقدام في هذا المقام.

إذ يخلط بعضهم بين المقامين اللذين فرقنا بينهما في استعمال كلمة الدين: كلمة الدين عندما يراد بها المعنى اللغوي العام الذي يشمل الصحيح وغيره، وكلمة الدين عندما يراد بها المعنى الخاص الذي لا ينطبق على غير الصحيح فيكون عندئذٍ خاصًّا بالإسلام.

يخلط بين الاستعمالين فيقتنص شواهد من المقام الأول يستعملها في خصائص من المقام الثاني، وعندئذ يعلن **«تعددية الأديان»** في نظر الإسلام [(١)].

وإذا كان لأحد أن يعلن **«تعددية الأديان»** في نظر الإسلام بالمعنى الأول- ما يشمل الصحيح وغيره- فإنه ليس له باسم الإسلام أن يعلن هذه التعددية بالمعنى الثاني الذي يقتصر على الصحيح ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩].

ولكن الطامة تصبح كبرى عندما يصرح بعضهم لا بتعددية الأديان التي يمكن تفسيرها بالمعنى الأول وتنتهي المشكلة، ولكن بـ **«تعددية الأديان»** التي لا تفهم إلا بالمعنى الثاني للدين، ويحسب هذا الباطل مفخرة من مفاخر الإسلام.

إن الاستقرار والتعايش وتجنب الفتنة لا يكون قط بمحاولات طمس الحدود ما بين العقيدتين، فهذا لا يرضي أيًّا من الطائفتين، لأنه يعتدى عليهما معًا.

لتكن الحدود العقدية حاسمة بارزة، كما يريدها الله، وكما يقررها الطرفان كل من جانبه.

أما الطريق إلى تجنب الفتنة فقد كان دائمًا وسيكون بضمان من شريعة الله التي

---

(١) انظر جريدة الوفد في أبريل ومايو ١٩٨٧م.

تعطي أهل الكتاب حقوقهم الاجتماعية كاملة بمقتضى «**الذمة**».

«**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**».

ومن هنا ساد الأمن والسلام والتسامح.

لقد بدأ تعامل الإسلام مع أهل الكتاب على شكل مناقشة لعقائدهم في مرحلة مبكرة من عهده المكي، كما تدل على ذلك سورة الفاتحة «**الآيات ١٤٦ من سورة الأنعام، ١٣٩ إلى ١٦٣ من سورة الأعراف، ٧٤-٩٣ من سورة يونس و ١٨ من سورة النحل، ١-٨ من سورة مريم، وفيها الرد على اليهود في افترائهم على مريم، ورد على النصارى في دعواهم بأن المسيح ابن الله، وآيات مكية أخرى كثيرة تعاملت مع أهل الكتاب على أنهم منحرفون في العقيدة قبل أن يهاجر النبي ﷺ** إلى المدينة.

وهذا الخط العقدي لا يعارض الخط القانوني الذي ظهر على شكل معاهدات بين المسلمين وأهل الكتاب، وقد نصت المعاهدة الأولى على حرية أهل الكتاب في ديارهم وعبادتهم وتعاملهم مع المسلمين، إذ جاء فيها: «**وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم**».

وعلى هذا المنوال جرت معظم المعاهدات بين أصحاب النبي ﷺ وبين أهل البلاد المفتوحة، حيث أعطت هذه المعاهدات لأهل الكتاب ولغيرهم الحرية العقدية والاجتماعية والاقتصادية.

ومعاهدة النبي ﷺ مع نصارى نجران هي المثل المحتذى، وقد جاء فيها أن الرسول ﷺ قد أعطاهم ذمة الله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعتهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعلى ألا يخسروا أو يعشروا، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقًّا فالنصف، على ألا يأكلوا الربا، فمن أكل منهم الربا فذمة محمد ﷺ منهم بريئة».

وهذا النموذج الرائع من التعاقد مع أهل الكتاب نراه في معاهدات خالد مع أهل

الحيرة، ومع أهل عانات، كما نجده في معاهدة عمر (رضي الله عنه) مع أهل القدس، ونجده في معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر.

أما ما عرف بالشروط العمرية، فقد تراوحت بين القبول والرد عند علماء المسلمين والرد هو الصحيح.

إننا نؤكد أن الحسم في قضايا العقيدة الصريحة الواضحة شيء والسلام الاجتماعي شيء آخر، وأنه يمكن الجمع بين الأمرين دون إخلال بواحد منهما، بل نقول: إن الإخلال بواحد منهما يضر بالآخر بالضرورة.

ومن هنا فإننا نقرر بوضوح الحدود الثابتة المعلومة من الدين بالضرورة، والتي نتخذها فيصلًا في دراستنا العقدية، ومقارنات الأديان [١]، وهي تتلخص في الأمور الآتية:

١- لا يطلق لفظ الدين - وكذا لفظ الشريعة - بالمعنى الحق المقبول عند الله إلا على الإسلام، وإن كان من الممكن إطلاقه بالمعنى اللغوي العام الذي يشمل الحق وغيره.

٢- الإسلام هو الدين الوحيد الفرد المنزل من الله تعالى على جميع الرسل، ابتداء من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ.

٣- الإسلام لا يعني التوحيد فحسب، وليس كل من كان موحدًا كان مسلمًا أو متدينًا بدين الله، ولكن دين الله - الإسلام - لا يكون إلا بالإيمان بالله ورسله جميعًا؛ بغير تفريق بين أحد من رسله.

٤- لا إسلام ولا دين مقبولاً عند الله بعد بعثة محمد ﷺ إلا بالإيمان به وباتباع كل ما جاء به.

٥- القرآن والسنة الصحيحة هما المصدران الإلهيان الوحيدان الموثقان اللذان يقاس إليهما كل خبر عن رسالات الأنبياء السابقين.

---

(١) أشرف أستاذنا الدكتور يحيى هاشم على رسالة دكتوراه بعنوان «تأثر اليهودية بالأديان الوثنية» للدكتور فتحي محمد الزغبي.

٦- ما عدا الإسلام فإنما هو ديانات وضعية بقي في بعضها بعض آثار من الوحي لا تعرف إلا بالقياس إلى القرآن والسنة.

٧- القرآن صحيح قاطع في وصف عقائد أهل الكتاب:

بأنها كفر، وبأنها شرك.

وبأن مصير أصحابها إلى الخلود في النار.

٨- الإسلام يسمح بوصف أصحاب هذه الديانات المخالفة بأنهم أهل كتاب ولا يسمح بوصف أديانهم بأنها سماوية.

٩- القرآن لا يقبل من أهل الكتاب - عقديًا - إلا من آمن بمحمد ﷺ واتخذه مهيمنًا على عقائده.

١٠-الإسلام قاطع في معاملة أهل الذمة بقاعدة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» مع بعض التفاوت في بعض الفروع، مما لا يضر بهذه القاعدة الكلية.

١١- إن هذه الأمور قطعية.

١٢- إن السلام الاجتماعي الحقيقي لا يتم إلا من طريقها.

وهو لا يمكن أن يتم بتحريف العقائد؛ لأن هذا التحريف مرفوض من جميع الأطراف.

والكتاب الذي نقدمه يُعد من أفضل الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع، ولا أبالغ إن قلت إنه بمنهجه يعتبر جديدًا على المكتبة الإسلامية وبعنوانه وبموضوعه يعتبر فتحًا جديدًا في علم مقارنة الأديان، إذ إن المؤلف لم يكتف بما هو مسطور في بطون الكتب بل ارتحل لمقابلة علماء الأديان - موضوع البحث - وحاور كلًا في دينه واستفسر منهم عن فهمهم لهذه القضايا،ولعل هذا الأسلوب في البحث يعيد إلى الذهن تلك الجهود الكبيرة التي كان يقوم بها الرعيل الأول من العلماء في البحث العلمي، والتي كانت تقوم على الترحال من

أجل التثبت والحصول على الحقيقة من مصدرها وإن كنت أُعرِّف القارئ بهذه الجهود التي بذلها المؤلف لألقى من خلالها ضوءًا على منهجية البحث، إلا أن هذا ليس غريبًا على المؤلف الذي أعرفه من خلال علاقتي العلمية به منذ كان طالبًا في الفرقة الأولى في كلية الدعوة الإسلامية بطنطا، حيث كان وقتها، ومن خلال منهجه العلمي في التلقي وجدليته المنهجية، يبشر ببزوغ نجم جديد في سماء الثقافة الإسلامية، ومدافع لا تلين له قناة في الذود عن حياض الإسلام الحنيف.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

أ. د. يحيى هاشم حسن فرغل

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فمنذ تفتحت عيناي على المعرفة وأنا شغوف بكل دراسة مقارنة بين شيء وآخر، وأجد متعة في الكشف عن أوجه الاختلاف والاتفاق بين الفرق والمذاهب، إلى أن شرفني الله عز وجل بالالتحاق بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا - حيث وجدت ضالتي في مادة مقارنة الأديان التي كانت تدرس لنا على مدى أربع سنوات - وكانت المؤلفات التي تدرس لنا تجذبني إلى فهمها وتحصيلها والحصول على أعلى الدرجات فيها، وظلّت رغبتي وحبي لعلم مقارنة الأديان ملازمة لي أثناء دراستي العليا، خاصة عندما كنا ندرس موضوعات المقارنة بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وقرأت عند بعض المؤلفين القدامى والمحدثين أن اليهود ليس عندهم بعث في التوراة ولفت نظري ذلك؛ إذ كيف يأتي دين من عند الله وليس فيه ما يتعلق بمصير الإنسان بعد موته.

ومما لفت نظري أيضًا ما قرأته عن النصارى من أن المسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة.

كل هذه الأشياء كانت تدور في خاطري أثناء دراستي العليا. وعند التسجيل للماجستير استخرت الله وعرضت على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم أن أسجل رسالة الماجستير في موضوع اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ولقد

شد من أزري وطلب مني أن أبحث عن هذه النقطة، وقمت بالبحث عن هذا الموضوع في كتب العقيدة والأديان، وشرح الله صدري لهذا الموضوع، خاصة أنني لم أجد مؤلفًا قد تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، فكتبت خطة عرضتها على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم الذي من الله عليَّ بقبوله الإشراف على الرسالة، فنقحها وصاغها صياغة علمية، وكان له الفضل بعد الله في تخطيط منهجها وتحديد أهدافها وإرشادي إلى مراجع البحث.

ولقد قسمت الرسالة في البداية إلى بابين: باب يتعلق بالاعتقاد باليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام، وباب يتعلق بأثر الاعتقاد باليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام.

ولكن بعد أن توغلت في البحث وجدت أن الباب الأول بفصوله ومباحثه يربو على الأرْبعمائَة صحيفة والباب الثاني يقترب من هذا. وكانت هذه مشكلة بالنسبة لي من ناحية الكم ومن ناحية الكيف؛ إذ إن البحث على الوضع المشار إليه يحتاج إلى فترة زمنية أكبر بكثير مما هو محدد له. وطرحت المشكلة على أستاذي الدكتور يحيى هاشم مقترحًا الاكتفاء بالباب الأول، حتى يتسنى معالجة مباحثه معالجة علمية دقيقة، فطلب مني بعض المباحث، وبعد قراءتها اقتنع فضيلته بما اقترحته عليه وأصبحت الرسالة بعد التعديل تتكون من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

في المدخل: تحدثت عن اليوم الآخر في الديانات الوضعية واقتصرت منها على المصرية القديمة والهندية والفارسية، وأثبت من خلال النصوص أن اليوم الآخر عنصر أصيل في عقيدة المصريين والهنود والفرس، ورددت ذلك الاعتقاد إلى الفطرة وإرسال الرسل، لا إلى النبوغ العقلي والتفوق الفكري عند هذه الأمم،وقبل أن أتحدث عن واقعات يوم القيامة مهدت بتمهيد وضحت فيه المقصود باليوم الآخر في الإسلام والنصرانية واليهودية.

والفصل الأول: عرضت فيه واقعات اليوم الآخر، بدءًا من الموت إلى الجنة

أو النار: فتحدثت عن الموت في التصور الإسلامي والتصور النصراني والتصور اليهودي، وبينت الفروق الجوهرية بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وكيف ربط النصارى واليهود بين مفارقة الإنسان للحياة عن طريق الموت، وعلاقة ذلك بخطيئة آدم عليه السلام، وبيّنت وجهة نظر الإسلام من مصدرية القرآن الكريم والسنة ورددت على النصارى واليهود في هذا الشأن، مبينًا أن خطيئة آدم لا يتحملها إلا هو.

ثم تحدثت عن البرزخ وعلامات الساعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وأوضحت موافقة التصور النصراني للتصور الإسلامي في بعض ما يتعلق بعلامات الساعة، ورددت ذلك إلى موافقة بقايا الصحيح في الأناجيل مع صريح القرآن الكريم، وأوضحت أن علامات الساعة مقتضبة عند اليهود وليس فيها تفصيلات مناسبة مثل الإسلام والنصرانية.

ثم تحدثت عن البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وتوقفت كثيرًا عند البعث في تصور اليهود، وكيف يوفِّقون بين خلو التوراة من الإشارة إلى اليوم الآخر واعتقادهم بالبعث، وفندت رأي ابن كمونة اليهودي في هذا الصدد، وعقبت على ذلك بأن السبب في خلو التوراة من الحديث عن البعث هو التحريف الذي مارسه علماء اليهود وأحبارهم بالنسبة للتوراة... وبعد ذلك تحدثت عن الحشر في التصور الإسلامي، وكيف أن النصارى واليهود لا يفرقون بين البعث والحشر.

ثم تحدثت عن الحساب، وبينت اعتقاد النصارى في أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق يوم القيامة، وفنّدت هذا، وناقشت أحد القساوسة في ادعائه: أن السنة تشهد على أن المسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة استنادًا إلى قول الرسول ﷺ: «ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا».

وبينت الافتراء الذي اقترفه هذا القس ضد الإسلام وضد السنة، وبينت أن المسيح ينزل ليحكم بشرع الرسول ﷺ، وهذا الحكم في الدنيا لا في الآخرة،

وتحدثت عن صحائف الأعمال التي يحاسب الإنسان على أساس منها، وموافقة النصارى واليهود للتصور الإسلامي في هذا الصدد.

ثم تحدثت عن الميزان والحوض وكيف أنهما مما خص الله به أمة محمد ﷺ، ثم تحدثت عن الشفاعة، وكيف أثبت القرآن الكريم والسنة الشفاعة للرسول ﷺ، وتحدثت عن أنواع الشفاعة وعن الشفاعة العظمى للرسول ﷺ، وعن شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أُمته، وعرضت رأي المعتزلة في هذا الصدد، ورد أهل السنة عليهم.

ثم انتقلت للحديث عن الشفاعة عند النصارى، وراعني ما وجدت من تصورهم للشفاعة والسلطة الكاملة التي أعطيت للكهان من غفران للخطايا وعفو عن الذنوب، وأنه لا شفاعة عندهم في الآخرة. وكانت هذه مشكلة بالنسبة لي فالمكتوب في كتبهم ومراجعهم لا يذكر شيئًا عن الشفاعة في الآخرة، فأردت أن أسجل في البحث أنهم لا يعتقدون في الشفاعة في الآخرة.

وعرضت الأمر على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم المشرف على الرسالة، فاقترح أن أقابل أحد علمائهم، وبالفعل قابلت أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية، وعرضت عليه أن يدلني على مراجع تتحدث عن الآخرة بوجه عام، والشفاعة بوجه خاص. وتحدّث الرجل عن الآخرة في التصور النصراني والخطايا التي لا يعفى عنها، وكان مما تحدث فيه أن الشفاعة في الدنيا لا الآخرة، وقسم الذنوب التي يعفى عنها في التصور النصراني والخطايا التي لا يعفى عنها، وكيف أن الإنسان إذا مات فإما أن يكون في النار وإما أن يكون في الجنة أبد الآبدين، وفهمت من حديثه أنه لا شفاعة في الآخرة، وساعدني هذا على الحكم على كثير من النقاط المثارة في البحث عن الآخرة في التصور النصراني مثل: عذاب القبر وسؤال الملكين، والميزان، والصراط، وأن الأناجيل لم تتحدث عن هذه التفصيلات.

ولم أكتف بمقابلة أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة

القبطية الذي يمثل طائفة الأرثوذكس، فذهبت إلى مدير معهد الدومينكان للدراسات الشرقية الأب جورج شحاتة قنواتي، لأعرف رأي الكاثوليك في بعض النقاط المثارة في البحث، ولم أجد ما كنت أنشد من المعرفة لدى الرجل، بل وصرفني عن البحث في علم مقارنة الأديان، وأحالني إلى أحد الرهبان الفرنسيين في المعهد وكانت اللغة عائقًا دون حديث الراهب معي فيما يتعلق بتصور النصارى الكاثوليك عن الآخرة، ولكنه أتاح لي فرصة الاطلاع على مكتبة المعهد، وعثرت فيها على بعض المراجع التي تحدثت عن الآخرة في تصور الكاثوليك. وكانت صعوبة العثور على المراجع تشكل عائقًا لي في مواصلة البحث وسبر غور كثير من النقاط المثارة في البحث في مجال المقارنة، فذهبت إلى دير سانت كاترين بجنوب سيناء - وهو دير تاريخي قرأت أنه يحوي الكثير من المراجع والمخطوطات - فذهبت بخطاب من الكلية ولكن رفض القائمون على الدَّيْر والمكتبة تقديم أيّ عونٍ علمي فيما يتعلق بالبحث، إلى حد أنهم لم يوافقوا أن يتحدثوا معي شفويًّا في موضوع الآخرة في التصور النصراني، وأقلت راجعًا أبحث عن مصادر اليوم الآخر في مظانه عند النصارى واليهود، وبذلت قصارى جهدي في هذا الصدد، وأسجل أن عدم توافر المصادر اليهودية كانت عائقًا لي عن البحث في كثير من الأمور المتعلقة بالبحث ولقد بذلت كل ما أستطيع من جهد وحسبي ذلك.

ثم تحدثت بعد ذلك عن الجنة والنار بين التصور الإسلامي والنصراني واليهودي وعرضت أوجه الاتفاق والاختلاف والتناقض الذي وقع فيه النصارى واليهود في تصويرهم للجنة والنار، وخلوها من الطعام والشراب والنكاح وسائر المتع، بالرغم من تصريح العهد القديم ببعض الإشارات، وكذلك العهد الجديد، وسجلت هذه التناقضات. وتحدثت عن كثير مما انفرد به الإسلام من حكم أهل الفترة وأطفال المسلمين، وأطفال المشركين. وتحدثت عن الخلود في الجنة والنار في الإسلام، والخلاف بين أهل السنة، والمعتزلة في خروج الموحدين من

النار، وبينت تصور اليهود والنصارى للخلود في النار.

ثم بعد ذلك تحدثت عن رؤية الله بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وعرضت رأي أهل السنة ورأي المعتزلة والرد عليه من أهل السنة، ومدى التخبط والاضطراب الذي وقع فيه النصارى في عرضهم لرؤية الله، من نفيهم مرة للرؤية وإثباتهم لها، ثم تساءلت من الذي يزعم النصارى أنه يُرى يوم القيامة هل هو الله؟ أو المسيح؟ أم هما معًا؟ وبينت الخلط والاضطراب الذي وقع فيه النصارى في هذا الصدد.

ويلاحظ أن عنوان الرسالة كان يقتضي أن أبدأ باليوم الآخر عند اليهود ثم بعد ذلك عند النصارى ثم بعد ذلك عند المسلمين،ولكن بعد البحث آثرت أن أبدأ أولاً بالإسلام ثم بعد ذلك بالنصرانية ثم بعد ذلك باليهودية، وذلك لأن هناك بعض واقعات اليوم الآخر لا توجد عند اليهود ولا عند النصارى فلو بدأت بما عند اليهود أولاً سأبدأ ببعض الواقعات من فراغ وأنتهى إلى واقعة في الإسلام أتحدث عنها، ولاحظت أن هذه الطريقة لن تمكنني من إجراء المقارنة على الوجه المرجو، فعرضت الفكرة على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم المشرف على الرسالة فوافقني عليها، وأصبحت فصول الرسالة ومباحثها على الترتيب الحالي. أبدأ بالإسلام باعتباره الدين الذي اشتمل على واقعات اليوم الآخر وتفصيلاته، ثم أعرض للتصور النصراني وأبين مدى الاتفاق أو الاختلاف مع الإسلام، وكذلك الأمر في التصور اليهودي. فالإسلام هو المحور الذي أرتكز عليه وأحتكم إليه عند اختلاف ما عند النصارى واليهود مع ما جاء به الإسلام.

وأخيرًا فهذا ما وفقني الله إليه في عرض اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية، فإن كنت قد أصبت فأسأل الله أن يتقبل هذا الجهد خالصًا لوجهه، وأن يكفر به عنى من سيئاتي، وإن كنت قد أخطأت فالكمال لله وحده، وأسأل الله أن يعطيني أجر المجتهد.

وما توفيقي إلى بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

«المؤلف»

مدخل

اليوم الآخر في الديانات الوضعية

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : اليوم الآخر عند المصريين القدماء .

المبحث الثاني : اليوم الآخر عند الهنود (البراهمة) .

المبحث الثالث : اليوم الآخر عند الفرس .

تمهيد

اليوم الآخر في الضمير البشري

بالبحث والتنقيب في ديانات البشر القديمة وعقائدهم الماضية وُجد أن الاعتقاد بخلود النفس سمة عامة وقاعدة مشتركة بين الأمم كلها. يقول الأستاذ «سيد قطب»: **«إن جميع الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام قد تضمنت عقيدة اليوم الآخر مع تضمنها لوحدانية الله سبحانه»** (١).

فكل الأمم التي وجدت على ظهر الأرض منذ أن استخلف الله آدم فيها كانت تعرف شيئا عن الله، وكذلك تعرف المصير الذي ينتهي إليه أفرادها، وهذا ما تدل عليه البحوث الحديثة.

تثبت الدراسة المقارنة للأديان أنه وجد - حتى عند بعض القبائل المنعزلة - حسّ ديني، يدفعهم إلى المناقشة والتفكير في الأسئلة مثل: لماذا وُلدنا؟ وما هو الهدف من حياتنا؟ وما هي الغايات التي نخدمها ونسعى إليها؟ وأين سنذهب بعد الموت؟

يقول الدكتور «دراز»: **«إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليست هناك مجموعة إنسانية بل أمة كبيرة ظهرت وعاشت، ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان وفي مصيره وفي تعليل الكون وأحداثه»** (٢).

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ١٤ للأستاذ سيد قطب، الطبعة السادسة الناشر دار المعارف ١٩٨٠.

(٢) الدين ص ٣٤ - الدكتور/ محمد عبد الله دراز الناشر مطبعة السعادة ١٩٦٩ م.

وهنا نجد أن القرآن الكريم يذكر أنه ما من أمة إلا وأرسل الله إليها نبيًا ينذرهم ويعلمهم تعاليم الله التي على رأسها وحدانية الله وعقيدة اليوم الآخر.

ولكنَّا نجد أن كثيرًا من الأمم يعرض عندهم اليوم الآخر في صورة غير واضحة وليست على الصورة التي جاء بها أنبياء الله إلى تلك الأمم. والسبب في ذلك أنه كان يحدث بعد كل رسالة أن ينحرف الناس عن استقامة العقيدة، فيخلطوا بها أوشابا [1] من الوثنية وتصوراتها السابقة على الرسالات السماوية أو اللاحقة.

ومن هذه الأوشاب الخليطة كانت تتألف عقائد وثنية جديدة. وهذا ما يجده الدارس في كثير من الأصول العقائدية والأخلاقية التي أتت بها الرسالات السماوية لهذه الأمم.

وسوف نعرف فيما يلي:

* تصور الديانة المصرية القديمة لليوم الآخر والتفصيلات المختلفة التي اعتقدها المصريون القدماء.

* تصور اليوم الآخر عند الهنود وبخاصة من بين طوائفهم «**البراهمة**».

* تصور اليوم الآخر عند الفرس.

وذلك وفقًا للترتيب التاريخي.

وسوف نقتصر في هذا التمهيد على هذه الديانات الوضعية الثلاث باعتبار أنها استوعبت اعتقاد كثير من البشر في فترات طويلة من التاريخ بما يصلح مدخلا لتقديم دراسة مقارنة عن:

«**اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام**».

* * *

(١) الأوشاب: الأوباش والأخلاط واحد وشب انظر القاموس المحيط جـ ١ ص ١٤٢ .

المبحث الأول

اليوم الآخر عند المصريين القدماء

كانت عقيدة الخلود تحتل مكانًا كبيرًا في نفوس المصريين، إذ إنه لا يكاد يوجد مصدر تاريخي عن المصريين القدماء إلا وفكرة الخلود والحياة بعد الموت تحتل مكان الصدارة فيه، لما لهذه الفكرة من أهمية بالغة. يقول المؤرخ اليوناني **«هيرودوت»: «إن المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس»** (١).

ويعلق صاحب كتاب الأدب والدين على عبارة **«هيرودوت»** بقوله: **«وعبارة «هيرودوت»** تشرحها الأعمال الدينية التي قام بها المصريون استعدادًا ليوم الحساب، فلقد كانوا يعتقدون بخلود النفس بعد الموت، وورد في النصوص المنقوشة على الأهرام والتي يرجع تاريخها إلى الأسر الأولى **«أن النفس خالدة لا تموت أبدًا»**، وفي كتاب الموتى أن الميت يقول: **«أنا لا أموت مرة ثانية في العالم الثاني . . .»** (٢).

ونحن مع هيرودوت في أن المصريين اعتقدوا بخلود النفس ولكنّا لسنا معه في أنهم أول الشعوب الذين اعتقدوا في الحياة الآخرة لأمرين:

الأمر الأول: أن المصريين ليسوا أول الشعوب التي وجدت على ظهر الأرض.

الأمر الثاني: أنه ما من أمة إلا وأرسل الله فيها نذيرًا يعلمهم العقائد الأساسية

---

(١) نقلاً عن الأدب والدين عند قدماء المصريين ص ١٠١ للأستاذ/ أنطون ذكرى أمين المتحف المصري - الناشر مطبعة المعارف ومكتبتها. الطبعة الأولى ١٩٢٣.

(٢) نفسه ص ١٠٧ .

التي منها عقيدة اليوم الآخر يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٤]. اللهم إلا إذا كان المؤرخ اليوناني يقصد أول الشعوب التي وصل إليه خبرها ودرس عقائدهم.

يقول «وول ديورانت» في معرض حديثه عن الديانة المصرية القديمة: **«وكان أهم ما يميز هذا الدين توكيده فكرة الخلود»** [١].

والذي يقرره «ديورانت» يؤكده «أدولف أرمان» بقوله: **«لئن كان الشعب المصري يختلف في شيء عن غيره من الشعوب فإنما ذلك في العناية التي كان يوجهها إلى موتاه»** [٢].

ويعتبر الشيخ «أبو زهرة» أن أروع ما في العقيدة المصرية القديمة اعتقادهم بالحياة الأخرى، وأنها الباقية بعد هذه الدنيا الفانية، فقد كانت الدنيا في نظرهم فترة قصيرة بعدها حياة لها أمد غير محدود، بل إن دنيانا ليست إلا ممرًّا إلى ذلك الخلود [٣]. ولا يعني ذلك أنهم أهملوا الحياة الدنيا وتركوها، كلَّا، بل إن فكرة الحياة الآخرة سيطرت عليهم تماما. ومهما يكن من شيء فإن التاريخ نقل لنا صورة خلود النفس عند المصريين أوضح من سائر الأمم الأخرى.

وإن تغلغل عقيدة الخلود في نفوس المصريين هو ما يفسر لنا سر اهتمامهم بكل ما من شأنه أن يخلد ذكراهم أو يساعد في ظنهم على حفظ أجسادهم للحياة الأخرى، ولذلك يعزو صاحب كتاب الأدب والدين المقابر المصرية القديمة إلى أنه **«ليس حب التظاهر والكبرياء هو الذي جعل الأقدمين يصنعون قبورًا خالدة وأجسادًا غير قابلة للمحو والزوال، وإنما السبب الحقيقي هو اعتقادهم في خلود النفس في الحياة الآخرة»** [٤].

وهو تعليل مقبول إلى حدٍّ ما، إلا أننا لا نستطيع أن نلغي حب التظاهر والكبرياء

---

(١) قصة الحضارة – الجزء الثاني المجلد الأول ص ١٦٢ – ترجمة محمد بدران.
(٢) ديانة مصر القديمة – نشأتها وتطورها ونهايتها . تأليف أدولف أرمان – ترجمة الدكتور/ عبد المنعم بكر وآخرون – الناشر مصطفى البابي الحلبي.
(٣) مقارنات الأديان القديمة – الشيخ محمد أبو زهرة ص ١٦ الناشر دار الفكر.
(٤) الأدب والدين عند قدماء المصريين ص ١٠٧ .

من تفكيرهم أثناء اهتمامهم بتلك الأشياء، بدليل أنهم في فترة مبكرة جدًّا في تاريخهم كانوا يدفنون موتاهم في مقابر متواضعة قبل الأهرامات ومقابر الملوك.

يقول «الأنبا يؤانس» في حديثه عن اليوم الآخر لدى المصريين: «**وليست الأهرامات ومقابر الملوك والأمراء هي الدليل على ذلك، بل إن المصريين منذ فجر التاريخ اعتقدوا في البعث والخلود، فقد اكتشف العلماء مقابر منذ فجر التاريخ ووجدوا أن المصريين كانوا يدفنون الميت في تلك الفترة المبكرة جدًا من تاريخهم في وضع القرفصاء، ركبته قرب ذقنه، وهو الوضع الذي يكون عليه الجنين في بطن أمه**» [(١)].

ويستخلص «الأنبا يؤانس» من طريقة دفن المصريين القدماء موتاهم بهذا الوضع بأنه تعبير قوى على البعث، وأن الإنسان سيحيا ثانية كما خرج من أحشاء بطن أمه [(٢)].

والذي أريد أن أصل إليه هو أن المصريين اعتقدوا في البعث ودفنوا موتاهم في فجر تاريخهم بطريقة تشعر بأنه سوف يحيا ثانية، ولما تقدموا وتطورت حضارتهم أدخلوا عنصر التظاهر وحب الفخر والكبرياء مع اعتقادهم بالخلود والحياة الأخرى، فبنوا الأهرام وتركوا لنا هذه الآثار التي يقف الإنسان أمامها مبهورا من روعة بنيانها، ولا يمكن أن يكون المقصود منها حفظ الأحياء فقط ولكن إظهار القوى والفخر والكبرياء.

* * *

---

(١) السماء للأنبا يؤانس ص ٢٨ .

(٢) نفسه.

الأسس التي قامت عليها فكرة الحياة الآخرة عند قدماء المصريين

قبل أن نتحدث عن التفصيلات التي نقلت إلينا عن المصريين القدماء من ناحية تصورهم للبعث والحساب والميزان وكيفيته، والنعيم والعذاب نحاول أن نلقي الضوء على الأصول التي بنوا عليها الاعتقاد بالحياة الأخرى.

أولاً: إرسال الرسل:

في التصور الإسلامي نجد أن المصريين القدماء كجماعة بشرية عمرت الأرض فترة من الزمان، وكأمة من الأمم، أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، والقرآن الكريم يجزم بذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

والنص القرآني يوضح أنه ما من أمة إلا وجاء إليها نذير أي نبي أو رسول يعرفهم بالله وأنهم سيرجعون إليه ليجازيهم عن أعمالهم. ويعتقد أن المصريين كأمة من الأمم أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، وعقيدة اليوم الآخر من الأصول التي يأتي بها كل رسول.

ولذلك فإن عقيدة المصريين في الحياة الآخرة مصدرها الوحي من الله عز وجل، وبتقادم الزمن نسي الناس العقيدة الصحيحة وانحرفوا عنها منقصين منها أو زائدين عليها، ولكن الأصل عندهم مرجعه إلى الوحي.

ولقد أخبرنا القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام دعا المصريين إلى الوحدانية وإلى اليوم الآخر. ويقول تعالى على لسان يوسف ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨].

ويعلق الأستاذ «سيد قطب» على هذه الآية بقوله: **«وذكر الآخرة هنا في قول يوسف يقرر أن الإيمان بالآخرة كان عنصرًا من عناصر العقيدة على لسان الرسل جميعًا منذ فجر البشرية الأولى، ولم يكن الأمر كما زعم علماء الأديان المقارنة أن تصور الآخرة جاء إلى العقيدة بجملتها متأخرًا. لقد جاء إلى العقائد الوثنية الجاهلية متأخرًا فعلًا، ولكنه كان دائمًا**

عنصرًا أصيلًا في الرسالات السماوية الصحيحة» [١].

ويقول الشيخ **«أبو زهرة»: «ويظهر أن صدى دعوة يوسف استمر أجيالًا يعمل في النفوس المصرية»** [٢]. فهناك تعاليم من الله على لسان الرسل، وانحراف من الناس عن هذه التعاليم.

ثانيًا: مظاهر الحياة الدنيا:

يذهب بعض الباحثين إلى أن الذي حدا بالمصريين لكي يعتقدوا في الحياة الأخرى أن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الخير والشر والبر والفاجر، وكثيرًا ما نرى في هذا المعترك الشر ينتصر على الخير والفساق على الأبرار، فلو لم يكن هناك يوم كله للخير وكله على الشر، يحاسب فيه المسيء على إساءته ويكافأ المحسن بإحسانه ما استقام العدل الإلهي، فمن العدالة أن يكون يوم آخر يكون للأبرار على الفجار، وللأطهار لا للأشرار، وأن تكون الحياة الباقية لينتصر فيها الخير وينتصف فيها من الشر [٣]. وهذا الرأي يرجع إلى الأساس الأول وأقصد به التعاليم التي جاءت إلى المصريين عن طريق الرسل إذ لا يمكن أن تكون مظاهر الحياة الصراع بين الخير والشر هو الذي ولد فكرة الحياة الأخرى عندهم، ذلك لأن الدين هو الذي يحكم على الأشياء بالخيرية أو الشرية، والوحي هو الذي رسخ هذه الفكرة في نفوسهم.

* * *

(١) في ظلال القرآن ص ١٩٨٨ جـ ٤ للأستاذ/ سيد قطب – الناشر دار الشروق الطبعة الثامنة ١٩٧٩.

(٢) الديانات القديمة ص ٨ .

(٣) الديانات القديمة ص ١٦، ١٧ .

تفصيلات ما بعد الموت

أولًا: البعث

اهتم المصريون بالبعث وما بعده اهتمامًا شديدًا، لدرجة أنهم ألّفوا كتابًا سموه «كتاب الموتى»، أودعوا فيه الأشياء التي إذا فعلها الميت ينجو من العذاب.

يقول «وول ديورانت»: **«وكان أهم ما يميز هذا الدين توكيد فكرة الخلود، فالمصريون يعتقدون أنه إذا أمكن أن يحيا النيل، ويحيا النبات كله بعد موتهما فإن في مقدور الإنسان أيضًا أن يعود إلى الحياة بعد موته»** (١).

ولكن المصريين رغم اعتقادهم بفكرة البعث وسيطرتها عليهم تصوروها بصورة حسية ساذجة، فهم يتصورون أن الميت حتمًا يحيا ويحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء من طعام وشراب.

ويقول الشيخ «أبو زهرة»: **«وكانوا يعتقدون أيضًا أن الميت أو روحه في العالم الآخر يحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء في هذه الدنيا من طعام وشراب وما إلى ذلك من طعام الأحياء في الدنيا»** (٢).

وتعليقنا على ما أورده «ديورانت وأبو زهرة» يبرز أمرين:

الأمر الأول: أن اعتقاد المصريين بالبعث بعد الموت عقيدة سماوية، لا جدال في ذلك بعد الذي أوردناه من الآيات القرآنية التي تثبت إرسال نذير لكل أمة من الأمم.

الأمر الثاني: أنه بتقادم عهد الرسول كانت تختلط العقيدة السماوية بالأوشاب الوثنية فتضيف أشياء إلى العقيدة الصحيحة أو تنقص أشياء أخرى، كما فعل المصريون في تصورهم لتفصيلات ما بعد الموت.

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثاني - المجلد الأول ص ١٦٢ .

(٢) الديانات القديمة ص ١٧ .

ثانيًا: الحساب والجزاء:

كما اعتقد المصريون في الحياة بعد الموت اعتقدوا كذلك في الحساب والجزاء، يقول الدكتور «غلاب»: «**فالمصريون هم أول قوم اعتقدوا ترتب الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية**»[1].

ولا يأتي اعتقادهم هذا إلا بناءً على إيمانهم بالحساب والجزاء، فكانوا يعتقدون بالحساب على ما قدمه الإنسان في الدنيا والجزاء عليه، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وإن كنا لا نميل إلى تعبير الدكتور «غلاب» السابق، لأن المصريين كما نعلم من التاريخ ليسوا أول الشعوب التي اعتقدت باليوم الآخر؛ إذ إن الاعتقاد باليوم الآخر جزء أساسي في دعوة الرسل، واعتقاد المصريين بالحساب عقيدة سماوية، ولكن صورته صورة حسية ساذجة، وقد ورد في كتب المصريين القدماء تفصيل الحساب والمحاكمة. يقول «أنطون ذكرى»: «**يظهر الإنسان في الحال بعد الموت أمام محكمة «أسوريس»**[2]، لمحاسبته عما فعل من الحسنات واقترف من السيئات ليلقى الجزاء العادل»[3].

والمصريون يتصورون محاسبة الميت أمام المحكمة على الوجه التالي: «**برأس أسوريس الإله الصالح محكمة العدل الكبرى في تاووس، قائمًا في صدر القاعة المكلل سقفها بالقناديل وعلامات الحق، وأمامه أحفاده أبناء «حوريس»** وآلهة أربعة أركان العالم، ومعهم اثنان وأربعون قاضيًا بعضهم برؤوس بشرية، وبعضهم برؤوس حيوانية، وعلى رأس كل منهم سيف لقتل الخاطئ، ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر في كفتي الميزان الذي يزن الحسنات والسيئات، ومراقبين ذلك بكل دقة، وتطبيق نتيجتها على أقواله، وأما «أسوريس» وهو وحش يدعى باللغة المصرية «عممم» أي

---

(١) الفلسفة الشرقية ص ٥٨ الدكتور/ محمد غلاب بدون تاريخ.

(٢) لعلها أزوريس لأن كل الكتب تثبت ذلك.

(٣) الأدب والدين عند المصريين ص ١٠٧ .

المفترس، وأعضاء جسمه على أشكال مختلفة من جاموس البحر والتمساح والأسد، تراه متحفزًا إذا رجحت كفة ميزان الخطايا [١].

تلك صورة المحاكمة التي اتفق عليها - مع بعض الاختلاف في الألفاظ - معظم من كتب عن المصريين القدماء [٢].

دفاع الميت عن نفسه:

يدافع الميت عن نفسه ليثبت أنه كان طاهرًا أمينًا ويعدد بعض الصفات الحميدة وينسبها إلى نفسه لعله ينجو أمام المحكمة وترجح كفة حسناته.

يقول الشيخ «أبو زهرة»: وقد خاض المؤرخون في بيان الفضائل التي كانت تعد فضائل في نظر المصريين في هذا المقام، وقوام هذه الفضائل سلبي، ودعامته عدم إلحاق الأذى والضرر بغيره من الناس» [٣].

يقول: «ديورانت»: **«ومن الطرق الأخرى أن تعلن الروح براءتها من الذنوب الكبرى في صورة اعتراف سلبي»** [٤]، ويعلق ديورانت على هذا الاعتراف بقوله: **«وهذا الاعتراف من أقدم وأنبل ما عبر به الإنسان عن مبادئه الأخلاقية»** [٥].

وقد أورد كثير من الكُتَّاب الاعتراف الذي ننقله عن كتاب الأديان القديمة في الشرق نص دفاع الميت: «سلام عليك أيها الإله العظيم، صاحب الحق، إني جئت إليك يا رب خاضعًا أمامك لأعاين مجدك، إني أعرف اسمك وأسماء

---

(١) الأدب والدين ص ١٠٧ - وإنما اقتصرت على ما أورده أنطون ذكرى لأنه يعتبر متخصصًا في الديانة المصرية القديمة، وطبيعة عمله ساعدته على الاطلاع على كثير من الأسرار والمعلومات التي لم تتح لغيره، إذ إنه كان يعمل أمينًا للمتحف المصري.

(٢) انظر على سبيل المثال - قصة الحضارة - الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٢٦٤ وانظر كذلك ديانة مصر: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة ص ٢٥٥، ٢٥٦ ، وانظر كذلك الديانات القديمة ص ١٧، ١٨، ومقارنة الأديان اليهودية والإسلام ص ٤٩ - وقصة الديانات - سليمان مظهر ص ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١.

(٣) الديانات القديمة ص ١٧، ١٨.

(٤) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٢٦٤ .

(٥) نفسه.

الاثنين والأربعين قاضيًا الجالسين معك في قاعة الحق والعدل، لقد أتيت لك يا إلهي بالحق متخليًا عن كل خطيئة، فإني لم أظلم أحدًا، ولم أحنث في يميني،ولم أشته امرأة قريني، ولا مال غيري، ولم أكذب قط، ولم أخالف الأوامر، ولم أبع القمح بثمن باهظ، ولم أطفف الكيل، ولم أقتنص طيور الآلهة، ولم أطارد حيواناتها، ولم أصطد الأسماك المقدسة من بحيرتها، ولم أخالف نظام الري، ولم أتلف الأرض الزراعية، ولم أكن قوالاً ولا نمامًا، أنا طاهر، وبما أني مبرأ من الذنوب فأرجو أن أكون من الفائزين» [١].

وإن هذا الدفاع وما يحويه من فعل للفضائل واجتناب للرذائل يعطينا صورة واضحة عن الأخلاق ومدى الالتزام بها عند قدماء المصريين، ومن عجيب الأمر أن «ديورانت» يتناقض مع نفسه تناقضًا واضحًا عندما يقول تارة عن اعتراف الميت أما القضاة بأنه «**من أقدم وأنبل ما عبّر به الإنسان عن مبادئه الأخلاقية**» [٢]، ثم يعود مرة أخرى فيسلب الأخلاق عن المصريين، ويزعم أن الدين لم يهذب أخلاقهم، فيقول: لقد كان الدين في مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه، فنحن نراه فيها في كل مرحلة من مراحله، وفي كل شكل من أشكاله من الطوطم إلى علم اللاهوت، ونرى أثره في الأدب وفي نظام الحكم وفي الفن وفي كل شيء عدا الأخلاق» [٣].

ثالثًا: الميزان وصدور الحكم:

من التفصيلات التي أوردها لنا من كتبوا عن المصريين القدماء:

الميزان الذي توزن به أعمال الميت الحسنة والأعمال السيئة «ثم يعرض على الميزان والمعبودة «معت» ممثلة الحق والاستقامة جاثية في كفته اليمنى، وقلب هذا الإنسان في كفته اليسرى رمزًا لأعماله، وهو المنوط به بتأدية

---

(١) الأديان القديمة في الشرق ص ٢٧١ الطبعة الثانية ١٩٨٣ - وبإمكاننا أن نرد كل هذه للفضائل التي عددها الميت في دفاعه عن نفسه إلى الإسلام بمعنى أن كل هذه الأشياء من الأوامر وليس من ابتكارات العقل المصري القديم.

(٢) ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الثاني - المجلد الأول ص ٢٦٤ .

(٣) نفسه ص ١٥٥ .

الشهادة عليه» [١].

وتكون استقامة لسان الميزان أو عدم استقامته الدليل على صلاح الميت أو فساده «فإذا كان المتوفى صادقًا في دفاعه استقام لسان الميزان» [٢].

وحينئذ يحكم للميت بالبراءة، «وإذ اتضح أن المتوفى من الصالحين الفائزين المبرئين من كل خطيئة، وأن قلبه وكل أعضائه طاهرة نطق «أسوريس» الإله الأبدي بالحكم النهائي فيقول له: فليخرج الميت فائزًا من قاعة العدل وليذهب حيثما شاء وتفتح له أبواب الجنة، ولتزفه جميع الآلهة ولا تتعرض له حراس السماء»[٣].

فإذا كان الميت شريرًا فإن حكم «أزوريس» عليه هو قوله:

اذهب أيها الشرير إلى الجحيم لتلاقي أشد العذاب، وأَمَرَّ النكال، وأنتم أيها القضاة، اقتلوه بسيوفكم، وتغذوا الآن من لحمه، واشربوا من دمه،وأنتن أيتها الأرواح الشريرة اضربنه بالحديد وأحرقنه بالنار،وأنت يا عمعم الوحش المفترس، قَطِّعه إربا إربًا [٤] وتغذّ من أحشائه.

فليفن جسدك أيها الخاطئ، ولتعدم نفسك، وليشطب اسمك من سفر الحياة، قد جعلتك غنيمة للأفاعي، وفريسة للوحوش الضارية.

وأنتم يا زبانية جهنم اسحبوه على وجهه إلى الجحيم، واقطعوا رأسه على خشبة المصّار، ومزقوا جسمه كل ممزق، وألقوه في أتون [٥] النار [٦].

---

(١) الأدب والدين ص ١١١، ١١٢ .

(٢) نفسه ص ١١١ .

(٣) الأدب والدين ص ١١١، ١١٢ .

(٤) الإرب جمعه آراب وهو العضو، وقطعته إربًا إربًا، أي: عضوًا عضوًا - الرائد تأليف جبران مسعود - ص ٧٣ - دار العلم للملايين ١٩٦٥ بيروت.

(٥) الأتون بالتشديد: الموقد وقيل حجارة تقام وتوقد فيها النار التي تصيِّر الحجارة كلًّا والعامة تخففه - مختار الصحاح ص ٤ للإمام الرازي طبعة دار المعارف بمصر وانظر الرائد ص ٣٠.

(٦) الأدب والدين ص ١١٢ - وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام.

رابعًا: مكافأة النفس ومجازاتها

الجنة والنار:

إن الإيمان بالحياة الآخرة عند المصريين تضمن الإيمان بالجنة والنار اللتين يجازى الميت فيهما، **«فالمصريون القدماء يعتقدون بخلود الروح، ويعتقدون بالثواب والعقاب والجنة والنار، وهي عقائد فطرية من جانب، ثم هي بقية من دعوة الأنبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها الطويل»** [(١)].

ونجد الجنة عندهم كالدنيا من ناحية المأكل والمشرب والملبس، غير أنها تختلف عن الدنيا بأنها خالية من البؤس والشقاء، **«أما الجنة فإنهم يرون أن الحياة فيها تشبه الحياة الدنيا من حيث الأكل والشرب والأولاد، ولكنها تخالف الدنيا بأنها باقية خالدة»** [(٢)].

وقد ورد طرف من نعيم الجنة الذي يتنعم به الميت بعد صدور الحكم بالبراءة من الذنوب بأمر الإله **«أزوريس»**، بأن يتقدم لذلك الميت **«المؤونة والقرابين والشراب، وليعط ثيابًا من الكتان الجيد، وليرد له قلبه، ولتوهب له حياة جديدة، وليجلس عن يميني في الفردوس السماوي»** [(٣)].

إن النعيم حسي كما هو واضح من النصوص المصرية القديمة، وذلك التصور للنعيم تختلف صوره، فبينما نجده في بعض النصوص مقصورًا على الطعام والشراب، نجده في البعض الآخر يتمثل في الحرية والزرع والحصد، وتصور بعض هذه النصوص الميت الذي حكم ببراءته بأنه **«يدخل ويخرج في العالم السفلي، ويسكن حقل ياور، ويقيم وقتًا في حقل الطعام ذلك المكان الفسيح ذي الرياح الكثيرة، حيث هو هناك قوي ممجد، وحيث يحرث ويحصد ويشرب ويحب ويفعل سائر ما كان**

---

(١) الأديان القديمة في الشرق ص٢٧١ - دار الشرق ١٩٨٣- الطبعة الثانية.

(٢) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٤٩ .

(٣) الأدب والدين ص ١١٢ .

يفعل على الأرض» (١).

هذا عن الجنة ونعيمها أما عن مكانها فإن المصريين القدماء اختلفوا في تحديد مكانها، فذهبت الدولتان القديمة الوسطى إلى أنها تحت الأرض أو خلف الجبل الغربي، حيث مغرب الشمس، أو في جزيرة السعداء في البحر الأبيض المتوسط، فلهم في ذلك مذاهب عدة (٢).

عذاب النار:

بعد أن يحاسب الإنسان أمام المحكمة ينطق الإله أزوريس بالحكم، فإذا كان من الأشرار يقول له. اذهب عني أيها الشرير إلى الجحيم. وهناك يلقى أشد العذاب الذي يتمثل في قتل الأشرار الذين حكم عليهم أزوريس، وأكل السباع من لحومهم، وهناك وحش مفترس يأمره أزوريس بافتراس الأشرار وتقطيعهم قطعًا متناثرة، وهناك ما يسمى بالزبانية يسحبون الأشرار على وجوههم إلى الجحيم، ويقطعون رؤوسهم، ويمزقون أجسادهم، ولا يقتصر الأمر عند عذاب الوحوش والزبانية، ولكن يأمر القضاة الذين حكموا عليه بكونه من الأشرار أن يقتلوه بسيوفهم، ويتغذوا من لحمه (٣).

وهكذا نجد الأشياء التي يخشاها الإنسان في الدنيا هي من بين الأشياء التي يهدد بها بعد الموت إذا كان شريرًا، ومن صور العذاب للأشرار أنهم لا يدخلون مملكة **«أزوريس»**، ولا يدخل الموتى الذين يخفقون في هذا الامتحان **«أي محاكمة الموتى»** في محكمة أزوريس، **«وفي هذا حد الكفاية من البؤس والشقاء، لأنهم يظلون في مقابرهم يضنيهم الجوع والعطش»** (٤).

---

(١) ديانة مصر نشأتها وتطورها ص ٢٦ .

(٢) الأدب والدين ص ١١٣ .

(٣) مقارنة الأديان ص ٥٠ بتصرف.

(٤) ديانة مصر القديمة – نشأتها وتطورها ص ٢٥٩ .

ولعل أبلغ تعبير عن تصوير البعث والحساب عند المصريين ما ذكره الدكتور «**عمارة نجيب**» بقوله: «**فالإيمان بالبعث والحساب حقيقة دينية، وصلت إلى المصريين عن طريق دين صحيح، لولا أن عبث بها الفكر الإنساني البشري، وخالطها التحريف فحوّل صورة البعث إلى خيال بشري، وحملها على مستوى الإدراك الحسي للبشر، فنزلت من مستوى الإدراك الإيماني السامي إلى هذه الصورة التي عرضت، وهي صورة ناقصة تدل على عجز العقل - حين يكون وحده بلا وحي - عن الوصول إلى حقائق هذه الأمور**»(١).

وبعد استعراض اليوم الآخر عند المصريين القدماء يمكن للباحث أن يخرج بهذه النتائج:

١- أن فكرة الحياة بعد الموت أو اليوم الآخر عند المصريين تعبر عن عقيدة راسخة، وترجع في أصلها إلى وحي ورسالة كانت لدى المصريين، ذلك أن المصريين كغيرهم من الأمم أرسل الله لهم رسلاً مبشرين ومنذرين، وهؤلاء الرسل كان لهم الفضل الأكبر في تذكير المصريين بالحياة الأخرى، ونعرف من هؤلاء الرسل إبراهيم ويوسف عليهما السلام، فقد هاجر إبراهيم إلى مصر، وعاش فيها فترة، وتولى يوسف خزائنها فترة كبيرة.

٢- أنه بتقادم الزمن امتزجت عقيدة اليوم الآخر عندهم بكثير من التصورات البشرية.

٣- وجوب تحليل الباحث للنصوص وردّها إلى التصور الإسلامي، وعدم الاعتماد على وجهة نظر الكتاب الغربيين أو الشرقيين، الذين يردون كثيرًا من المعتقدات الدينية عند المصريين إلى نبوغهم الفكري، وسبقهم العقلي، بعيدًا عن المصدر الأساسي لتلك العقائد وهو الوحي الذي رحم الله به الأمم فأرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ

---

(١) الإنسان في ظل الأديان ص ٧٢ - الدكتور/ عمارة نجيب - الناشر المكتبة التوفيقية - الطبعة الأولى ١٩٧٦ م.

إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤] ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

* * *

المبحث الثاني

اليوم الآخر عند الهنود

كما سبق أن أوضحنا عند الحديث عن الحياة الأخرى عند قدماء المصريين، نقرر هنا ما أورده الدكتور «دراز» في كتابه الدين بقوله: **«إن الحقيقة الكبرى التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليس هناك جماعة إنسانية - ناهيك عن أمة كبيرة - ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه»** (١).

والمصير الذي تفكر فيه الأمم إنما هو حالة الإنسان عندهم بعد الموت وثوابه وعقابه، والهنود من الأمم التي فكرت في مبدأ الإنسان ومصيره، وعللت ظواهر الكون وأحداثه. وسوف نقتصر في هذا المدخل على «البراهمة» - أقدم الديانات الهندية - محاولين الإشارة إلى عقيدتهم في تصورهم للحياة بعد الموت، ومصير الأرواح، وعلاقة الجزاء بالعمل والثواب والعقاب.

أولًا: علاقة العمل بالجزاء:

يعتقد الهنود الذين يدينون «بالبراهمة» أن: «جميع أعمال البشر الاختيارية التي تؤثر في الآخرين خيرًا كانت أو شرًّا لا بد من أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب، طبقًا لقاموس العدل الصارم، فنظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وأن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، وأن من الطبيعة نوعًا من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه على عمله، ويكون الجزاء

---

(١) الدين ص ٣٤ للدكتور/ محمد عبد الله دراز - الناشر مطبعة السعادة ١٩٦٩ م.

في هذه الحياة» [١].

واتخذ هذا الاعتقاد عندهم صورة قانون عام، لا ينفك عن الإنسان بحال من الأحوال، وقرر الكهنة الهنود أن هناك قانونًا للحياة يقول: جزاء الخير خير مثله، وعقاب الشر شر مثله وهذا القانون اسمه «الكاراما» [٢].

وهذا الاعتقاد هو الذي ولد عند الهنود عقيدة التناسخ «**فعقيدة الهندي في أن كل عمل له جزاء جعلته يعتقد بتردد الأرواح في الأجسام حتى تكفر ما عليها**» [٣].

ثانيا: تناسخ الأرواح

يعتبر التناسخ للأرواح هو السمة المميزة لعقيدة الهنود. يقول «البيروني»: «**كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعد من جملتها**» [٤].

والتناسخ عند الهنود معناه:

أن الروح لا تفنى بعد الموت، وإنما تحاسب بأن تعود مرة أخرى لتلبس جسدًا آخر، جزاء لها على ما عملت من حسنات، أو اقترفت من سيئات، وقد نقل لنا «البيروني» في كتابه: «**تحقيق ما للهند من مقولة**» حوارًا بين اثنين من الهنود، يتّضح من خلاله عقيدتهم في الروح، ومصيرها بعد الموت.

يقول «البيروني»: «**حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئًا من صريح كلامهم في هذا الباب قال «باسديو لأرجن»** يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء

---

(١) أديان الهند الكبرى ص ٦٢ الدكتور أحمد شلبي.

(٢) الكاراما معناها العمل، وهي في هذه الحالة معناها العمل الذي لا بد منه في الحياة فهناك ناموس جامد للعلة والمعلول، وللعمل والجزاء أديان العالم حبيب سعيد ص ٧٩ .

(٣) قصة الديانات - سليمان مظهر ص ٥٥ .

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٩ لأبي الريحان بن أحمد البيروني. الناشر عالم المكاتب - الطبعة الثانية ١٩٨٣ .

السابق مؤمنًا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معًا بموتى ولا ذاهبين ذهابًا لا رجوع معه، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ثم العود. وقال له: كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود، لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم، بل هي ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغصها، ولا ريح تيبسها، لكنها تنتقل من بدنها إذا عتق نحو آخر ليس كذلك، كما يستبدل اللباس إذا خلق. فما غمك لنفس لا تبيد، ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود، فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكل مولود ميت، وكل ميت عائد وليس لك من كلا الأمرين شيء إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور» [(١)].

ويظهر من النص السابق بقاء الروح وعدم فنائها بعد الموت **«ولا نحن معًا بموتى ولا ذاهبين ذهابًا لا رجوع معه»** [(٢)].

فهم يعتقدون في رجوع الروح، ولكنه رجوع إلى أي شيء، إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا لتستقر فيه، جزاءً على أعمال صاحبها.

وعقيدة رجوع الروح هذه جعلتهم لا يكترثون كثيرًا بالحياة، وجعلتهم يستعذبون الموت ولا يخافون منه **«كيف ينكر الموت من عرف أن النفس أبدية الوجود»** [(٣)]، ولكن الشيء الذي تستقر فيه الروح لا يتجدد إلا بعد معرفة النفس هل هي شريرة أم خيرة؟

وبناء على معرفتها ومحاسبتها يتجدد الشيء الذي تحل فيه، ومن هنا كان اعتقادهم في الحساب.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه.

ثالثًا: الحساب عند الهنود:

كما تصور المصريون القدماء الحساب تصور الهنود أن الحساب على الأعمال يكون بعد الموت مباشرة وكذلك الجزاء، ويعتقد الهنود «**أن الإنسان إذا مات ذهب به «زامون»** وهو من الزبانية إلى مجتمع القضاء، ويحمله مع المجتمعين فيه قائد مأمور إلى «**أتيرس**»، فأما النفس التي تشتهي الجسد، أو كان عملها شيئًا غير عدل ومشتهية بالأنفس القائلة هربت من هناك وتحيزت في كل نوع إلى أن يمر عليها أزمنة، **فيؤتى بها ضرورة إلى السكن الذي يشبهها**» (١).

والمسكن الذي يشبه تلك النفس السيئة هو أن تردد «**في النبات وخشاش الطير ومرذول الهوام وقذرها من القمل والدود**» (٢).

وأما النفس التي تبين أنها طاهرة «**فإنها تصادف مرافقين وقوادًا آلهة، وتسكن الموضوع الذي ينبغي**» (٣).

والسكن الذي ينبغي لمن استحق الاعتلاء والثواب من الأنفس هو «**أن يصير كأحد الملائكة مخالطًا للمجامع الروحانية غير محجوب عن التصرف في السماوات والكون مع أهلها**(٤)».

ولا شك لدينا أن فكرة الحساب والثواب والعقاب مصدرها الوحي عند كل الأمم ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

ولا شك أيضًا أن الهنود كأمة من الأمم جاءها نذير من الله بالأصول العقائدية التي يأتي بها جميع الأنبياء، ومن ضمن تلك الأصول الإيمان بالبعث والجزاء.

والنصوص التي عرضتها عن الحساب والثواب والعقاب - كما يقول الدكتور

---

(١) تحقيق ما للهند من مقوله ص ٤٠ .
(٢) نفسه ص ٤٧ .
(٣) نفسه ص ٤٧ .
(٤) نفسه.

«عمارة نجيب» – «قد انحدرت وتراجعت في العقيدة الهندية حتى صارت على هذا النحو، فالموجود منها الآن صورة مشوشة لعقيدة البعث والإيمان بالجزاء الصحيح» (١).

رابعًا: الجنة والنار:

قد يتبادر إلى الذهن بعد أن استعرضنا عقيدة البراهمة في تناسخ الأرواح أنه لم يكن عندهم جنة ولا نار، ولكننا وجدنا أنهم يعتقدون في الجنة، ويعددون الجهنميات، وهذا على حد تعبير الدكتور **«عمارة نجيب» «مما يثير التساؤل ويبعث على الغرابة»** (٢).

يشرح **«البيروني»** عقيدتهم في الجنة والنار فيقول: **«المجمع يسمى «لوك»** والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة، فيسمى العالم الأعلى **«سفرلوك»** وهو الجنة، والعالم الأسفل **«ناكلوك»** أي مجمع الحيات وهو جهنم، ويسمى أيضًا **«تركلوك»** وربما سموه **«ياتال»** أي أسفل الأرضين، وأما الأوسط الذي نحن فيه فيسمى **«مارلوك»**، **«مانشرلوك»**، أي مجمع الناس، والأوسط للاكتساب، والأعلى للثواب، والأسفل للعقاب، وفي هذين الأخيرين يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل، والكون في كل واحدة منهما للروح مجردة من البدن، وللعاجز عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم **«لوك»** آخر، يسمى **«ترجلوك»**، وهو النبات والحيوان غير الناطق يتردد الروح في أشخاصهما بالتناسخ، إلى أن ينتقل إلى الإنس على تدريج من **«أدون المراتب»** (٣) النامية إلى عليا المراتب الحساسة وكونها فيها على أحد وجهين.

الأول: إما لقصور مقدار المكافأة عن محلى الثواب والعقاب.

الثاني: وإما لرجوعها إلى جهنم. فعندهم أن العائد إلى الدنيا من الجنة متأنس في أول حالته، والعائد إليها من جهنم متردد من النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة

---

(١) الإنسان في ظل الأديان ص ١٩٦ – الناشر المكتبة التوفيقية.

(٢) نفسه ص ١٩٦ .

(٣) لعلها أدنى.

الإنسان» [١].

والنص يعني أن العائد من الجنة تحل روحه في إنسان، وأما العائد إلى الدنيا من جهنم فهو يتردد في مرتبة أدنى من الإنسان كالنبات والحيوان مدة معينة، حتى تكفر عنه سيئاته، فيرتقي إلى مرتبة الإنسان.

أما مقدار مكث الأرواح الخيرة في الجنة فتكون مدة كانت الأرواح فيها مثل المدة التي فعلوا فيها الخيرات، وتركوا المنكرات. أما الأرواح الشريرة فتنتقل إلى جهنم وهي المنزلة السفلى ثم بعد استيفاء الأرواح الخيرة مدتها في المرتبة العليا تنتقل إلى الإنسان، وكذلك الأرواح الشريرة بعد استيفاء مدتها في جهنم، تنتقل إلى الحيوان أو النبات أو الإنسان ثم تتدرج وتنقل إلى مرتبة أعلى.

وهنا يأتي التساؤل عن الشرير، هل ينال جزاءه في جهنم ثم يعود إلى الدنيا في جسد حقير؟ ولماذا يرجع إلى الجسد الحقير إذا كان قد نال جزاءه في جهنم؟ ومرد هذا التخبط يرجع إلى التدخل الفكري البشري القاصر على الوحي الإلهي الكامل.

ويلاحظ أن البراهمة لا يكتفون بجهنم واحدة، ولكنهم يعددون الجهنميات، وأكثر من ذلك يرون أن لكل ذنب جهنم خاصة به.

يقول «البيروني» «وهم من جهة الأخبار يكثرون عدد الجهنميات وصفاتها وأساميها ويقررون لكل ذنب منها محلا وقيل في «يشن تيران» إنها ثمانية وثمانون ألفا» [٢].

ومن النصوص التي وردت عنهم يتبين أن الثواب والعقاب عندهم في الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة عن البدن، ويكونان مؤقتين لأجل محدود لا دائمين [٣].

(١) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٤٦، ٤٧ .

(٢) نفسه.

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٦٢ للدكتور/ عبد الواحد وافي الناشر – دار نهضة مصر ١٩٧١.

حل التناقض بين التناسخ وبين الجنة والنار في اعتقاد (البراهمة)

ذكرنا من قبل عقيدة التناسخ عند الهنود، وأنها سمة مميزة لهم كما يقول البيروني، وأن البراهمة بعقيدتهم في التناسخ اعتبروا **«أن الأرض دار جزاء وثواب»** (١).

ورأينا عندهم نصوصًا يذكرون فيها الجنة والنار والثواب والعقاب. وهذا الجمع بين التناسخ ووجود الجنة والنار **«مما يثير التساؤل ويبعث على الغرابة»** (٢) كما يقول الدكتور **«عمارة نجيب»**.

وأميل إلى أن البراهمة لم يجمعوا بين عقيدة التناسخ والجنة والنار في وقت واحد، وإنما كان اعتقادهم في الجنة والنار أولا، مع عقيدتهم في الوحدانية، ومما هو جدير بالذكر أن الهنود كانت عقيدة الوحدانية متغلغلة في نفوسهم.

يقول **«ماكس مولر»** الثقة الحجة في اللغات الآرية:

أيا كان العصر الذي تم فيه جمع الأناشيد المسطورة في الرجفيدا فقبل ذلك العصر كان بين الهنود مؤمنون بالله الأحد الذي لا هو بذكر ولا بأنثى، ولا تحده أحوال التخصيص من قيود الطبيعة الإنسانية، وارتفع شعراء الفيدا في الواقع إلى أوج إدراكهم لكنه الربوبية لم ينزق إليه مرة أخرى غير أناس من فلاسفة الإسكندرية المسيحيين، لكنه فوق هذا لا يزال أرفع وأعلى مما يطيف بأذهان قوم يدعون أنفسهم بالمسيحيين (٣).

وهكذا يتفق العلماء في نتائجهم مع ما قرره القرآن الكريم من أن الناس كل الناس في ضمائرهم اعتراف بالله الأحد، وأن الرسل جاءوا إلى أممهم بالدعوة إلى الوحدانية والإنذار باليوم الآخر.

---

(١) أديان الهند الكبرى ص ٦٥ .

(٢) الإنسان في ظل الأديان ص ١٩٦ .

(٣) الله – كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ص ٧٥ الأستاذ/ عباس محمود العقاد الناشر دار المعارف بمصر – الطبعة السادسة ١٩٦٩ .

ثم بتقادم الزمن انحرف الناس عن العقيدة الصحيحة إلى التصورات المنحرفة، وكانت أمة الهند من تلك الأمم التي انحرفت عن الوحدانية وعن عقيدة اليوم الآخر.

* * *

المبحث الثالث

اليوم الآخر عند الفرس

اعتقد الفرس كما اعتقد المصريون والهنود في حياةٍ أخرى بعد الموت، يحاسب الإنسان فيها على أعماله ويجازى، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر. يقول **«الشهرستاني»**: ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين:

الأولى: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معادًا [١].

والأصل الثاني وهو المعاد اشترك فيه الفرس مع غيرهم من الأمم، فقد **«كانت البلاد الفارسية مسرحًا لكثير من الديانات، شأنها شأن الأمم التي شاركت في بناء اللبنات الأولى في الحضارة الإنسانية كالهند ومصر وبابل وآشور»** [٢]. وبعض هذه الديانات كما سبق أن أوضحنا عند المصريين والهنود احتلت فيها عقيدة الحياة الأخرى مكانًا بارزًا. وكانت ديانة الفرس أيضًا من الديانات التي احتلت فيها عقيدة الآخرة ذلك المكان البارز الواضح.

ويذهب الأستاذ **«العقاد»** إلى أن الفرس تأثروا بالمصريين والهنود في عقيدة البعث والجزاء، يقول: **«ولعلهم جمعوا بذلك بين عقيدة الهند في نهاية العالم وعقيدة المصريين في محاسبة الروح ووزن أعمالها في موقف الجزاء»** [٣]. ولكن الأمر ليس أمر

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٥٩ جـ ٢ .
(٢) الله والإنسان ص ٢٣١ الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب.
(٣) الله: كتاب في نشأة العقيدة الإلهية أ. العقاد ص ٨٨ نشر دار المعارف.

تأثر وتأثير حسب عقائدهم، وإنما هذا التشابه في التصور الإسلامي يرجع إلى إرسال الله رسلاً مبشرين ومنذرين إلى تلك الأمم، وهو التعليل للتشابه بين عقيدة الفرس والمصريين والهنود في الحياة الأخرى، وذلك قبل أن تنحرف تلك العقائد عن الدين الصحيح. ويرجع هذا التشابه أيضًا إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

تفصيلات ما بعد الموت

أولاً: حالة الروح:

اعتقد الفرس أنه «**لابد لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز قنطرة تصفى فيها**» [١] وهذه القنطرة مهمتها أن تميز الأرواح الطيبة من الأرواح الخبيثة، ولذلك «**فإن الروح تهب عليها ريح إما معطرة إذا كان الميت خيرًا، وإما نتنة إذا كان شريرًا، فتحمل إلى موضع يلتقي فيه إمّا بفتاة جميلة، وإما بعجوز مفزعة، وليست الأولى فتاة حقيقة ولا الثانية عجوزًا حقيقة، وإنما هي صورة أعمال الميت**» [٢].

ثانيًا: الحساب:

اعتقد الفرس في الحساب والميزان، وهي أشياء من بقايا العقيدة الصحيحة، ممزوجة بتصوراتهم البشرية، فتصوروا أن هناك «**معبرًا للحساب والحكم الأخير، وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم «ميتهرا»**»، وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسنات الميت وفي الأخرى سيئاته» [٣]، وبناء على ترجيح إحدى كفتي الميزان يكون الثواب أو العقاب للميت، ولعلنا نلاحظ أن تصور الفرس هو نفسه تصور المصريين القدماء، وهذا يؤكد أن العقيدة في أساسها واحدة لكل الأمم، لأن النفس البشرية فطرت على الوحدانية ولوازمها من الاعتقاد في الرجوع إلى الله بعد الحياة الفانية.

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٤٣٤ - ترجمة محمد بدران.

(٢) الفلسفة الشرقية للدكتور: محمد غلاب ص ١٩٥ .

(٣) نفسه ص ١٩٦ .

ثالثًا: النعيم والعذاب:

النار هي عذاب الذين اقترفوا السيئات ولم تثقل موازينهم في الخير، ولذلك اعتقد الفرس أن «**الروح الخبيثة لا تستطيع أن تجتاز القنطرة، فتتردى في درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت من ذنوب**»[١]. هذا الجحيم الذي تسقط فيه الأرواح الخبيثة عبارة عن «**جحيم مظلم ظلامًا كثيفًا**»[٢]، أو هو عبارة عن «**بحيرة متقدة بالنار، يهوى فيها الذين زادت في ثقل الميزان سيئاتهم عن حسناتهم**»[٣]. ويعلل الشهرستاني سبب عبادة المجوس للنار وتعظيمهم إياها «**ظنهم أن التعظيم ينجيهم في المعاد من عذاب النار**»[٤]. أما النعيم فالسماء هي الجزاء للذين فعلوا الخيرات «**أما أنفس الأبرار الذين حرصوا على أحكام النبي**[٥] **ووصاياه فإنهم يجوزون سالمين إلى السماء**»[٦].

وهناك رأي آخر يذهب إلى أن الأخيار «**يذهبون إلى النور، حيث يستقبلهم (أهورا مازدا) بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح والقول الخير والفكر الطيبة، وهناك يستمتعون في كنف (مازدا) بالسعادة الأبدية**»[٧].

والسعادة الأبدية هي الجنة في اعتقادهم، وهذه الجنة تصوروها بصورة حسية ملموسة، وجنة «**زرادشت**» تقع أقصى شرقي جبال «**هيراميرازينه**» ويرتفع الجبل متجاوزًا النجوم إلى عالم النور اللانهائي، ويصل إلى جنة «**أهورا مازدا**» في منزل

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٤٣٤ .

(٢) الفلسفة الشرقية ص ١٩٦ .

(٣) أديان العالم - حبيب سعد ص ١٦٦ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٧٤ بهامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم الناشر مكتبة السلام العالمية.

(٥) يقصد المؤلف «زرادشت» ولسنا معه في إطلاق لفظ النبي عليه، لأنه لم يرد نص يوضح ذلك فضلاً عن أن «زرادشت» شخصية مختلف حول وجودها أصلاً عند كثير من الباحثين - انظر الشيعة الغالية وتأثرها بالأديان المغايرة للإسلام ص ٣٥٤ للباحث فتحي الزغبي.

(٦) أديان العالم - حبيب سعد ١٦٦ .

(٧) الفلسفة الشرقية ص ١٩٦ .

النغم وهو أم الجبال، وقمته سابحة في العزة الأبدية، لا ليل ولا برد ولا مرض [١].

ويعلق الدكتور «عبد الواحد وافي» على عقيدة الفرس في الحياة بعد الموت، مقررًا أن الفرس تؤمن باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار [٢].

وهذه الأمور من بقايا العقيدة الصحيحة التي جاء بها الأنبياء إلى الأمم ومنهم أمة الفرس.

* * *

(١) الأسفار المقدسة ص ١٤٦ ، ١٤٧ نقلاً عن القصة في الأدب الفارسي.
(٢) الأسفار المقدسة ص ١٤٦ .

واقعات اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

ويشمل:

تمهيدًا عن المقصود باليوم الآخر بين الأديان الثلاثة.

ثم المباحث التالية:

المبحث الأول : الموت .

المبحث الثاني : البرزخ .

المبحث الثالث : علامات الساعة .

المبحث الرابع : البعث .

المبحث الخامس : الحشر .

المبحث السادس : صحائف الأعمال .

المبحث السابع : الحساب .

المبحث الثامن : الصراط .

المبحث التاسع : الميزان .

المبحث العاشر : الحوض .

المبحث الحادي عشر : الشفاعة .

المبحث الثاني عشر : الجنة والنار .

المبحث الثالث عشر : رؤية الله .

واقعات اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

تمهيد

المقصود باليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: المقصود باليوم الآخر في التصور الإسلامي

اليوم الآخر في الإسلام له إطلاقان:

الإطلاق الأول: يوم القيامة الذي تنتهي فيه الدنيا، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات. وهذا الرأي ذهب إليه جماعة من العلماء والمفسرين. يقول الإمام الطبري في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]: **«سميت آخرة لتأخرها عن الخلق، كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق»** [١] ويفهم من تفسير الطبري أن المراد بالآخرة يوم القيامة، وما فيه من عجائب وغرائب. وأما الذي وصف الله جل ثناؤه به المؤمنين بما أنزل إلى نبيه محمد ﷺ، وما أنزل من قبله من المرسلين من إيقانهم به من أمر الآخرة، فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين من البعث والنشور والثواب والعقاب والحساب والميزان وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة» [٢].

وينقل عن ابن عباس تفسير لقوله: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤] أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، أي لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك [٣].

---

(١) الطبري جـ ١ ص ٢٤٥ - تحقيق محمود محمد شاكر - أحمد محمد شاكر دار المعارف ط الثانية.

(٢) نفسه ٢٤٦ .

(٣) نفسه.

والإمام الفخر الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة :٨] يقول: «السؤال الثالث: ما المراد باليوم الآخر؟ الجواب: يجوز أن يراد به الوقت الممدد الذي لا حد له، وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع له أمد، ويجوز أن يراد به الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة «الجنة» وأهل النار «النار»، لأنه آخر الأوقات المحدودة، وما بعده فلا حد له» [(١)].

والإمام البيجوري يقول: «**واليوم الآخر هو يوم القيامة، وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح، وقيل إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار**» [(٢)].

هذا هو الإطلاق الأول، الذي ذهب إليه جماعة من العلماء والمفسرين، واليوم الآخر بهذا الإطلاق له أسماء كثيرة «**فله نحو ثلاثمائة اسم**»، وهو يحتل تلك المرتبة العليا بعد الإيمان بالله، إلى حد أنَّنا قلما نجد سورة في التنزيل إلا وللبعث واليوم الآخر فيها سهم وأي سهم.

الإطلاق الثاني:

يذهب بعض العلماء إلى أن اليوم الآخر يبدأ بالموت بالنسبة للإنسان، ويستدلون بقول الرسول ﷺ: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**» [(٣)].

يقول الإمام ابن كثير: وفي بعض الأحاديث أنه عليه السلام سئل عن الساعة فنظر إلى غلام فقال: «**لن يدرك هذا الهرم حتى تأتيكم ساعتكم**» [(٤)].

ويشرح ابن كثير هذا الحديث بقوله: «**والمراد انحراف قرنهم ودخولهم في عالم**

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ٢ ص ٦١، ٦٢ .

(٢) تحقيق المزيد شرح جوهرة التوحيد للإمام البيجوري ص ٢٢٠ – طبعة الإدارة العامة للمعاهدة الأزهرية.

(٣) نفسه وانظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ ١٦. ٢٩٥٩ طبعة دار الشعب.

(٤) الترمذي ج ٤ ص ٦٧٧ طبعة مصطفى الحلبي.

الآخرة، فإنّ كل من مات فقد دخل في حكم الآخرة» [١].

ولا يتبادر إلى الأذهان أن المقصود بقول الرسول: **«حتى تأتيكم ساعتكم»** اليوم الآخر على الإطلاق الأول الذي عرضناه، لأن الساعة بهذا المعنى لا يعلمها إلا الله. يقول ابن كثير: **«فأما الساعة العظمى وهي وقت اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فهذا مما استأثر الله تعالى بعلم وقته»** [٢].

واليوم الآخر الذي سندرسه على الصفحات القادمة ندرسه على الإطلاق الثاني الذي يبدأ بالموت وينتهي بالجنة أو النار. ويلاحظ أنه لا فرق بين الإطلاقين إلا من حيث عموم الإطلاق الثاني واشتماله على الموت كبداية للآخرة.

ثانيًا: المقصود باليوم الآخر في التصور النصراني

يسمى النصارى الآخرة **«بالاسخاتولجيا»**، وهي معنى مركب من كلمتين يونانيتين معناهما: **«الكلام في الآخرة، أي الأمور المختصة بمستقبل النفس ونهاية العالم، ومجيء المسيح الأخير والدينونة ونصيب الأبرار السماوي وقصاص الأشرار الأبدي»** [٣].

ونلاحظ أن هذا الإطلاق يحدد الآخرة من نهاية العالم ومجيء المسيح، أي القيامة الكبرى التي تبدأ بالبعث ومقدماته. ونفس الشيء يذكره **«القس فهيم عزيز»** يقول: **«والمعنى التقليدي لهذا الاصطلاح «اسخاتولجي»** هو الإعلام عن الأشياء الأخيرة فتتضمن العقيدة المختصة بنهاية العالم أو مجيء المسيح، والعقائد المختصة بمصير الأفراد الذين يموتون قبل نهاية العالم، كالعقيدة المختصة بالسماء والجحيم والمطهر» [٤]. والإطلاق الذي ذكره القس فهيم

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم جـ ١ ص ٣١ لابن كثير - الناشر دار التراث، والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم جـ ١ ص ٣١ .

(٣) علم اللاهوت النظامي ص ١١٦٧ تأليف الجنة من القساوسة - الناشر دار الثقافة المسيحية.

(٤) الفكر اللاهوتي في كتابات بولس ص ٣٩٧ الدكتور «القس فهيم عزيز» الناشر دار الثقافة.

عزيز نلاحظ أنه يدخل فيه أشياء مثل الموت والمطهر والسماء - وهذه أشياء تحدث للروح بعد الموت وقبل الآخرة - ومن الممكن أن نستنبط أن هذا يشبه الإطلاق الثاني عند المسلمين، الذي يجعل الآخرة تبدأ من الموت بالنسبة للإنسان، وهذا الإطلاق النصراني الذي يجعل الآخرة تبدأ بالموت يؤيده ما ذكره الدكتور جميل صليبا في تعريفه للآخرة. ورد في المعجم الفلسفي تحت الآخرة ما نصه «**موضع علم الآخرة هو البحث في المسائل المتعلقة بنهاية العالم ومصير الإنسان من موت وبعث وجنة ونار**» (١).

وهذا الإطلاق عند النصارى للآخرة يشابه الإطلاق الثاني عند المسلمين للآخرة وسوف نعرض الآخرة عند النصارى طبقًا للإطلاق الثاني الذي يحددها من موت الإنسان وما يحدث له بعد ذلك، وهو إطلاق يتضمن أيضًا البعث والجنة والنار، وغير ذلك من مشاهد القيامة.

ثالثًا: المقصود باليوم الآخر عند اليهود

من الأمور البالغة التعقيد لدى الباحث الآخرة عند اليهود، إذ أن الإشارات إليها تأتي عابرة مختلفًا حولها، هل المقصود بالآخرة اليوم الذي يبعث فيه الناس للجزاء والحساب؟ أو المقصود به يوم أخير بالنسبة لليهود وحدهم يستريحون فيه من الشقاء والحروب وينتصرون على أعدائهم؟ ويذهب كثير من الباحثين إلى أن التوراة خالية من الإشارة إلى البعث والحساب والجزاء. يقول حبيب سعد: «**من الغريب أنه بينما كان الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت من العقائد التي نادت بها أديان كثيرة في القديم مثل أمة الفرس فإن أمة إسرائيل لم تلتزم بهذه العقيدة**» (٢) ويرى الدكتور ظاظا أن اليهود لم يفكروا في الغيبيات إلا بعد أن تعرضوا للسبي البابلي، ثم التشتت في الأرض على أيدي الرومان (٣). ويحدد الدكتور ظاظا مفهوم الغيبيات الذي اتجه

---

(١) المعجم الفلسفي للدكتور/ جميل صليبا جـ ١ ص ٢٧ الناشر دار الكتاب للبناني ١٩٨٢ .
(٢) أديان العالم حبيب سعد ص ١٩٤ .
(٣) الفكر الإسرائيلي أطواره ومفاهيمه ص ١٠٩ .

تفكير اليهود إليه، فيذكر أن التفكير في الغيبيات كان يتخذ اتجاهين محددين هما: نهاية العالم، والخلاص على يد المسيح المنتظر [١]، ولكن جينبير يبين أن اليهود حين يتحدثون عن الآخرة لا يقصدون ما يقصده المسلمون أو النصارى.

يقول شارل جينيير: وكان اليهود بإطلاقهم اسم آخرة الأيام أو نحو ذلك، لم يكونوا على أدنى شبه بما استعمله المسيحيون أو المسلمون الذين يؤمنون بالآخرة، وبأنها قريبة جدًّا، فاليهود يسخرون منها، ويرون أنها بعيدة جدًّا، ولذلك أطلقوا عليها الاسم العبري **«أحرنيت هيَاميم»** التي معناها آخر الأيام أو الآخرة، وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئًا، لا على عهد موسى، ولا على عهد القضاة على الأقل في النص الموجود بين أيدينا [٢].

وإذا كانت أسفار موسى الخمسة وكذلك أسفار الأنبياء لا تعطينا تحديدًا دقيقًا لليوم الآخر عند اليهود، فإن مفكري اليهود وعلماءهم نجد عندهم تصريحًا بالإيمان بالبعث والآخرة. يقول سعديا الفيومي: **«إن إحياء الموتى الذي عرفنا ربنا أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعة عليه»** [٣] فهذا نص يبين أن البعث يجمع عليه اليهود، ولكن يخرق الإجماع الذي يزعمه سعديا الفيومي أن هناك فرقًا يهودية تنكر البعث ولا تؤمن به، من هذه الفرق (الصدوقيون) [٤] والذي يهمنا في نص سعديا الفيومي أن هناك تحديدًا للآخرة. وهي تكون ببعث الأحياء من الموت للجزاء. وموسى بن ميمون من علماء اليهود يقول: **«أنا أومن إيمانًا كاملاً بقيامة الموتى في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن،**

(١) نفسه ١٠٩/١١٠ .

(٢) انظر الفكر الديني أطواره ومفاهيمه ص ١١/١١٢ ففيه تلخيص لرأي جنيبير.

(٣) الأمانات والاعتقادات ص ٢١١ لسعديا الفيومي طبعة لندن ١٨٨٢ موجود في دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧ لاهوت.

(٤) انظر على سبيل المثال قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٣٥ وانظر الأسفار المقدسة وغيرها كثير.

وإلى أبد الآبدين» [١]. ونص ابن ميمون يتفق مع نص سعديا الفيومي في أن الآخرة تبدأ من قيامة الأموات، أي من البعث والنشور، واليهود على عهد رسول الله ﷺ كانوا يقرون بالقيامة والآخرة التي تبدأ بتبدل الأرض غير الأرض والسماوات. روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: «وجاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم، إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، والماء على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحبر تصديقًا له، ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر :٦٧][٢].

وهذه النصوص سواء لسعديا الفيومي، أو لابن كمونة أو لليهود على عهد رسول الله ﷺ يمكن أن تعطى تحديدًا للمقصود بالآخرة عند اليهود التي تبدأ من قيام الأموات للبعث وتبدل الأرض والسماوات، وسوف نزيد الأمر وضوحًا عند الحديث عن البعث عند اليهود.

* * *

---

(١) نقلاً عن الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ١٥٩ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥١٥ طبعة عيسى الحلبي، الزمر ٦٧ .

المبحث الأول

الموت بين الإسلام والنصرانية واليهودية
أولًا: الموت في التصور الإسلامي

حقيقة الموت:

إن الموت حقيقة واقعة يراها البشر جميعًا أمامهم، تختلف أسبابه، ولكن حقيقته واحدة، وهي انقطاع الإنسان عن الحياة الدنيا وانتقاله إلى عالم آخر غير العالم الذي كان يعيش فيه، ويعرفه العلماء بتعريفات كثيرة [١] تدور حول انقطاع تعلق الروح بالبدن فيذكر القرطبي تعريف العلماء له بأنه **«ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته والحيلولة بينهما»** [٢].

وورد في التعريفات للسيد الجرجاني تعريف الموت بأنه **«صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة»** [٣]. ويعرفه ابن مسكويه بأنه **«ليس شيء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنًا كما يترك الصانع آلاته»** [٤].

---

(١) يذهب البعض إلى تعريف الموت بأنه إماتة الشهوات، ويسمون ذلك الموت الإرادي أو الموت الروحي، ولما كان غرضنا من البحث الحديث عن الموت بمعناه البدني رأينا الاقتصار على التعريفات التي تتحدث عن الموت بمعناه المتعارف لدى الجميع وهو مفارقة الإنسان للحياة. انظر التعريفات للسيد ص ٢١١ وانظر تهذيب الأخلاق لابن مسكوية ص ١٧٧ ، وانظر المعجم الفلسفي جـ ٢ ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

(٢) التذكرة بأحوال الموتى والآخرة جـ ١ ص ١ للإمام القرطبي. تحقيق الدكتور أحمد حجازي - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠ م.

(٣) التعريفات للسيد الجرجاني ص ٢١١ الناشر البابي الحلبي ١٩٣٨ .

(٤) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ١٧٥ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ط الثانية.

ويربط الإمام الجويني بين تعلُّق الروح بالبدن وبين الحياة وبين مفارقة الروح للبدن وبين الموت، فيقول: «**والأظهر عندنا أن الروح أجسام لطيفة متشابكة للأجسام المحسوسة، أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة**»(١).

وإذا كانت التعريفات التي ذكرتها كلها تجمع على أن الموت معناه مفارقة الإنسان للحياة الدنيا، فإن التعريفات الطبية للموت تجمع على تلك الحقيقة، وإذا اختلفت فيما بينها على تحديد أسبابه فإنها تجمع على وقوعه للكائنات كلها، فيعرفه العلماء والمحدثون بأنه «**فقدان الجسم لفاعليته**» وبأنه «**انتهاء عملية الأجزاء التركيبية وتجمد الأنسجة العصبية**» (٢).

وكل هذه التعريفات تجمع على أن الموت هو توقف الحياة عن الإنسان في الدنيا ولما كان هناك وجه شبه بين النوم والموت يحسن بنا أن نشير إلى الفرق بين ظاهرتي النوم والموت.

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢] والمقصود من الآية والله أعلم: أن الله تعالى يتوفى الأنفس عند النوم إلا أنه يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى لحين موتها.

ويذكر الفخر الرازي - بتحليل دقيق - الفرق بين النوم والموت - بناء على كمال تعلق النفس بالبدن - فيذكر أن - النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالبدن حصل ضَوْءُهُ في جميع الأعضاء وهو الحياة، فنقول: إنه

---

(١) الإرشاد للإمام الجويني ص ٣٧٧ تحقيق محمد يوسف موسى عبد المنعم علي . الناشر مكتبة الخانجي ١٩٥٠ .

(٢) الإسلام يتحدى ص ٧٢ - ٧٤ - للأستاذ وحيد الدين خان - الناشر مكتبة القرآن.

في وقت النوم ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه، ولا ينقطع ضوؤه عن باطن البدن، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد، إلا أن الموت انقطاع كلي والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه. وإذا ثبت هذا ظهر أن القادر العالم الحكيم دبَّر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يقع ضوء النفس على البدن بالكلية ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة.

ثانيها: أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم.

ثالثها: أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت. فثبت أن الموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفيًا للنفس، ثم يمتاز أحدهما عن الآخر بخواص معينة في صفات معينة، ومثل هذا لا يصدر إلا عن القادر العليم الحكيم» (١).

وبهذا التوضيح يتبين أن بين الموت والنوم شبهًا من جهة أن النفس ترتفع عن ظاهر البدن في النوم، ومن هنا نجد الإنسان في النوم متخففًا من أثقال البدن (٢) وتنتقل روحه إلى عالم آخر إلى حين اليقظة فترد روحه إليه، ووجه المفارقة بين الموت والنوم أن النفس ترتفع عن البدن ظاهرًا وباطنًا عند الموت، فتتنعم إن كان الميت من الصالحين وتتعذب إن كان من الطالحين (٣).

وبعد هذه التفرقة بين ظاهرة الموت والنوم يأتي هذا التساؤل هل الموت ظاهرة تعتري البدن أو النفس؟

وقبل أن نجيب على هذا التساؤل يجدر بنا أن نبين المعاني المختلفة التي تطلق

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٦ ص ٢٨٤، وانظر روح المعاني للألوسي الجزء ٢٤ ص ٧ - ٩ ، وانظر تهافت التهافت لابن رشد ص ٨٣٣ - ٨٣٤ القسم الثاني.

(٢) انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لابن الفرضى ٣٤٢ تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ.

(٣) سنتحدث عن هذا بالتفصيل عند الحديث عن عذاب القبر ونعيمه.

عليها النفس، بخاصة وأنه قد مرَّ بنا عند تعريفنا للموت إطلاق النفس على الروح، وترتب الموت على مفارقتها للبدن. يذكر شارح العقيدة الطحاوية وابن القيم في كتابه الروح أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولها تارة ويختلف تارة أخرى، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالبًا ما تسمى نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن، أما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، وتطلق النفس على الدم، ففي الحديث «**ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه**»، والنفس تطلق على ذات الإنسان يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور :٦١] وتطلق النفس على العين الحاسدة، يقال أصابت فلانا نفس، أي عين، أما الروح فلا تطلق على البدن لا على انفراده، ولا مع النفس، وإنما تطلق على القرآن تارة، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى :٥٢] وتطلق الروح على جبريل أيضًا، يقول تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء :١٩٣] وتطلق الروح تارة أخرى على ما يؤيد الله به أولياءه، يقول تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة :٢٢] وتطلق الروح على ما هو أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه [(١)].

أما عن الموت هل يقع على البدن أم على النفس بمعنى الروح؟

فإن العلماء مختلفون في ذلك. يقول ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: «**اختلف الناس هل تموت الروح في النفس أم لا؟ فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن :٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت، وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء،**

---

(١) انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٣٤٣، والروح لابن القيم ص ٥٥ .

وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لا تقطع عنها النعيم والعذاب (١).

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران :١٦٩-١٧٠] هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وذاقت الموت» (٢). ونحن نرجح أن النفس بمعنى الروح باقية وأنها لا تفنى ولا تعدم.

وبعد أن بيّنا هذه الأمور بالنسبة للفرق بين النوم والموت، وهل الموت ظاهرة تعتري البدن أو النفس، وأوضحنا معنى موت النفس الذي ذكره الله في القرآن، نذكر عدة حقائق ركّز عليها القرآن بالنسبة للموت، منها:

أولاً: الموت عام لكل البشر:

يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة :٦٠-٦١] يقول ابن كثير: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة :٦٠] أي صرفناه بينكم»، وقال الضحاك: «**ساوى فيه بين أهل السماء والأرض**» (٣).

ويقول عز وجل: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء :٧٨] وهذه الآية تعني أن الناس جميعًا صائرون إلى الموت لا محالة، ولا ينجو منه أحد كائنًا من كان، حتى رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء :٣٤]

(١) من هؤلاء ابن رشد الفيلسوف - انظر تهافت التهافت ص ٨٣٣ - ٨٣٤ القسم الثاني تحقيق الدكتور/ سليمان دنيا - دار المعارف - الطبعة الثانية.

(٢) الروح لابن القيم ص ٥٥ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٩٥ طبعة عيسى الحلبي.

والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء فالكل له أجل مُحتَّم.

والله عز وجل حين يقرر في القرآن الكريم أن الموت لا بد وأن تذوقه كل نفس ولا بد أن يقع على الجميع لا يقدم سببًا لذلك سوى أن الله وحده هو الحي الذي لا يموت وأن الموت مقدر على كل نفس سواه عز وجل.

هذا الذي يذكره القرآن الكريم ويعتقده المسلمون غير ما يذهب إليه النصارى من أن «**موت الإنسان كان نتيجة من نتائج السقوط في الخطية، وأن الإنسان حين يرتضى نعمة الله لا يحفظه شيء من الموت**» (١).

ويستدل أحد علماء النصارى على عقيدة النصارى في ترتب الموت على الخطية بفقرة في سفر التكوين تقول: «**إن آدم أبعد عن شجرة الحياة التي كانت تجعله خالدًا، أي أنه فقد نعمة الخلود بابتعاده عن الله مصدرها، ويعتبر أن الموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية، فإن الله خلق الإنسان خالدًا وصنعه على صورة ذاته**» (٢).

ثانيًا: الموت والحياة بأمر الله وحده:

يقرر القرآن الكريم أن الموت لا يقع إلا بأمر الله. يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [آل عمران :١٥٦].

أي أن الله بيده الخلق، وإليه يُرجع الأمر كله، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزاد في عمره ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ [ق :٤٣].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «**إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته. وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم، ثم يميتهم، ثم يبعثهم كلهم ليوم**

---

(١) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٩٣ تأليف كوستلى يندلى وآخرين منشورات النور بيروت.

(٢) المصدر السابق ص ٩٣، ٢٧٩ - وسوف نناقش النصارى في عقيدتهم تلك عند الحديث عن العلاقة بين الموت والخطيئة في مفهوم النصارى.

الجمع» [١].

وفي القرآن الكريم آيات كثير جدًّا توضح وتبين أن الموت بيد الله وحده، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [المؤمنون :٨٠] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر :٦٨]. كل هذه الآيات تؤكد أن الموت والحياة بيد الله وحده، وليس لبشر أيًّا كانت قدرته على موت أحد إلا بإذن الله وحده، والذي يذكره القرآن الكريم ويعتقده المسلمون بخلاف ما عليه النصارى، إذ يعتقدون أن الموت ليس من صنع الله، ولا يسره هلاك الأحياء» [٢].

وقد ورد في القرآن الكريم إضافة التوفي إلى الله تارة، وإلى الملائكة تارة، وإلى ملك الموت تارة أخرى، فكيف يوفق بين هذه الآيات وبين ما يؤكد عليه القرآن الكريم من أن الموت بيد الله وحده؟ يقول القرطبي: **«إن قال قائل: كيف الجمع بين هذه الآي، وكيف يقبض ملك الموت في زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب؟ قيل له: اعلم أن التوفي مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئًا، فتارة يضاف لملك الموت لمباشرته ذلك، وتارة أخرى إلى أعوانه من الملائكة لأنهم قد يتولون ذلك أيضًا، وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل:** ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر :٤٢] وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الحج :٦٦] وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الملك :٢] فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره» [٣]. وبهذا يزول ما يظن أنه تعارض بين آيات القرآن بعضها والبعض الآخر، ويثبت أن الموت بأمر الله وحده، وأن الذين أضيف إليهم التوفي من الملائكة أو ملك الموت فإنهم يتصرفون بأمر الله القادر على الموت وحده.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٤٩ .

(٢) انظر مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٣) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٨٤ - ٨٥ وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٩٩ .

ثالثًا: أن لكل نفس أجلًا معلومًا:

يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] وأن ذلك الأجل المقدَّر لكل إنسان لا يعلم زمانه ولا مكانه إلا الله وحده.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان :٣٤] يقول ابن كثير: «**أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بحر أو بر أو سهل أو جبل**» [١] ويروي حديثًا عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال: «**ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة**» [٢].

والقرآن الكريم وهو يتحدث عن الموت لا يذكر شيئًا عن الأشياء التي تسبب الموت ولكنه يصور عجز البشر عن رد الحياة لإنسان أراد الله له الموت. يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة :٨٣-٨٧]، وهذه الآية تصور عجز البشر التام عن رد الحياة لإنسان قدّر الله له الموت. فالجميع من حوله وهم يعلمون أنه يحتضر، ولكن لا يملكون أن يردوا النفس بعد أن بلغت الحلقوم إلى مكانها الذي لا يعلمه إلا الله وهي من أبلغ الآيات التي يتحدى الله بها البشر على قدرته وتصرفه في خلقه.

وهنا نتطرق إلى مبحثٍ من الفائدة أن نذكره هنا ونحن نتحدث عن الأجل المعلوم الذي قدره الله لكل إنسان.

المقتول هل هو ميت بأجله أم لا؟

يرى أهل السنة أن كل مقتول ميت بانقضاء عمره وحضور أجله في الوقت الذي علم الله حصول موته فيه أزلًا بخلقه تعالى من غير مدخليّه للقاتل فيه، وإنما

(١) ابن كثير جـ ٢ ص ٤٥٥ .

(٢) نفسه جـ ٣ ص ٤٥٦ .

القصاص يجب على القاتل للكسب. وعند أهل السنة أن المقتول لو لم يقتل لجاز في ذلك الوقت أن يموت وأن لا يموت فيه، لأنه لا اطلاع لنا على ما في علم الله.

يقول إمام الحرمين في الإرشاد: «إن كل من يقتل فقد مات بأجله، والمعنى بذلك أن الذي قُتل عَلِم الله تعالى في أزله مآل أمره، وما علم أنه كائن فلا بد أن يكون، فإن من علم الله تعالى أنه يقتل فإنه يقتل لا محالة، فإن قدَّر مقدِّر عدم القتل وقدر معه أن يكون المعلوم أنه لا يقتل فلا يمكن مع هذا التقرير القطع بامتداد العمر ولا القطع بالموت في وقت القتل بدلاً منه، بل كل جائز عقلا لا يمتنع تقديره، فهذا ما لا يسوغ غيره، وقد شهدت آي من كتاب الله تعالى على أن كل هالك مستوف أجله، منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١][(١)] وما ذهب إليه إمام الحرمين يؤكده الغزالي بقوله: «**إن من قتل ينبغي أن يقال إنه مات بأجله؛ لأن الأجل عبارة عن الوقت الذي خلق الله تعالى فيه موته، سواء كان معه ضرر فيه أو كسوف قمر أو نزول مطر، لأن كل هذه عندنا مقترنات وليست مؤثرات**» [(٢)].

والقاضي عبد الجبار من المعتزلة يرى: «أن من مات حتف أنفه مات بأجله، وكذا من قتل فقد مات بأجله أيضًا، ولا خلاف في هذا، والدليل عليه أن الأجل ليس المراد به هنا إلا وقت الموت، وهما قد ماتا جميعًا في وقت موتهما» [(٣)].

وبهذا يتبين أنه ليس خلاف بين القاضي عبد الجبار في هذه المسألة وبين أهل السنة وإنما الخلاف بين القاضي عبد الجبار وبين بعض شيوخ المعتزلة – وبين بعض شيوخ المعتزلة وأهل السنة في أنه لو لم يقتل كيف يكون حاله في الحياة والموت؟.

---

(١) انظر الإرشاد ص ٣٦٢ – ٣٦٣ بتصرف وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٠٠ – ٢٠٢.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص ١٨٧ – الناشر مكتبة الجندي.

(٣) الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار ص ٧٨٢ – الناشر مكتبة وهبة.

يقول القاضي عبد الجبار: «**الخلاف في المقتول لو لم يقتل كيف كان يكون؟ فعند شيخنا أبي الهذيل أنه كان يموت قطعًا لولاه، وإلا يكون القاتل قاطعًا لأجله، وذلك غير ممكن، وعند البغدادية أنه كان يعيش قطعًا**» (١).

ثم يبين القاضي عبد الجبار رأي جمهور المعتزلة (٢) في تلك المسألة بقوله: «**والذي عندنا أنه كان يجوز أن يحيا ويجوز أن يموت، ولا يقطع على واحد من الأمرين، فليس إلا التجويز**» (٣) ويُفنّد صاحب الأصول الخمسة ما ذهب إليه أبو الهذيل بقوله: «**وأما ما قاله أبو الهذيل فليس يصح، لأن ذلك الأجل الذي لو لم يقتل فيه لبقى إليه أجل غير محقق، فكيف يلزم أن يكون قاطعًا لأجله**» (٤).

ويستدل أهل السنة بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران :١٥٨]. فإن المقتول ميت بأجله، والمعنى «**ولئن متم من غير سبب أو قتلتم بسبب لإلى الله تحشرون**» (٥).

ويستدلون أيضًا بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران :١٨٥] على أن المقتول يسمى بالميت (٦). وبعد عرضنا للأدلة يتبين لنا أن ما ذهب إليه أهل السنة هو الحق، وأن الكثرة من المعتزلة يذهبون إلى أن المقتول ميت بأجله، ولا يجزمون برأي فيما لو فرض عدم موت المقتول حين القتل، كما ذهب إلى ذلك أهل السنة، وأن من شذ من المعتزلة فقد كفانا القاضي عبد الجبار مؤنة الرد عليهم وتفنيد أدلتهم.

---

(١) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٨٨٢ الناشر مكتبة وهبة.
(٢) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري جـ ١ ص ٣٢٢، يذهب الأشعري إلى أن أكثر المعتزلة على أن الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل، فإذا قتل قتل بأجله وإذا مات مات بأجله.
(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٨٣ .
(٤) نفسه ص ٧٨٣ .
(٥) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٠١ .
(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٩ ص ١٢٥ .

رابعًا: حال المؤمنين والكافرين ساعة الاحتضار والمآل الذي يصيرون إليه:

يصور القرآن الكريم حالة المؤمن وحالة الكافر عند خروج الروح أثناء الموت، فالروح والريحان للمؤمن. يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة :٨٨-٩١] وهذه الآية تبين حالة المؤمن عند خروج الروح. والمآل الذي يصير إليه إن كان من المقربين أو كان من أصحاب اليمين.

والحميم والجحيم للكافر المكذب. يقول الله تعالى عن الميت ساعة خروج روحه: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة :٩٢-٩٤]. ويقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال :٥٠] ونفس المصير يتعرض له الظالمون عند خروج الروح. يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام :٩٣].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «**إن الكافر إذا احتضر بَشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم**» [(١)].

وكما رأينا فإن القرآن الكريم يذكر عن الموت حقائق أساسية؛ لئلا يضل الإنسان، ولأن الموت بداية لرحلة طويلة يقطعها الإنسان في عالم آخر يختلف عن الدنيا، ومن هنا كثرت الإشارة إليه على النحو الذي ذكرنا.

ولأهمية الموت وما يقع بعده حث الرسول ﷺ المسلمين على تذكره والعمل

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٠٧ .

لما بعده باعتبار أنه أمر لا مفر منه وأن تذكره يحفز للعمل لما بعده.

روى النسائي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا ذكر هاذم اللذات»** (١) ويفسر القرطبي في تذكرته هاذم اللذات فيقول: **«يعني الموت»** (٢).

وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فجاء رجل من الأنصار، فسلم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: **«أحسنهم خلقًا»** قال: أي المؤمنين أكيس؟ قال: **«أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا أولئك الأكياس»** (٣).

وهكذا نرى اهتمام الرسول ﷺ والقرآن الكريم بالموت والحث على ذكره والعمل لما بعده.

ولعلماء الإسلام استنباطات قيمة من القرآن الكريم في أمر الموت، ما بين معتبر إياه نعمة كبرى من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وما بين واقف عند بعض ألفاظ القرآن الكريم التي تعتبره مصيبة، وعلى كل الأحوال فهو **«مصيبة يصاب بها الإنسان، ولا يقدر أن يدفعها عن نفسه، ولا أن يدفعها أحد عنه، وهو مع ذلك نعمة كبرى إذا كان قنطرة يعبر عليها الإنسان الصالح إلى الجنة»** يقول القرطبي في التذكرة: **«وهو - أي الموت - من أعظم المصائب وقد سماه الله تعالى مصيبة في قوله: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة :١٠٦]** فالموت هو المصيبة الكبرى والرزية العظمى» (٤) هكذا يراه القرطبي، وهو يقف في نظرته تلك عند حدود ألفاظ القرآن الكريم التي تصف الموت بأنه مصيبة، ولكن الراغب الأصفهاني في كتابه **«تفصيل النشأتين»** ينظر إلى الموت على أنه نعمة أنعم الله بها على الإنسان، يقول عن الموت «فالموت باب من أبواب الجنة، منه يتوصل إليها، ولو لم يكن موت لم تكن جنة، ولذلك منَّ الله

---

(١) رواه النسائي جـ ٤ ص ٤ الناشر دار الفكر بيروت - الطبعة الأولى.
(٢) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ١٤ .
(٣) رواه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٤٢٣ - الناشر دار الفكر الحديث.
(٤) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٣ بتصرف يسير جدًا.

به على الإنسان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك :٢] فقدم الموت على الحياة تنبيها على أنه يتوصل به إلى الحياة الحقيقية، وعدّه علينا نعمة ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة :٢٨]، فجعل الموت إنعامًا، لأنه لما كانت الحياة الأخروية نعمة لا وصول إليها إلا بالموت فالموت نعمة، لأن السبب الذي يتوصل به إلى النعمة نعمة.

وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون :١٤-١٦] فنبه على أن هذه التغيرات خلق أحسن» [1].

والذي ذهب إليه الراغب الأصفهاني يستحق الوقوف عنده والتأمل فيه، فقد دعا الرسول ﷺ أمته أن يدعو الواحد منهم ربه بهذا الدعاء الذي رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»** [2].

وأيضًا اعتبر رسول الله ﷺ أن الموت خير للمؤمن من الفتن.

روى الإمام أحمد بسنده عن محمود بن لبيد مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: **«اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب»** [3].

والإمام الغزالي ينظر إلى الموت لا باعتباره هو، ولكن باعتبار الشخص الذي يقع عليه الموت يقول في كتابه **«ميزان العمل»**:

---

(١) تفصيل النشأتين ص ٦١ للراغب الأصفهاني نقلاً عن الله والإنسان ص ٢١٩ للأستاذ/ عبد الكريم الخطيب.

(٢) صحيح البخاري جـ ٤ ص ١٠٥ ، ١٠٦ - طبعة عيسى الحلبي.

(٣) مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ٤٢٧ - الناشر دار الفكر العربي.

الناس عنده – أي الموت – ثلاثة أقسام:

الأول: ذو بصيرة علم أن الموت يعتقه والحياة تسترقه، وأن الإنسان وإن طال في الدنيا مكثه فهو كخطفة برق لمعت في أكناف السماء ثم عادت للاختفاء، فلا يثقل عليه الخروج من الدنيا إلا بقدر ما يفوت من خدمة ربه عز وجل، والازدياد من تقربه، والإشفاق مما يقول أو يقال له، كما قال بعضهم لما قيل له: لم تجزع؟ قال: لأني أسلك طريقا لم أعهده وأقدم على رب لم أره، ولا أدري ما أقول وما يقال لي. ومثل هذا الشخص لا ينفر من الموت»[1] فهذا الشخص في نظر الإمام الغزالي لا ينفر من الموت بل أكثر من ذلك أنه «**إذا عجز عن زيادة العبادة ربما اشتاق إليه**»[2].

الثاني: رجل رديء البصيرة، متلطخ السريرة، منهمك في الدنيا، منغمس في علائقها، رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها، ويئس من الدار الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، فإذا خرج إلى دار الخلود أضرَّ به – أي الموت – كما تضر رياح الورد بالجعل[3]. وإذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العلا ومصباح الملأ الأعلى، فكان كما قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء :٧٢].

الثالث: رتبة بين رتبتين. رجل عرف غوائل هذا العالم، وكره صحبته، ولكنه أنس به وألفه، فسبيله سبيل من ألف بيتا مظلمًا قذرًا ولم يرَ غيره، فهو يكره الخروج منه وإن كان قد كره دخوله، فإذا خرج ورأى ما أعد الله للصالحين لم يتأسف على ما كره فواته، بل قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥]»[4]، بهذه النظرة الثاقبة استطاع «**الإمام الغزالي**» أن

---

(١) ميزان العمل ص ١٦٣ للإمام الغزالي – الناشر مكتبة الجندي.

(٢) نفسه.

(٣) الجعل – حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية. المعجم الوسيط جـ ١ ص ١٢٦ .

(٤) انظر ميزان العمل ص ١٦٣ – ١٦٤ .

يبين موقف الشخص بالنسبة للموت، فهو نعمة عظمى للرجل الصالح [١] لأنه يوصله إلى النعيم، وهو مصيبة كبرى للرجل الطالح لأنه يوصله إلى الجحيم.

ومما تجدر الإشارة إليه سريعًا أن العلم الحديث بالرغم من تقدمه الهائل لا يستطيع أن يقدم تفسيرًا لحدوث الموت، ولا يستطيع أيضًا أن يرد الموت عن إنسان أراد الله له الموت، يقول الأستاذ وحيد الدين خان: **«إن الذين لا يؤمنون بالعالم الثاني - الآخرة - يحاولون بدافع الغريزة أن يجعلوا من هذا الكون عالمًا أبديًا لأفراحهم، ولذلك بحثوا كثيرًا عن أسباب الموت؛ حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع هذه الأسباب من أجل تخليد الحياة، ولكنهم أخفقوا إخفاقًا ذريعًا. وكلما بحثوا في هذا لموضوع رجع إليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت وأنه لا مناص منه»** [٢].

غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه:

من الأمور التي تترتب على الموت في التصور الإسلامي: غسل الميت وتكفينه ودفنه والصلاة عليه.

يقول البغدادي في أصول الدين: **«للأموات ثلاثة أحكام، منها حكم الكفن والمؤونة والغسل والدفن، فأما حكم الكفن والمؤونة والغسل فإنه أول ما يبدأ به من رأس مال الميت قبل الديون والوصايا»** [٣].

وغسل الميت واجب عند الجمهور، يقول ابن حجر في الفتح: **«الجمهور على وجوبه، وقد رد ابن العربي على من لم يقل بذلك، وقد توارد به القول والعمل وغُسِّل الطاهرُ المطهَّر فكيف بمن سواه»** [٤].

---

(١) الإسلام يتحدى ص ٧٩ - ٨٠ للأستاذ / وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الإسلام خان، وانظر اليوم الآخر والحياة المعاصرة ص ٦٣ للدكتور/ عبد الغني عبود.

(٢) الإسلام يتحدى ص ٧٩ - ٨٠ للأستاذ/ وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، وانظر اليوم الآخر والحياة المعاصرة ص ٦٢ د. عبد الغني عبود.

(٣) أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٠ - الطبعة الثالثة ١٩٨١ دار الكتب العلمية.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني جـ ٣ ص ٩٧ دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثانية ١٩٨١ .

والدليل عليه ما رواه البخاري عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال: **«اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك - إن رأيتن ذلك - بماء وسدرٍ؛ واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن فَآذِنَّني»** فلما فرغنا آذناه، فأعطانا حقوه، فقال أشعرنها إياه». يعني إزاره [١].

والحديث يدل على وجوب الغسل للميت واستحباب تطييب الماء الذي يغسل به الميت. قال في الفتح: **«وظاهره جعل الكافور في الماء، وبه قال الجمهور، وقال النخعي والكوفيون إنما يجعل في الحنوط، أي بعد انتهاء الغسل والتجفيف. قيل: الحكمة في الكافور مع كونه يطيب رائحة الموضع لأجل من يحضر من الملائكة وغيرهم، أن فيه تجفيفًا وتبريدًا وقوة نفوذ وخاصية في تصليب بدن الميت وطرد الهوام عنه، وردع ما يتحلل من الفضلات، ومنع إسراع الفساد إليه، وهو أقوى الأرابيح الطيبة، ويجزئ كل رائحة طيبة غير الكافور»** [٢] وقوله ﷺ **«أشعرنها إياه»** أي اجعلن الإزار شعارها أي الثوب الذي يلي جسدها.

ويستحب المسارعة إلى تجهيز الميت إذا تيقن موته لأنه أصون له وأحفظ أن يتغير. قال الإمام أحمد: كرامة الميت تعجيله لما رواه أبو داود أن النبي ﷺ قال: **«إني لأرى طلحة . . . وقد حدث فيه الموت، فآذنوني به وعجلوا فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله»** قال صاحب المغني: **«ولا بأس أن ينتظر بها مقدار ما يجتمع لها جماعة لِمَا يؤمل من الدعاء له إذا صلى عليه ما لم يخف عليه أو يشق على الناس»** [٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤمن لا ينجس حيًا ولا ميتا [٤]. قال ابن

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ٣ ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ .
(٢) انظر فتح الباري جـ ٣ ص ١٠٠، ١٠١ .
(٣) المغنى لابن قدامة أبي عبد الله بن أحمد بن قدامة جـ ٢ ص ٤٥٢ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.
(٤) بعكس ما نجد عند اليهود إذ يعتبرون أن الميت نجس وسنتعرض لهذا عند الحديث عن غسل الميت عند اليهود.

عباس رضي الله عنهما: **«المسلم لا ينجس حيًا ولا ميتًا»** وقال سعد: **«لو كان نجسًا ما مسسته»** [(١)].

وهذا النفي ينفي عن المؤمن كونه نجسًا حقيقة ومجازًا.

تكفين الميت:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية من كرسف، ليس فيهن قميص ولا عمامة [(٢)] ووجه الاستدلال بالحديث أن الله لم يكن ليختار لنبيه إلا الأفضل، والثلاثة الأثواب ليست شرطًا في صحة الكفن، وإنما يستحب ذلك، وهذا ما عليه الجمهور [(٣)]، ويجزئ ثوب واحد.

الصلاة على الميت:

أما الصلاة على الميت فقد فعلها الرسول ﷺ وحث عليها.

روى البخاري بسنده، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فصلوا عليه، فصففنا، فصلى النبي ﷺ ونحن صفوف»** [(٤)].

وقد استدل الفقهاء بهذا الحديث على مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد، قال بذلك الشافعي وأحمد وجمهور السلف، حتى قال ابن حزم: **«لم يأت عن أحد من الصحابة منعه»** [(٥)].

وحث الرسول ﷺ على اتباع الجنائز والصلاة عليها. روى البخاري بسنده عن

---

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ٩٨، ٩٩ .

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٠٥ .

(٣) نفسه.

(٤) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٤٦ .

(٥) فتح الباري جـ ٣ ص ٤٦ .

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد جنازة حتى يصلي فله قيراط، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان»**. قيل: وما القيراطان؟ قال: **«مثل الجبلين العظيمين»** (١).

وهذا الحديث فيه بيان رأفة النبي ﷺ ورحمته بأمته إذ إن شهود الجنازة والصلاة على الميت فيه ثواب وأجر للحي الذي يقوم بذلك، وأيضًا رحمة بالميت، إذ كلما كثر الذين يصلون عليه كان ذلك رحمة به، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

ثانيًا: الموت في التصور النصراني

يقسم النصارى الموت إلى قسمين: الموت الجسدي الذي هو مفارقة الحياة، والموت الروحي وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله.

ورد في قاموس الكتاب تحت مادة الموت ما نصه: **«الموت ينقسم إلى: ما يصيب الجسد فقط دون النفس وإلى ما يصيبهما معًا»** (٢) وورد في إنجيل «متى»: **«لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا - بالحرى - من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم»** (٣) وسوف نقتصر في بحثنا هنا على الموت بمعناه الجسدي، لأنه المقصود في البحث ويعرف الموت الجسدي عند النصارى بأنه **«انفصال النفس عن الجسد، وعودة الجسد إلى التراب متحللًا إلى عناصره البسيطة»** (٤). ويعبر عن هذا الموت الجسدي للإنسان بتعبيرات مختلفة في العهدين القديم والجديد أوردها علم اللاهوت النظامي. يعبر عن موت الإنسان الجسدي في الكتاب المقدس بالانضمام إلى قومه (٥)، وبالذهاب في

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٥٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٩ تأليف لجنة من اللاهوت - الطبعة السادسة ٨١.

(٣) إنجيل متى ١٠ - ٢٨.

(٤) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٥٨ - تأليف القس. فايز فارس - الناشر دار الثقافة - الطبعة الأولى.

(٥) سفر التثنية ٣٢: ٥.

طــرق الأرض كلها [١]، وبالانضمام إلى آبائه [٢]، ويرجع التراب إلى الأرض، وبالنوم [٣]، وبالموت [٤]، وبنقض بيت خيمتنا الأرضي عند الـرب [٥]، وبالرقـاد بيسوع [٦]، وبالانحلال [٧] وبالنزول إلى القبر [٨].

والموت الجسدي عند النصارى مترتب على خطيئة آدم **«لابد من الموت لكل إنسان لأن آدم الإنسان الأول سقط في الخطيئة»** [٩].

وورد في رسالة رومية هذا المعنى، وهو ترتب الموت على خطيئة آدم عليه السلام، لأن الجميع معه، **«من أجل ذلك كأنما بإنسـان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع»** [١٠].

مما سبق يتبين لنا أن الموت الجسدي سببه خطيئة آدم التي ورثها الناس عنه. يقول صاحب **«مدخل إلى العقيدة المسيحية»: «لقد كانت نعم الله تكتنف الإنسان وتحفظه من الأمراض والموت، أما وقد رفض هذه النعمة وتعرى عنها، فلم يعد شيء يحفظه من الانحلال الذي تؤول إليه طبيعته إذا تركت وشأنها، هذا ما عبر عنه الكتاب المقدس بقوله: «إن آدم أبعد شجرة الحياة التي كانت تجعله خالدًا»** [١١] أي أنه فقد نعمة الخلود بابتعاده عن الله مصدرها، وبهذا المعنى قال الله لآدم: **«تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود»** [١٢]. ويواصل المؤلف استدلاله على

(١) القضاء: ٢: ١ .
(٢) جامعة ١٢ - ٧ .
(٣) يوحنا: ١١ : ١١ .
(٤) رسالة كورنفوس الثانية ٥: ١ .
(٥) كورنفوس الثانية: ٥: ٩ .
(٦) رسالة تسالونيكي ٤ : ١٤ .
(٧) رسالة تيما شاوس الثانية ٤: ٦ .
(٨) علم اللاهوت النظامي - لجنة من القساوسة ص ١١٦٧ - الناشر دار الثقافة المسيحية.
(٩) إيماننا الحي ص ٥٠٧ - ٥٠٨ تأليف الأب درويير كليمان اليسوعي. الأب أدمون تارزجي اليسوعي - الناشر دار المعارف ١٩٦١ .
(١٠) رسالة رومية ٥: ١٢، وانظر أيضًا ٩: ٢٧: ٢٨، يوحنا ٨: ٢١ ، ٢٤. يوحنا : ١٩: ٧- ٨، يعقوب: ١-١٥ .
(١١) سفر التكوين: ٣: ٢٢ .
(١٢) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٩٣ وسفر التكوين ٣: ١٩ .

أن الموت ليس من صنع الله فيقول: «**فالموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية، فإن الله خلق الإنسان خالدًا، وصنعه على صورة ذاته، وكذلك ليس الموت من صنع الله ولا يسره هلاك الأحياء**»[(١)]. وواضح من النص الذي نقلته عن صاحب مدخل إلى العقيدة المسيحية أنه يعتبر أن الإنسان خالد، وأن آدم لو لم يخطئ لما مات ومات البشر من بعده، ويعتبر أن الموت ليس من صنع الله، لأن الله خالد وخلق الإنسان على صورة ذاته خالدًا أيضًا، والمحور الذي ترتكز عليه العقيدة النصرانية في الموت: خطيئة آدم عليه السلام وترتب الموت لآدم وللبشر من بعده عليها، وهذه المعاني تفيض بها الأناجيل وأعمال الرسل، وورد في رسالة يومية: «**لأن أجرة الخطية هو موت وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا**»[(٢)].

وورد في رسالة كورنثوس الأولى: «**أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس**»[(٣)] ويفسر صاحب الكنز الجليل النص السابق بقوله: «**أما شوكة الموت فهي الخطيئة، لولا الخطيئة لم يكن للموت قوة على الإيذاء**»[(٤)].

النصوص السابقة والتي يقوم عليها اعتقاد النصارى تذهب إلى أن سبب الموت الخطيئة، وهنا نجد اختلافًا جوهريًا بين التصور الإسلامي للموت والتصور النصراني، فالقرآن الكريم لا يقدم سببًا للموت سوى أن الله وحده هو المستحق للبقاء بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

والتساؤل الذي نطرحه هنا للنصارى بعد استعراضنا للنصوص التي تربط بين الموت والخطيئة هو: ما علاقة خطيئة آدم بموت البشر من بعده؟ وهل لو لم يخطئ آدم لكتب للبشر الخلود من بعده وامتنع عنهم الموت؟ هكذا يذهب

---

(١) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٢٧٩ .
(٢) رسالة رومية: ٦: ٢٣ .
(٣) كورنثوس الأولى: ١٥- ٥٦ .
(٤) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ص ٣٠٤ جـ ٦ .

صاحب مدخل إلى العقيدة المسيحية، والنصوص التي أوردناها تثبت ذلك، بل إن ميخائيل مينا يصرح بذلك بقوله: **«لو لم يخطئ آدم لما مات، ولما كنا نحن أيضًا نموت، بل نحيا حياة سعيدة على الأرض، وأسعد منها بغير قياس في السماء»** (١)، والذي ذهب إليه ميخائيل مينا وغيره من النصارى مخالف للفطرة ولسنن الله في الكون، ونحن نفترض هنا أن آدم أخطأ، فالعقل يقول إنه هو الذي يتحمل نتيجة ذلك الخطأ، إن ملابسي إذا علق بها بعض القاذورات، فلا يزيل هذه القاذورات غسل ملابس غيري، وإنما ملابسي أنا، وعلى فرض أن البشر ورثوا هذا الخطأ عن آدم (٢)، فالنصارى تعتقد أن المسيح جاء ليتحمل الأخطاء عن البشر، والنتيجة المنطقية أن يرفع المسيح الموت عن الناس، ما دام قد تحمل خطاياهم التي تسبب الموت لهم. وهنا نرى الاضطراب الواضح لدى النصارى حين يرتبون الموت على الخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام كما يزعمون.

ونحن نعتقد أن الإنسان لا يتحمل أوزار غيره قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩].

ونعتقد أيضًا أن آدم تاب فتاب الله عليه. يقول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

ويصل الأمر إلى أبعد من ذلك عند النصارى في فهمهم للموت وعلاقته بالسيد المسيح يقول الأنبا يؤانس عن الموت: **«إنه ليس هو النهاية أو الخاتمة، إنما هو نهاية رحلة مؤلمة من مراحل حياة الإنسان في عالم الشقاء والتعب، كما أنه بداية لحياة أبدية سعيدة لا تنتهي، فالسيد المسيح له المجد، ذاق الموت بإرادته فحوله إلى حياة»** (٣).

---

(١) علم اللاهوت - ميخائيل مينا جـ ٢ ص ٢٨٤ .

(٢) نقول هذا مجاراة للخصم.

(٣) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٤ .

ونحن نتساءل هنا تعليقًا على كلام الأنبا يؤانس: إذا كان المسيح قد ذاق الموت بإرادته فحوّله إلى حياة، فلماذا صرخ حين الموت وهو على الصليب [١] على حد تعبير إنجيل «متى» فقد ورد فيه ما نصه: **«ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلًا: إيلي إيلي لماذا شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فقوم من الواقفين هناك لمّا سمعوا قالوا: إنه ينادي إيليا، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ سفنجة وملأها خلًا، وجعلها على قصبة وسقاه، وأما الباقون فقالوا: اترك لنرى هل يأتي إيليا يخلصه، فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم وأسلم الروح»** [٢].

هذه الصورة التي يرسمها لنا إنجيل متى للسيد المسيح وهو على الصليب لا تتناسب مع كون المسيح إلهًا ولا ابنًا للإله كما يزعم النصارى، وإذا كان المسيح قد حول الموت إلى حياة فلماذا صرخ واستغاث، وإذا كان قد أخذه **«على عاتقه بطاعة كاملة ومحبة متناهية»** [٣] كما يقول صاحب كتاب **«إيماننا الحي»**، فلماذا استنكر أن يترك للموت وينادي مستغيثًا ومعترضًا على ما فعل به: لماذا شبقتني، كل هذه المتناقضات تبطل اعتقاد النصارى في أن الخطيئة هي سبب الموت، وأن المسيح قد حول الموت إلى حياة، ولست في مجال مناقشة النصارى في ميراث البشر لخطيئة آدم، ولا لتحمل المسيح هذه الخطايا عن البشر [٤]. والذي أوردناه عن النصارى في تصورهم للموت وأسبابه تختلف تمامًا عن الموت في الإسلام وما يعتقده المسلمون من أن الموت بيد الله وحده وليست له أسباب سوى أن الله وحده هو الحي الذي لا يموت، إلا أننا نجد عند النصارى بعض الأشياء الخاصة

---

(١) نقول هذا مجاراة للخصم فيما يعتقد إذ إننا نعتقد أن المسيح لم يقتل ولم يصلب قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧].

(٢) متى: ٢٧: ٤٧ : ٥٠ .

(٣) إيماننا الحي ص ٥٠٧ لرديير كليمان اليسوعي.

(٤) انظر بالتفصيل هذا الموضوع في «الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه» رسالة ماجستير للباحث أحمد عجينة - مكتبة كلية أصول الدين بطنطا - الفصل الخامس الخاص بموقف الإسلام من تحمل الإنسان لأوزار غيره من ص ٥٩٥ - ٦٢٢ .

بالموت والتي تتفق مع التصور الإسلامي عنها:

أولاً: الموت عام لجميع البشر:

يقول الأنبا يؤانس: **«فالموت يشمل جميع البشر، حتى إن المرتل يتسائل في تعجب «أي إنسان يحيا ولا يرى الموت»** (١)، ونفس المعنى يؤكده بولس بقوله **«وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة»** (٢).

ثانيًا: أن وقت الموت غير معلوم:

يقول صاحب كتاب إيماننا الحي: **«ولا نعلم متى ولا أين ولا كيف يباغتنا الموت؟ ولكنا نعرف يقينًا أننا إذا متنا أبناء لله نخلص»** (٣).

وعند النصارى أن الموت يأتي بغتة، ولا يعلم أحد زمانه ولا مكانه، وعندهم أن الموت يأتي في وقت لا يتوقعه الإنسان، يقول الأب ميشيل ميتيم: **«والموت يأتي كالسارق في ساعة لا نظنها، وقد نبهنا إلى ذلك يسوع حين قال: «والقوات التي في السماوات تتزعزع وحينئذ ينصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد»** (٤). وهذا النص يستدل به عند النصارى على عدم علم أحد بالقيامة، ولا أدري لماذا استدل به المؤلف على عدم تحديد ساعة الموت. اللهم إلا إذا كان يقصد بالقيامة الموت.

ولا تقدم الأناجيل صورة مفصلة عن خروج روح الميت ومآله كما قدم القرآن الكريم كل ما ذكره إنجيل لوقا: أن الصالح تحمل روحه الملائكة إلى السماء، وأن الفاسد تهوى روحه إلى الهاوية في العذاب. يقول لوقا في إنجيله عن الفقير المسكين والغني المتكبر: **«فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن**

---

(١) المزمور: ٨٩ : ٤٨ .

(٢) السماء للأنبا يؤانس ٩٤ .

(٣) إيماننا الحي ص ٥٠٨ .

(٤) شرح التعليم المسيحي جـ ١ ص ٢٢ تأليف الأب ميشيل متيم مطبعة الإحسان حلب ١٩٥٢ .

إبراهيم، ومات الغني أيضًا ودفن فرفع عينه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر في حضنه» (١).

غسل الميت وتكفينه ودفنه والصلاة عليه عند النصارى:

من الأمور التي يتفق فيها التصور النصراني مع التصور الإسلامي بالنسبة للميت الغسل والتكفين والدفن والصلاة عليه.

يقول صاحب كتاب إيماننا الحي: «**إن جسد المسيحي هيكل للروح القدس، فهو خادم للرب، ومصيره أن يقوم مجدًا في اليوم الأخير، وبالتالي يجب أن يحاط جسد المسيحي أيضًا بالاحترام بعد موته، والكنيسة تكرمه بإقامة مراسم الجنازة ودفنه في أرض مباركة»** (٢). ولا شك أن هناك اختلافًا بين النصارى والمسلمين في طريقة الغسل والدفن والصلاة والتكفين» (٣).

ثالثًا: الموت في التصور اليهودي

يؤكد العهد القديم عدة أمور للموت منها:

أولاً: الموت عام لجميع البشر:

ورد في سفر أيوب ما نصه «**يسلم الروح كل بشر جميعًا ويعود الإنسان إلى التراب»** (٤) ويفسر صاحب السنن القويم هذا النص «**بأن الله إذا ترك الإنسان لحظة واحدة بدون عناية، فإن الإنسان يعود إلى التراب، ويستنتج من هذا بأن وجود الإنسان حيا ودوام الخير بما يثبت وجود الله»** (٥) أي أن عناية الله بالإنسان هي

---

(١) لوقا: ١٦-٣٢ في مقابلة للباحث مع الأنبا غريقريوس أسقف عام الدراسات العليا بالكنيسة القبطية ، لم يشر إلا إلى ذلك النص في الاستدلال على خروج روح الصالح والطالح - من النصارى.

(٢) إيماننا الحي ص ٥١٨ .

(٣) يكفن النصراني في ملابس جديدة وهي الملابس التي كان الميت يلبسها عادة في حياته بشرط أن تكون جديدة، أخذت تلك المعلومة شفهيًا من الأنبا غريقريوس - أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية.

(٤) سفر أيوب: ١٥- ٣٤ .

(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢٤٧ .

التي تضمن له الحياة وإذا لم يعتن الله بالبشر فإنهم يموتون جميعًا، وهو تفسير معوج إذ إن عناية الله بالإنسان حيًا وميتًا، ورد في المزامير: **«أي إنسان يحيا ولا يرى الموت أي ينجي نفسه من يد الهاوية»** (١) **«لأنك أنت حصني في يدك أستودع روحي»** (٢).

هذه النصوص تثبت أن الجميع سوف يموتون ولن يهرب أحد من الموت، وعذرنا عدم كتابة النصوص عن الموت لأن العهد القديم يصب اهتمامه على الحياة الدنيا فقط.

ثانيًا: أن الموت له أجل معلوم ووقت محدد:

ورد في سفر الجامعة **«لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت، للولادة وقت وللموت وقت، ولقلع المغروس وقت، وللقتل وقت، وللشفاء وقت، وللبناء وقت»** (٣)، هذا النص يدل على أن للموت أجلاً معلومًا ووقتًا محددًا كما أن لكل شيء على الأرض وقتًا معلومًا وزمنًا محدودًا، وهذا مما يشترك فيه التصور الإسلامي مع ما في العهد القديم الحالي.

ثالثًا: ربط الموت بالخطية:

يشترك اليهود والنصارى في أن الخطية سبب الموت، ويفيض العهد القديم بالنصوص التي تربط بين الموت وبين خطيئة آدم عليه السلام.

ورد في سفر التكوين **«وأما ثمرة الشجرة التي وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا»** (٤) وورد في نفس السفر: **«وأخذ الرب الإله آدم، ووضعه في جنة عدن ليعلمها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلًا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا، وأما شجرة معرفة للخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت»** (٥).

---

(١) المزايد: ٨٩ - ٤٨ .

(٢) المزايد: ٣١ - ٥ .

(٣) سفر الجامعة: ١٣ - ١٨ .

(٤) سفر التكوين: ٣ - ٢ .

(٥) التكوين: ١٥ - ١٨ .

ويشرح قاموس الكتاب المقدس النص السابق بقوله:

ليس المراد بذلك أنه يجرى حكم الموت في ذلك اليوم بعينه بل المراد أنه يكون على يقين من نزوله به، إنما في ذلك اليوم عينه أوقع عليها حكم الموت الروحي الذي هو البعد عن الله والانفصال عنه» (١).

وورد في سفر حزقيال الربط بين الموت والخطية **«النفس التي تخطئ هي تموت»** (٢) وورد في سفر حزقيال أيضًا **«وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير أفيحيا كل بره الذي عمله، لا يذكر في خيانته التي خانها، في خطيئته التي أخطأ بها يموت»** (٣)؟!

هذه النصوص وغيرها من النصوص التي لم نذكرها تربط بين الموت وبين الخطية ولسنا هنا في مجال مناقشة هذا الربط وبيان تهافته كما أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن علاقة الموت بالخطية عند النصارى.

ولا يقدم العهد القديم أي صورة عن حالة خروج الروح أثناء الموت بالنسبة لليهود كل ما ورد في الفكر اليهودي صورة ينقلها لنا **«سعديا الفيومي»** في كتاب الأمانات والاعتقادات عن حالة خروج روح اليهودي يقول: **«إن الآباء عرفونا أن الملاك الذي يبعث به الخالق ليفرق بينهما»** بين النفس والجسم **«يظهر للإنسان في صورة نار صفراء مملوءة عيونًا من نار زرقاء، وفي يده سيف مصلت يقصده به، إذا رآه كذاك انزعج وفرقت (٤) روحه جسمه»** (٥).

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ٩٢٩ .

(٢) سفر حزقيال: - ٣٤ . (٣) سفر حزقيال: ١٨ - ٣٤ .

(٤) لعلها وفارقت حتى يستقيم المعنى.

(٥) الأمانات والاعتقادات ص ٣٠٣ تأليف سعديا الفيومي - طبعة ليدن ١٨٨٢ - وسعديا الفيومي يقول الدكتور النشار عنه: اعتبره مؤرخو الفكر اليهودي أنفسهم - من الأقدمين والمحدثين - من أعظم رجال الفكر اليهودي قاطبة إذا إنه كان أول العلماء الربانيين الممثلين لتاريخ اليهود الذين أقبلوا على استخدام العقل والبرهان لإقامة فلسفة يهودية أو لاهوت يهودي يستند على الكتاب والعقل معًا (الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٢١ تأليف د. علي سامي النشار - والإسناد عباس الشربيني منشأة دار المعارف بالإسكندرية) .

ولعل تلك الصورة هي التي جعلت الحاخامات يتألمون ساعة الموت، وتبدو على وجوههم علامات الخوف والفزع من صورة هذا الملاك: **«وقد وردت أمثلة في التلمود عن كرب وتألم بعض الحاخامات من منظر الموت وهم يعتبرون أنفسهم بأنهم لا أمل لهم من الخلاص (النجاة) خائفين أن يلقى بهم في الجحيم»** (١).

وهذا ما يفسره لنا كراهية اليهود للموت وحرصهم على الحياة الدنيا.

يقول الله تعالى مخاطبًا اليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّالِمِينَ﴾ [البقرة :٩٤-٩٥].

ويقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة :٦-٨].

ومن الأمور التي يشترك فيها اليهود مع المسلمين والنصارى: غسل الميت وتكفينه ودفنه.

يشترك اليهود مع المسلمين والنصارى في غسل الميت قبل الدفن، وأيضًا تكفينه ووضع الروائح الطيبة على جثته. ورد في قاموس الكتاب المقدس ما نصه: **«جرت العادة بين اليهود وبقية القدماء كما في أيامنا هذه أن يغمض الأقارب عيني الميت** (٢)**، وأن يولولوا عليه ويتلوا عليه** (٣) **ويستمروا على ذلك أيامًا كثيرة بعد الدفن، وكانوا أيضًا يغسلون الجثة ويلفونها بأكفان من كتان ويربطون الرأس بمنديل** (٤)**، وكانوا يدهنون الجثة ويلفونها بالأطيان»** (٥).

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٨٥ نقلاً عن الأدب العبري.

(٢) سفر التكوين: ٤٦ : ٤ .

(٣) إنجيل يوحنا: ١١: ١٩: ٣١ : ٣٣ .

(٤) يوحنا: ٢: ٧ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١، وانظر إنجيل لوقا: ٢٤: ١، إنجيل يوحنا ١٩: ٤ .

وإلى هذا نجد صورة قريبة جدًّا من التصور الإسلامي بالنسبة لغسل الميت وتكفينه ووضع الروائح الطيبة على جثته، ولكن سنجد صورة مختلفة تمامًا عما عند المسلمين والنصارى، فبينما نجد الرسول ﷺ يقول: **«المؤمن لا ينجس»** [١]، ونجد النصارى يعتبرون أن جسد المسيحي هيكل للروح القدس ويجب أن يحاط جسد المسيحي بالاحترام [٢]، بينما نجد هذا عند المسلمين والنصارى، نجد أن اليهود يعتقدون أن **«لمس الميت أول الدخول إلى الغرفة التي وضعت الجثة فيها منجسًا»** [٣] ولذلك جرت العادة بأن يدفن الميت بعد الموت بساعات قليلة [٤].

ولم يقدم اليهود قرابين على موتاهم للرحمة والمغفرة لهم. ورد في قاموس الكتاب المقدس أن اليهود **«لم يكونوا يقدمون القرابين من أجل الموتى، بل يظهر أن الشريعة الموسوية تنكر تقديم القرابين للموتى»** [٥].

وورد في نفس سفر التثنية ما يشعر بعدم جواز تقديم قرابين للأموات، يبدو هذا من تضرع اليهود أمام الله بأن محصولهم وزراعتهم قد أعطوا منها اليتيم والأرملة، ولم يأخذوا من حق الله المقدر فيها شيئًا لطعامهم ولا لمن لا يستحقها، ورد في سفر التثنية **«متى فرغت من تعشير كل عشور محصولك في السنة الثالثة سنة العشور وأعطيت اللاوى والقريب واليتيم والأرملة فأكلوا في أبوابك وشبعوا تقوم أمام الرب إلهك، قد نزعت المقدس من البيت، وأيضًا أعطيته اللاوى والغريب واليتيم والأرملة حسب كل وصيتك التي أوصيت بها، لم أتجاوز وصاياك ولا نسيتها، لم آكل من في حزني، ولا أخذت منه في نجاسة، ولا أعطيت منه لأجل ميت، بل سمعت بصوت الرب إلهي، وعملت حسب كل ما أوصيتني»** [٦]، والنص واضح بأن تقديم القرابين للأموات لا يجوز.

---

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ٩٩ .
(٢) انظر إيماننا الحي ص ٥١٨ .
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١ .
(٤) نفسه.
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١ .
(٦) سفر التثنية: ٢٦ - ٣ - ١٥ .

المبحث الثاني

البرزخ بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: البرزخ في التصور الإسلامي

يعرف البرزخ بأنه الحاجز بين شيئين، وما بين الموت والبعث فمن مات فقد دخل البرزخ [١] وجاء في التعريفات «للسيد» أن البرزخ «**هو الحائل بين الشيئين، ويعبر به عن عالم المثال - أعني الحاجز بين الأجسام الكثيفة - وعالم الأرواح المجردة، أعني الدنيا والآخرة**» [٢].

وقد سمى القرآن الكريم الفترة من بعد الموت إلى البعث بالبرزخ.

يقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ **[المؤمنون:٩٩-١٠٠]**.

والميت في تلك الفترة إما أن يكون منعمًا إذا كان من المؤمنين الصالحين، أو معذبًا إن كان من الكافرين المكذبين، أو من عصاة المؤمنين. يقول ابن القيم في كتابه الروح: «**إن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين**» [٣].

---

(١) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٩ مجمع اللغة العربية - الطبعة الثانية.

(٢) التعريفات للسيد الجرجاني ص ٣٨ طبعة الحلبي.

(٣) الروح لابن القيم ص٨١ الناشر مكتبة السلام بالعباسية.

ويعتبر عذاب البرزخ ونعيمه أول منازل الآخرة التي يتعرض لها المؤمن وغير المؤمن يذكر ابن القيم أن «**عذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة كقوله ﷺ: «فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها» وفي الفاجر: «فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها»** ومعلوم قطعًا أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة دخل من هذا الباب إلى مقعده الذي هو داخله» (١) وهناك بعض الأشياء التي تحدث للميت في أول فترة البرزخ منها سؤال الملكين. يقول صاحب كتاب المسايرة في علم الكلام: «**سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه ورد فيهما الأخبار وتعددت طرقهما**» (٢) ونحن مع ابن الهمام في تعدد طرق الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، ولسنا معه في تعدد طرق تسميتهما بمنكر ونكير، فهناك رواية واحدة عن أبي هريرة بأنهما أسودان أزرقان يقال لهما المنكر وللآخر النكير (٣).

وقد وردت الآيات القرآنية التي تثبت سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه.

سؤال الملكين:

مما يسبق سؤال الملكين الحياة في القبر لأهل البرزخ، ومما يدل على الحياة في القبر قوله تعالى حكاية عن الكافرين ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر :١١] يذكر شارح المواقف أن المراد بالإماتتين والإحيائين في الآية الإماتة قبل مزار القبور ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه بعد مسألة منكر ونكير، ثم الإحياء للحشر، وذكر أن هذا هو الشائع المستفيض بين أصحاب التفسير. والغرض من ذكر الإحيائين أنهم عرفوا فيها

(١) الروح لابن القيم ص ١٢٥ .
(٢) المسايرة في علم الكلام لكمال الدين بن الهمام ص ١٤٦ - ١٤٨ .
(٣) انظر فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٤ .

قدرة الله على البعث، ولهذا قالوا فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنما لم يذكر الأحياء في الدنيا لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في حياتهم الدنيا [١]، والإمام الرازي في تفسيره للآية السابقة يرى «أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر :١١] فإحدى الموتتين مشاهدة في الدنيا، فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر، حتى يصير الموت الذي يحصل عقبها موتًا ثانيًا، وذلك يدل على حصول حياة في القبر» [٢].

وبعد أن يحيا الميت في قبره يسأله الملكان اللذان وردت عنهما الأخبار وتعددت طرقها.

يقول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم :٢٧] المفسرون على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين في القبر [٣] ومما يدل على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين ما رواه البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم :٢٧][٤] وأما السنة فيقول ابن القيم: «أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير متواترة» [٥].

وكون أحاديث عذاب القبر ومساءلة الملكين متواترة المعنى يوضحه صاحب المواقف بقوله: «الأحاديث الصحيحة الدالة عليه أي على عذاب القبر أكثر من أن

---

(١) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ .

(٢) التفسير الكبير للرازي الجزء ٢٧ ص ٣٩، وانظر الروح لابن القيم وفيه معتبر لكل من زعم أنه لا توجد حياة للميت في القبر – ص ٦٧ – ٨٧ .

(٣) انظر ابن كثير جـ ٢ ص ٥٣١ وما بعدها وانظر أبا السعود جـ ٣ ص ١٨٩ وانظر الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٣٧٧ .

(٤) فتح الباري جـ ٨ ص ٣٠٥ .

(٥) الروح لابن القيم ص ١٢٧ .

تحصى، بحيث تواتر القدر المشترك، وإن كان كل واحد منها من قبيل الآحاد» (١).

ومن الأحاديث التي وردت في سؤال الملكين:

ما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - حتى إنه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا» قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت، فيضرب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثقلين» (٢).

هذا الحديث صريح في الحياة في القبر وسؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، يقول صاحب الفتح في شرحه لهذا الحديث: «أخبر النبي ﷺ أمته بكيفية امتحانهم في القبور، لا أنه نفى ذلك عن غيرهم» قال: «والذي يظهر أن كل نبي مع أمته كذلك فتعذب كفارهم في قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة. وفيه أن الميت يحيا في قبره للمسألة، خلافًا لمن رده واحتج بقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]. قال: فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات ويموت ثلاث، وهو خلاف النص، والجواب بأن المراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا، التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبيره وتصرفه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هي مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة، فهي إعادة عارضة حدثت لكثير من الأنبياء لمسألتهم عن أشياء ثم عادوا موتى» (٣).

---

(١) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ وشرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٢.

(٢) صحيح البخاري جـ ٣ ص ١٨٣ - ١٨٦.

(٣) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٧.

وهناك اختلاف بين العلماء: هل سؤال الملكين في القبر خاص بأمة محمد ﷺ، أم عام لجميع الأمم؟

هذا الموضوع اختلف العلماء فيه، فمن العلماء من ذهب إلى أن سؤال الملكين خاص بأمة محمد ﷺ، لأن الأمم قبل أمة محمد ﷺ كانت تأتيهم رسلهم بالرسالة فإذا أبوا عوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب، وأعطى السيف، حتى دخل في دين الإسلام من دخل مهابة السيف، وهم المنافقون الذين أعلنوا الإيمان وأسروا الكفر، فلما ماتوا قيض الله لهم فتنة القبر ليميز المؤمن من المنافق، وليميز الله الخبيث من الطيب، وإلى هذا الرأي ذهب عبد الله الترمذي. وقال آخرون: إن سؤال الملكين وعذاب القبر لا يختص بأمة محمد دون غيرها من الأمم لأن حديث البخاري الذي فيه يأتيه ملكان فيقعدانه «ويسألانه عن الرجل الذي بعث فيهم» وإن كان فيه السؤال لأمة محمد، إلا أنه لا ينفي السؤال عن غيرهم من الأمم [١] ويرجح ابن القيم أن السؤال في القبر لأمة محمد وغيرها بقوله: «والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أمته كذلك، وأنهم في قبورهم تقام عليهم الحجة ويعذبون كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة عليهم» [٢].
والذي يجب التسليم به أن الميت من أمة محمد ﷺ يحيا في القبر للمساءلة من الملكين اللذين وردت عنهما الأخبار، وأنه بعد تلك المساءلة إما أن يعذب وإما أن ينعم. يقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة بعد أن يستدل بالكتاب والسنة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين: «فأما الكلام في أن ذلك كيف يكون وأنه تعالى يبعث إليه ملكين يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير، فيسألانه ثم يعذبانه أو يبشرانه حسب ما وردت به الأخبار، فإن ذلك لا يهتدي إليه من جهة العقل وإنما الطريق إليه السمع» [٣].

(١) الروح لابن القيم ص ١٤٦ – ١٤٨، فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٧ .
(٢) الروح لابن القيم ص ١٤٨ .
(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٢ .

عذاب القبر ونعيمه:

يقول الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر :٤٥-٤٦]. يقول ابن كثير: «**وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور**» (١). وينقل القرطبي إجماع الجمهور على أن العرض في الآية يدل على عذاب القبر. قال في الفتح: «**قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر**» (٢). وابن القيم في كتابه الروح يذهب إلى أن الآية دالة على عذاب القبر ولا تحتمل غير ذلك، يقول: فذكر عذاب الدارين ذكرا صحيحا لا يحتمل غيره» (٣) والإمام البخاري في صحيحه يقدم لأحاديث عذاب القبر بالآيات القرآنية التي تدل على عذاب القبر، منها قوله جل ذكره ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة :١٠١] عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة :١٠١] قال خطب رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: «**اخرج يا فلان فإنك منافق**» فذكر الحديث وفيه: «**ففضح الله المنافقين فهذا العذاب الأول والعذاب الثاني عذاب القبر**» (٤).

ومن الآيات التي تثبت عذاب القبر قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر :١١].

يقول الإمام الرازي في تفسيره: «احتج أكثر العلماء بهذه الآية في إثبات عذاب القبر. وتقرير الدليل: أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا ربنا أمتّنا اثنتين

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٨١ .
(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٠ .
(٣) الروح لابن القيم ص ١٢٧ .
(٤) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٠ .

فإحدى الموتتين مشاهد في الدنيا، فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل عقبها موتًا ثانيًا، وذلك يدل على حصول حياة في القبر» (١).

ويستدل أيضًا بتلك الآية وغيرها صاحب المواقف وصاحب المقاصد. والقاضي عبد الجبار من المعتزلة يستدل أيضًا بتلك الآية على عذاب القبر ويعتبر أن دلالة تلك الآية عامة في جميع المكلفين، يقول: «والدلالة التي تعم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر :١١] ولا تكون الإماتة والإحياء مرتين إلا وفي إحدى المرتين إما التعذيب في القبر أو التبشير» (٢).

ويذهب البعض إلى أن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر:١١] لا تدل على الحياة في القبر، ويذهب إلى أن المراد بالموتة الأولى الإشارة إلى الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة وعلقة، والموتة الثانية إشارة إلى ما حصل في الدنيا. ويفند الإمام الرازي والقاضي عبد الجبار هذا الرأي، لأن الإماتة تستعمل بمعنيين: أحدهما إيجاد الشيء ميتًا، والثاني تصيير الشيء ميتا بعد أن كان حيًا، كقول الإنسان وسع الخياط ثوبي يحتمل أنه خاطه واسعا، ويحتمل أنه صيره واسعا بعد أن كان ضيقا، فلم لا يجوز في هذه الآية أن يكون المراد بالإماتة خلقها ميتة ولا يكون المراد تصييرها ميتة، ثم إن الإماتة في الحقيقة إبطال الحياة وتفريق البنية التي تحتاج هي في الوجود إليها، وذلك لا يتصور في النطفة التي لم تكن حية أصلاً (٣).

ومن حجج الذين يمنعون دلالة الآية على الحياة في القبر والعذاب فيه أن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر :١١] إنها حكاية كلام الكفار فلا تكون حجة، وأيضًا لو ثبتت الحياة في القبر لكانت الإحياءات ثلاثة في الدنيا وفي

(١) التفسير الكبير للرازي الجزء ٢٧ ص ٣٩ .
(٢) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣١ .
(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣١ والتفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٣٩ .

القبر وفي الحشر [١].

أما قولهم هذا من كلام الكفار فلا يكون حجة، فلا وجه فيه، لأنهم لما ذكروا ذلك لم يكذبهم الله تعالى، ولو كانوا كاذبين لأظهر الله تكذيبهم. ألا ترى لما كذبوا في قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام :٢٣] كذبهم الله في ذلك فقال: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام :٢٤]. فلما لم يكذبهم الله في قولهم يجوز لنا أن نستدل بما قالوه على الحياة في القبر والعذاب فيه.

أما أنهم لو كانت لهم حياة في القبر لكانت الحياة ثلاث مرات وهو خلاف ما ذكر في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر :١١] فالإمام الرازي يرد على هذا الاعتراض من وجوه:

الأول: أن مقصودهم في قولهم أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين تعديد أوقات البلاء والمحنة، وهي أربعة الموتة الأولى والحياة في القبر، والموتة الثانية والحياة في القيامة، فهذه الأربعة أوقات البلاء والمحنة، فأما الحياة في الدنيا فليست من أوقات البلاء والمحنة، فلهذا السبب لم يذكروها.

الثاني: لعلهم ذكروا الحياتين، وهي الحياة في الدنيا والحياة في القيامة، أما الحياة في القبر فأهملوا ذكرها لقلة وجودها وقصر مدتها.

الثالث: لعلهم لما صاروا أحياء في القبور لم يموتوا، بل بقوا أحياءً إما في السعادة وإما في الشقاء، واتصل بها حياة القيامة.

الرابع: أنه لو لم تثبت الحياة في القبر لزم أن لا يحصل الموت إلا مرة واحدة، فكان إثبات الموت مرتين كذبًا، وهو خلاف لفظ القرآن [٢].

ثم يختم الرازي استدلاله بالآية على عذاب القبر **«إنا نرجح قولنا بالأحاديث**

---

(١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٢ والتفسير الكبير للرازي الجزء ٢٧ ص ٣٩ .

(٢) انظر التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٣٩ - وانظر المقاصد ص ١٦٢ - ١٦٤ .

الصحيحة في عذاب القبر» [١].

ومن الحجج التي يحتج بها المانعون لعذاب القبر قولهم: إنا نرى الميت أو المقتول أو المصلوب يبقى مدة من غير تحرك وتكلم، ولا أثر تلذذ أو تألم، ولو كان له أصل لكان يجب في النباش أن يرى العقوبة أو المثوبة للمعاقب والمثاب، فكان يشاهد عليه أثر الضرب وغيره، وأيضًا فإن الميت ربما يدفن في صندوق أو لحد ضيق لا يتصور فيه جلوسه على ما ورد في الخبر [٢] ويفند صاحب المقاصد ما احتج به المانعون لعذاب القبر بقوله: «**إن جميع ما ذكرتم استبعادات لا تنفي الإمكان كسائر خوارق العادات، إذ قد أخبر بها الصادق فلزم التصديق»** [٣].

أما قولهم بأنا لا نرى على الميت أثرًا للثواب أو العقوبة، ولو كان لرآها النباش فيرد عليهم بأنه «**من المجوز أن لا يعذبه الله تعالى في الحالات التي يطلع عليها النباش أو غيره، أو يعذبه على وجه يستتر عنهم، لوجه من المصلحة يرى ذلك»** [٤].

أما قولهم إن الميت قد يدفن في صندوق أو لحد ضيق لا يتصور فيه جلوسه - على نحو ما ورد في الخبر - فيرد عليهم بأنه «**لا يشترط الحياة بالبنية، ولو كان ذلك شرطًا فمن الممكن أن يبقى من الأجزاء ما قد يصلح بنيته، ثم إن العذاب يجوز أن يكون للروح التي هي أجسام لطيفة أو للأجزاء الأصلية الباقية، فلا يمتنع أن لا يشاهده الناظر، ولا أن يخفيه الله تعالى عن الإنس والجن لِحِكَم لا اطلاع لنا عليها»** [٥].

ومن الآيات التي يستشهد بها على عذاب القبر قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١] هذه الآية يحتج بها على إثبات عذاب القبر. يقول ابن القيم: «وقد احتج بهذه الآية جماعة

---

(١) التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٤١ .
(٢) الأصول الخمسة ص ٧٣٣ والمقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٣) المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٤) الأصول الخمسة ص ٧٣٣ .
(٥) المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .

منهم عبد الله بن عباس في إثبات عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء، لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا ليخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فَهِمَ منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، وهذا يدل على أنه بقى من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من العذاب الأدنى، ولم يقل العذاب الأدنى فتأمله» (١).

وإذا ذهبنا إلى الأحاديث التي وردت في عذاب القبر، فإنها متواترة المعنى، والقدر المشترك منها متواتر (٢). يقول شارح العقيدة الطحاوية في الأحاديث الواردة في عذاب القبر ونعيمه: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لما كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا» (٣).

ومن الأحاديث التي تثبت عذاب القبر:

ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير**» ثم قال: «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر**(٤) **من بوله**» قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» (٥).

---

(١) الروح لابن القيم ص ١٢٨ .
(٢) شرح المواقف جـ ٣ ص ٤٥٣ .
(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٣٤٨ - الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ.
(٤) في معظم الروايات لا يستبرئ من بوله.
(٥) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٨ .

وهذا الحديث صريح في إثبات عذاب القبر لعصاة المؤمنين، وليس المقصود من الحديث أن العذاب بسبب النميمة وعدم الاستبراء من البول فقط، ولكن كما قال الزين بن المنير ونقله صاحب الفتح: «**المراد بتخصيص هذين الأمرين بالذكر تعظيم أمرهما، لا نفي الحكم عما عداهما، فعلى هذا لا يلزم من ذكرهما حصر عذاب القبر فيهما، لكن الظاهر من الاقتصار على ذكرهما أنهما أمكن في ذلك من غيرهما، وقد روى أصحاب السنن من حديث أبي هريرة «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه**» (١).

وروى الإمام مسلم بسنده عن زيد بن ثابت قال: «**بينما النبي ﷺ في** حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «**من يعرف صاحب هذه الأقبر؟**» فقال رجل: أنا، فقال: «**فمتى مات هؤلاء؟ قالوا: ماتوا في الإشراك. فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**». قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: «**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال (٢).

وهذا الحديث صريح في عذاب القبر وكيف أن الرسول ﷺ كان يستعيذ بالله من عذاب القبر ويأمر أصحابه أن يتعوذوا من القبر وفتنته.

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال**» (٣).

والنعيم والعذاب في القبر يكون بالروح والبدن معًا. يقول شارح العقيدة

---

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٨ .

(٢) رواه مسلم جـ ٣ ص ٢١٩٩ - ٢٢٠٠ .

(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ٤١٢ طبعة الحلبي.

الطحاوية: «عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به» [(١)] ويؤكد صاحب المقاصد ذلك بنقل اتفاق أهل الحق على ذلك، يقول: «اتفق أهل الحق على أن الله يعيد إلى الميت في القبر نوع حياة قدر ما يتألم ويتلذذ، ويشهد بذلك الكتاب والأخبار والآثار لكن توقفوا في أنه هل يعاد الروح إليه أم لا؟ وما يتوهم من امتناع الحياة بدون الروح ممنوع، وإنما ذلك في الحياة الكاملة التي يكون معها القدرة والأفعال الاختيارية» [(٢)]، وابن القيم يفصل تعلق الروح بالبدن وانفصالها عنه أحيانًا في البرزخ بقوله: «وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللّذة ما يليق به، ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحق. هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها، وأما البرزخ فأول دار الجزاء، فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة إظهاره» [(٣)].

وقد وردت بعض الآثار التي تروي تزاور أرواح الموتى وتلاقيهم مع بعضهم ومع الأحياء، وهو أمر غير مستبعد؛ لأن الأرواح إما أن تكون معذبة أو منعمة مع أبدانها، فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، أما الأرواح المنعمة فإنها تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء :٦٩] يقول ابن القيم: «وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة» [(٤)].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٨ .
(٢) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٣) الروح لابن القيم ص ١٢٥ .
(٤) نفسه ص ٢٦ .

وقد عقد «ابن القيم» فصلًا كاملًا في كتابه «الروح» وهو من أشمل الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، وفيه روى الآثار التي وردت عن تلاقي أرواح الأموات والأحياء، وأيضًا تلاقي أرواح الأموات مع بعضهم، نذكر من تلك الآثار ما رواه ابن أبي الدنيا قال: حدثني محمد بن بزيع أخبرني فضل بن سليمان النميري بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن جده قال: لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجدًا شديدًا، فقالت: يا رسول الله، إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة، فهل تتعارف الموتى، فأرسل إلى بشر بالسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: **«نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر، إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر»**. وكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر، فقالت: يا فلان، عليك السلام. فيقول: وعليك. فتقول: اقرأ على بشر السلام [(١)].

وروى ابن أبي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال: أهل القبور يتوكفون الأخبار، فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: صالح فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: لا. فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلك به غير سبيلنا؟ [(٢)].

ويذكر الإمام الغزالي أن أرواح الأحياء تتلاقى مع أرواح الأموات، والأكثر من ذلك أن الأموات ربما أخبروا الأحياء بشيء يحدث لهم مستقبلًا، يذكر الإمام الغزالي أن الحسن بن علي قال: قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لي في الليلة في مغامرة، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك. قال: **«ادع عليهم»** فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر لهم مني. فخرج فضربه ابن ملجم [(٣)]. ونكتفي بهذا القدر من الآثار؛ نظرًا لأنها عبارة

---

(١) نقلًا عن الروح لابن القيم ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) نفسه ص ٢٠ - وانظر بالتفصيل من ص ١٩ - ٥٤ وأيضًا ما ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين الجزء ١٦ - المجلد الرابع ٢٩٤٠ - ٢٩٤٨ .

(٣) إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٢٩٤٠ .

عن رؤى لا تثبت حكمًا شرعيًا، وإنما يستأنس بها فقط.

ثانيًا: البرزخ في التصور النصراني

ما هو مصير النفس بعد الموت؟ سؤال يردده علماء فرق النصارى، ويختلفون في الإجابة عليه.

ففرقتا «**الأرثوذكس**» «**والبروتستانت**» لهم رأي في حالة الروح بعد الموت، وفرقة «**الكاثوليك**» لهم رأي يخالف «**الأرثوذكس**» «**والبروتستانت**». ولذلك سنعرض آراءهم وتصورهم لحالة الروح بعد الموت.

أولاً: الأرثوذكس [١] والبروتستانت [٢]:

يطرح صاحب كتاب «**هذه عقائدنا**» هذا السؤال: ماذا يحدث لنفس المسيحي عندما يموت؟ ويجيب بقوله: «**يقول البعض بأنها ترقد في القبر مع الجسد، ورأى كهذا يعارض ما جاء في الأسفار المقدسة معارضة تامة**» [٣] ويستدل بما ورد في إنجيل لوقا من قول المسيح للص وهو على الصليب: «**اليوم تكون معي في الفردوس**» [٤] ويستدل أيضًا بما ورد في رسالة إلى فيلي حين قال بولس عن موته: «**لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح**» [٥] وبما ورد في سفر الرؤيا ورد: «**طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن**» [٦].

ثم يعلق على هذه النصوص ويستنتج ثلاث خصائص تتعلق بموت الأبرار: أنهم في الفردوس، وأنهم مع المسيح، وأنهم سعداء [٧]، ونلاحظ أن النصوص

---

(١) يمثل اتجاه الأرثوذكس الكتب التالية: هذه عقائدنا تأليف ج. كلايد تارنر - تاريخ الأقباط للأستاذ زكي شنودة.... وهناك بعض الكتب أحلت إليها تمثل عقيدة الأرثوذكس منها: عقائد أساسية - مدخل في علم اللاهوت - مدخل إلى العقيدة المسيحية - دينونة البشر العامة.

(٢) ويمثل اتجاه البروتستانت: علم اللاهوت النظامي، قضايا المسيحية الكبرى.

(٣) هذه عقائدنا - تأليف ج. كلايد تارنر الناشر. المنشورات المعمدانية بيروت ١٩٧٢ .

(٤) لوقا: ٣٣ : ٤٣ .

(٥) رسالة فيليب ١ - ٢٣ .

(٦) سفر الرؤيا: ١٤ : ١٣ .

(٧) هذه عقائدنا ص ١٥٩ - ١٦٠ .

الثلاثة التي وردت في لوقا وفي رسالة فيليب وفي سفر الرؤيا اعتبرها المؤلف تمثل مصير أرواح الأبرار بعد الموت. أما عن مصير الأشرار، فإن المؤلف المذكور يعترف بأن النصوص غير متوافرة، ولم يرد عنهم إلا القليل في الأسفار المقدسة. يقول: «**لا تكشف لنا الأسفار المقدسة إلا القليل عن حالة الأشرار بعد الموت والقيامة**» (١)، ويستشهد بنصين في إنجيل لوقا ورسالة بطرس الثانية ويقول عنهما: «**هناك عبارتان تعطياننا كل ما نعرفه تقريبًا عن هذا الموضوع، ففي مثل الغنى والعاذر، يقول يسوع: «مات الغنى ودفن فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب»** (٢) أما النص في رسالة بطرس الثانية «**يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة، ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين**» (٣)، ففي النصين تصوير لمصير الأشرار، فالنص الأول يبين أن الغنى الفاسد داخل العذاب بعد الموت، والنص الثاني يبين أن الأشرار يحفظهم الله من الفناء معاقبين إلى يوم الدين، ونفس الأدلة يوردها الأنبا يؤانس في الاستدلال على مصير الأشرار في كتابه السماء (٤).

والأستاذ زكي شنودة في كتابه تاريخ الأقباط يؤكد ما تعتقده الكنيسة القبطية في مصير الأرواح بعد الموت بقوله: «**إن الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها عن أجسادها، بل تأخذ عربونا فقط من السعادة إذا كانت صالحة، أو من التعاسة إذا كان طالحة، حتى يجيء يوم القيامة، فتلبس الأرواح أجسادها**» (٥) وهذا قريب من مصير الأرواح عند المسلمين مع اختلاف، ألا وهو أن مصير الأرواح في التصور الإسلامي يتحدد بعد سؤال الملكين، أما عند الأرثوزكس فإن الأرواح الطيبة تصعد إلى الفردوس مع المسيح كما يقول النصارى الأرثوذكس، والأرواح الشريرة تتعذب يوم القيامة حين اجتماعها مع أجسادها.

(١) نفسه ص ١٦٠ . (٢) لوقا ١٦ : ٢٢ - ٢٣ .
(٣) رسالة بطرس الثانية ٢ : ٩ ، وانظر هذه عقائدنا ١٦٠ .
(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٧ - ١٠٩ .
(٥) تاريخ الأقباط للأستاذ زكي شنودة ص ٢٥٢ .

كان هذا رأي الأرثوذكس.

أما البروتستانت فهم يقولون نفس الآراء التي قررها الأرثوذكس، وسوف نعرض لآرائهم بإيجاز: سؤال يطرحه علم اللاهوت النظامي وهو: **«ماذا يعلمنا الوحي في حالة النفس بعد الموت؟»** ويجيب بقوله: **«النفس لا تموت ولا تنام وإن أنفس الأبرار تكمل حينئذ في الطهارة، وتدخل السماء، حيث تنتظر فداء أجسادها الكامل، وإن أنفس الأشرار تطرح في جهنم، حيث تبقى في القصاص والظلام إلى حكم اليوم العظيم»** (١).

بعد استعراض رأي الأرثوذكس والبروتستانت نجد أن هناك اتفاقًا بين الفريقين على أن أرواح الصالحين عندهم تصعد إلى السماء في الفردوس مع المسيح وهي سعيدة، كما أن هناك اتفاقًا فيما بينهم على أن أرواح الأشرار تذهب إلى الجحيم والظلام حيث تجتمع الأرواح مع الأجسام.

وكما رأينا فإن النصوص عن مصير الأشرار غير وافية باعتراف النصارى أنفسهم من فرقتي الأرثوذكس والبروتستانت، وإذا كانوا يقررون أن النصوص التي وردت في الأناجيل وأعمال الرسل عن مصير الأبرار غير كافية أيضًا، فهي إشارات عابرة غير مسهبة أو مفصلة.

ثانيا: رأي الكاثوليك في مصير الأرواح بعد الموت:

يعتقد الكاثوليك أن هناك محكمة خاصة للأفراد النصارى بعد الموت، يؤدي الأفراد أمامها حسابًا عما قدمت في الحياة. يقول صاحب كتاب **«إيماننا الحي»**: «عند الموت تنفصل النفس عن الجسد، فيعود جسدنا إلى الأرض وينحل فيها، أما أنفسنا فلا يمسها الفساد لأنها روح، وطالما نفارق هذه الدنيا تمثل أنفسنا أمام محكمة الله، فعليها أن تؤدي حسابًا عن كل أفكارها وأقوالها وأفعالها وعن كل ما

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص ١١٦٨ وما بعدها. وأيضًا قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٦٣ - ٥٦٨.

أغفلته من أعمال الخير، ويطلق على هذه المحاكمة: الدينونة الخاصة»[١] هذه المحكمة الخاصة يشرحها «ميشيل ميتيم» بقوله: «**حالما نموت تمثل أنفسنا أمام الله لتحاكم عن أعمالها الصالحة والشريرة**»[٢]. وبعد مثولها أمام المحكمة المشار إليها يتحدد مصيرها، إن كانت صالحة صعدت إلى السماء، وإن كانت طالحة نزلت إلى المطهر. يقول ميشيل ميتيم عن النفس بعد المحاكمة: «**فإن كانت ناصعة الطهارة - أي الروح - طارت نورًا إلى السماء، وإن كان عليها بعض التكفيرات نزلت إلى المطهر**»[٣].

هذا المطهر الذي تنزل إليه النفس الطالحة ما حقيقته؟ يشرح الأب ميشيل ميتيم حقيقة المطهر والذين يذهبون إليه من مقترفي الذنوب فيقول: «**إن من يموت في حال النعمة دون أن يكفر عن خطاياه تكفيرًا تامًا تذهب نفسه إلى المطهر، فتقضي فيه مدة يحددها الله بعدله، فتفي جميع ديونها وتكفر عن آثامها، فتتطهر من أوساخها ثم تدخل السماء**»[٤].

العذاب في المطهر:

يرى الكاثوليك من النصارى أن «**في المطهر نوعين من العذاب، الأول: الحرمان المؤقت من التمتع بمشاهدة وجه الله الكريم، وهو عذاب أليم شديد، الثاني: هو عذاب النار، تتطهر فيه النفوس من أدرانها قبل أن تلج السماء**»[٥].

والعذاب الذي تتعرض له النفوس في المطهر يخفف عنها بالصلوات والأدعية، والكاثوليك يعتقدون في مساعدة النفوس التي تتعذب في المطهر، وذلك بتقديم الطقوس الكنسية والصلوات لهم ورد «**في شرح التعليم المسيحي**» ما نصه: «**تتألم**

(١) إيماننا الحي ص ٥٠٨ - وانظر رسالة العبرانين ٩ . ٢٧ .
(٢) شرح التعليم المسيحي - العقائد الإلهية ص ٢٣١ جـ ١ .
(٣) نفسه ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
(٤) شرح التعليم المسيحي ٢٣٧ جـ ١، وانظر رسالة كورنثوس الأولى ٣: ١٥ .
(٥) شرح التعليم المسيحي ص ٢٣٧ وإنجيل متى ٥ : ٢٦ .

النفوس المطهرية آلامًا فادحة، فبينها نفوس أهالينا وأصدقائنا ومعارفنا ومواطنينا، فكيف ننساها وهي عطشى إلى مساعدتنا؟ فيتوجب علينا أن نقدم لراحتها صلواتنا ومناولاتنا، وخاصة ذبيح القداس الإلهي، فإن هذه الأعمال الصالحة تخفف من شدة عذاباتها، وتقصر من مدتها بحسب ما ترتبه إرادة الله القدوسة» (١) ونلاحظ أن تلك الصلوات والقرابين لا تلغى العذاب ولكن تخففه فقط.

وفكرة المحكمة التي يعتقدها الكاثوليك تنقدها فرقة البروتستانت ويعتبرونها وما يترتب عليها - من نزول النفوس الشريرة إلى المطهر - من العقائد الوثنية (٢).

ومن الاختلافات الجوهرية بين الأرثوذكس والكاثوليك فكرة المحكمة وفكرة المطهر (٣). وهذا الاختلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك اختلاف جوهري. وليس بين عام عند الأرثوذكس ومتصل عند الكاثوليك، لأن النصوص التي نقلناها عن الأرثوذكس لا تشير إلى فكرة المحكمة تلك، ولا إلى المطهر على الإطلاق، وإن كانت فرق النصارى متفقة على المصير الأخير لأرواح الأبرار وأرواح الأشرار، لأن الأبرار في السماء والأشرار في الجحيم.

ويرى بعض الباحثين المسلمين أن فكرة المطهر عند الكاثوليك مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين.

يقول الدكتور «السقا»: «وشذ نصارى الكاثوليك عن جميع النصارى الذين يقولون بالحساب والنعيم أو العذاب يوم القيامة، وقالوا بحساب للإنسان بعد الموت مباشرة بعد خروج الروح مباشرة من جسد الإنسان، مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين (٤).

---

(١) شرح التعليم المسيحي ص ٢٣٧ .

(٢) علم اللاهوت النظامي ص ١١٧٥ .

(٣) تاريخ الأقباط ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٤) مقدمة لفتح الروح والتسوية للإمام الغزالي تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا مقدمة المحقق ص ١٥ الناشر مكتبة المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٩٧٩ م.

ولا أوافق الدكتور السقا فيما ذهب إليه لأمرين:

الأمر الأول:

أن عذاب القبر ليس عند بعض المسلمين، ولكن عند جمهور المسلمين، فلقد اتفق سلف الأمة وخلفها على سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، ووردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تواتر القدر المشترك منها بمعناها [١] كما قال بذلك علماء العقيدة وعلماء الحديث، حتى المعتزلة الذين اتهموا بأنهم ينكرون عذاب القبر، استعرضنا رأي القاضي عبد الجبار من المعتزلة [٢] الذي أثبت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين والتزم بالدليل السمعي. ونحن لا ننكر أن هناك بعض الآراء التي تنكر عذاب القبر ونعيمه كما دل عليه السمع، فهل جمهور المسلمين هم بعض المسلمين، كما يقول الدكتور السقا؟

الأمر الثاني:

أن فكرة المطهر عند الكاثوليك بينها وبين عذاب القبر ونعيمه اختلاف، لأن في الإسلام سؤال الملكين الذي يسبق عذاب القبر ونعيمه، ولا يوجد ذلك عند الكاثوليك، وفكر ة المحكمة المشار إليها عندهم ليست واضحة، فالنصوص لم تبين لنا من الذي يقوم بذلك، وليس عندهم تفصيل في تلك الفكرة في العهدين القديم والجديد [٣] بعكس ما نجد في الإسلام من تفصيل إلى حد ما حول سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه.

تعقيب:

بعد عرضنا للبرزخ بين الإسلام والنصرانية يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصور الإسلامي والتصور النصراني للميت في فترة البرزخ.

---

(١) عرضنا الآراء بالتفصيل عند حديثنا عن نعيم القبر وعذابه في الإسلام.

(٢) انظر الأصول الخمسة ص ٧٣٠ - ٧٣٣ .

(٣) في مقابلة للباحث مع الأنبا غريقريوس - أسقف علم الدراسات العليا في الكنيسة القبطية نفى عذاب القبر ونعيمه في اعتقاد الأرثوذكس.

أولاً: أوجه الاتفاق:

يتفق التصور النصراني مع التصور الإسلامي في المصير النهائي للأرواح في فترة البرزخ، حيث إنهم يعتقدون أن الأرواح الطيبة تكون منعمة إلى يوم القيامة، وأن الأرواح الشريرة تتعذب إلى ذلك اليوم الذي تجتمع فيه الأرواح مع الأجساد.

ثانيًا: أوجه الاختلاف:

يختلف تصور الأرثوذكس والبروتستانت عن التصور الإسلامي في أن التصور الإسلامي فيه سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، أما الأرثوذكس والبروتستانت فليس عندهم سؤال الملكين، ولا ما يترتب عليه من عذاب في قبر ونعيمه.

إن تصور الكاثوليك للمحكمة والمطهر، وإن كان بينها وبين عذاب القبر وجه شبه، إلا أنها تختلف عن التصور الإسلامي، حيث سؤال الملكين في الإسلام.

ثالثًا: البرزخ في التصور اليهودي

ورد في قاموس الكتاب المقدس أن «**الهاوية مقر الموتى**»، وهي ترجمة الكلمة العبرية «**شئول**» (١) والكلمة اليونانية «**هاويس**» (٢). وقد فهم العبرانيون هذه الكلمة تارة كأنها قبر أو موت، وقد صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان تحت الأرض (٣)، وله أبواب (٤)، وهو مكان مظلم مخيف، سكانه يشعرون وكأنهم في وجود بليد جامد (٥)... وتذهب إليه نفوس الجميع (٦)، وفيه القصاص، وفيه الثواب، ولا يمكن العودة منه إلى الأرض (٧)، وهو مكان عريان أمام الله (٨). ويقول المرنم: إن الله هناك (٩) وإن أرواح شعبه وحالتهم في ذلك

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ .

(٢) هذه عقائدنا ص ١٥٩ .

(٣) سفر العدد ١٦ : ٢٠ - ٣٣ - وحزقيال ٣١: ١٤ - ١٧ .

(٤) أشعياء ٢٨ / ١٠ .

(٥) صموئيل الثاني ٢٢: ٦ وحزقيال ٦: ٥ .

(٦) سفر التكوين ٢٧ : ٣٥ .

(٧) صموئيل الأول: ٢٨/ ٨ - ٩ .

(٨) أيوب ٦/٢٦ .

(٩) مزمور ١٣٩: ٨ .

المكان كانت تحت عينه الساهرة، وهذا التعليم عن معرفة الله لشعبه بعد الموت وحضوره معهم ومجيئه الدائم لهم اشتمل على الغبطة للأبرار والويل للأشرار بعد الموت، وأصبح لهم مقران: الأبرار يكونون مع الرب، والأشرار بعيدون عن وجهه [(١)].

هذا ما ورد في العهد القديم عن الروح ومصيرها بعد الموت، تنزل جميع الأرواح إلى الهاوية وفيها يتم القصاص، وبعد هذا القصاص يكون للأبرار الغبطة والسرور، والويل والثبور للأشرار. إلا أن التلمود يعرض بعض التفصيلات التي تحدث لروح اليهودي بعد الموت ورد في التلمود: **«أن الروح عندما تغادر الجثة ينتج عنها صوت صارخ، ولكن الحاخامات دعوا الله وصلوا، فامتنع هذا الصوت الذي لا مثيل له إلا صوت الشمس حين تدور حول مدارها، وصوت الجماهير في مدينة روما»** [(٢)].

وورد في التلمود أن الروح تحلّق فوق الجثة ثلاثة أيام، وهي تريد أن ترجع إلى الجسد مرة ثانية، إلا أنها حين تشاهد أن جسد اليهودي قد تغير تتركه ورد في التلمود: **«أما بعد الموت فتحلّق الروح على الجثة ثلاثة أيام، تنوي الرجوع إليها، ولكنها عندما ترى أن شكل الوجه تغير تتركها وتذهب بعيدًا»** [(٣)].

وورد فيه أيضًا **«أن مساء كل يوم جمعة تدخل روح جديدة في الأجسام الميتة في القبر وتبقى حتى انتهاء السبت، حيث تغادر الجسم، ولزم إثبات هذه الروح الجديدة بسبب الرغبة المتزايدة في الأكل والشرب»** [(٤)]. كل هذه التفصيلات لا نجدها في العهد القديم. ويشرح **«سعديا الفيومي»** في كتابه **«الأمانات والاعتقادات»** مفارقة الروح لجسدها بقوله: **«وفي أول زمان المفارقة تغيم مدة لا تستقر مقرها إلى أن يبلى الجسم، ومعنى ذلك إلى أن تفترق أجزاؤه فتكون في هذه المدة يصعب عليها ما تعلمه، مما يمر**

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ لظفر الإسلام خان - الناشر - دار النفائس بيروت.

(٣) نفسه ص ٧٧ .

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ لظفر الإسلام خان - الناشر - دار النفائس بيروت ص ٧٧ .

بالجسم من الدود والرمة وما أشبه ذلك. كما يصعب على الإنسان علمه بأن بيتًا كان يسكنه قد خرب ونبت فيه الشوك والحسك. وهذه صعوبة تكون على النفس بالأقل والأكثر حسب استحقاقها، كما أن منزلته بالسفل تكون بالأقل والأكثر فتصعب عليه حسب استحقاقها» (١) ويبين سعديا الفيومي المكان الذي تستقر فيه الأرواح بعد مفارقتها للجسد بقوله: **«تحفظ إلى وقت المجازاة وتكون الصوافي منها موضع حفظها في علوم الكوادر في سفل»** (٢).

وبين المدة التي تحفظ فيها الأرواح الصالحة والأرواح الطالحة فيقول: **«إن مدة مقامها متفرقة تكون إلى أن تجتمع جميع النفوس التي أوجبت الحكمة من البارئ خلقها، وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا، فإذا تم عددها واجتمعت جمع بين النفوس وأجسامها»** (٣).

والذي نلاحظه أن ما ورد في التلمود فيه تفصيلات لأمور كثيرة لم ترد في العهد القديم عن الروح، وترددها على القبر ورغبتها في الرجوع إلى جثة الميت، ثم فرارها بعد أن ترى أن الجثة قد تغيرت.

ومما تجدر الإشارة إليه أن اليهود على عهد رسول الله ﷺ كانوا يقولون بعذاب القبر ويتعوذون منه.

وروى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: **«نعم عذاب القبر»** قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدها صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر زاد غُنْدَرٌ: **«عذاب القبر حق»** (٤).

---

(١) الأمانات والاعتقادات ص ٢٠٦ سعديا الفيومي.
(٢) نفسه ص ٢٠٧ .
(٣) نفسه ص ٢٠٧ .
(٤) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٣/١٨٢ .

يقول ابن كثير بعد أن أورد حديث عائشة وما دار بينها وبين اليهودية عن عذاب القبر، وإقرار الرسول ﷺ لما ذكرته اليهودية لعائشة عن عذاب القبر: «**فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه**» (١).

وبعد عرضنا للبرزخ عند اليهود يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصور الإسلامي والتصور اليهودي للميت في فترة البرزخ على النحو التالي.

مواطن الاتفاق:

أولاً:

يعتقد اليهود أن هناك قصاصًا بعد الموت في القبر الذي يطلقون عليه لفظ الهاوية (٢) وأن هذا القصاص يترتب عليه الثواب والعقاب لروح الميت، وهذا القصاص لا تعطي أسفار العهد القديم صورة مفصلة عنه، ولكن التعاليم الشفوية أعطت بعض التفصيلات عن نعيم الروح وعذابها، وفكرة القصاص في القبر عند اليهود بينها وبين عذاب القبر في الإسلام وجه شبه بيّن، خصوصًا إذا علمنا أن يهودية أخبرت السيدة عائشة بعذاب القبر، وأن الرسول ﷺ أقر اليهودية حين أخبرته السيدة عائشة بما قالته اليهودية عن عذاب القبر.

ثانيًا:

يتفق التصور اليهودي مع التصور الإسلامي في المصير النهائي للأرواح في فترة البرزخ، حيث يعتقد اليهود أن الأرواح الصالحة تكون في علو حسب استحقاقها، وأن الأرواح الشريرة تكون في سفل حسب استحقاقها أيضًا.

أما مواطن الاختلاف فتتمثل فيما يأتي:

أولاً:

أن النعيم والعذاب يقع على الروح وحدها (٣) دون الجسد، بعكس ما نجد في

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٨٢ .

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

(٣) انظر الأمانات والاعتقادات ص ٢٠٦ وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

الإسلام، إذ إن العذاب والنعيم يقع على الروح وحدها أحيانًا، وعليها وعلى الجسد أيضًا [١].

ثانيًا: أن البرزخ في التصور الإسلامي يتعرض فيه الميت لسؤال الملكين، ولا يوجد ذلك عند اليهود.

ثالثًا: أن التفصيلات التي وردت عن الروح وترددها على الجسد يوم السبت ورغبتها في الرجوع إلى الجسد ثم تراجعها بعد رؤيتها تغير الجسد. لا توجد في التصور الإسلامي تلك الحالة للروح.

* * *

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٨، والروح لابن القيم ص ١٢٥ .

المبحث الثالث

علامات الساعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: علامات الساعة في التصور الإسلامي

بداية يقرر القرآن الكريم أن الساعة بمعناها العام التي تقوم فيها القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات لا يعلمها إلا الله، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤].

ويقول تعالى في رده على الذين يسألون الرسول ﷺ عن الساعة، مبينًا عدم معرفة الرسول لوقتها، وإنما الذي يعلم وقتها هو الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧] ويبين القرآن الكريم أن مهمة الرسول ﷺ الإنذار بها، لا تحديد وقتها، يقول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٢-٤٦] الآيات القرآنية تقرر بكل صراحة ووضوح أن الساعة لا يعلمها أحد إلا الله، ونفى القرآن الكريم عن الرسول معرفتها، وبين أن مهمته تتمثل في الإنذار بها لا تحديد وقتها.

إلا أن علامات الساعة وأشراطها قد أخبر عنها الرسول ﷺ روى الإمام مسلم بسنده عن ابن عمر في حديث جبريل الذي سأل فيه الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، أن جبريل سأل الرسول ﷺ عن الساعة، قال: فأخبرني عن

الساعة. قال: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل»** قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: **«أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان»** [١] في الحديث نفي الرسول ﷺ عن نفسه العلم بالساعة، ولكنه أخبر عن أمارتها كما ورد في الحديث.

وروى مسلم بسنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ **«بعثت أنا والساعة كهاتين»** وضم السبابة والوسطى [٢]، يقول النووي في شرحه لهذا الحديث **«المراد بينهما شيء يسير كما بين الأصبعين في الطول، وقيل هو إشارة إلى قرب المجاوزة»** [٣].

وليس في نفي القرآن الكريم العلم بالساعة عن الرسول، وإثبات الرسول ﷺ أنه علم أماراتها، ولا ما أخبر عنه ﷺ من أنه بعث والساعة كهاتين، كما أخبر في الحديث السابق، نوع من التناقض يقول القرطبي في تذكرته: **«إن قيل ثبت أن النبي ﷺ سأل جبريل عن الساعة، فقال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» الحديث، فهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم، ورويتم عنه أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»** وهذا يدل على أنه كان عالمًا، فكيف يتآلف الخبران؟» [٤] ويوفق القرطبي بين ما ورد في القرآن وما أخبر عنه الرسول ﷺ.

يقول القرطبي: **«نطق القرآن بقوله الحق ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف :١٨٧] الآية فلم يكن يعلمها هو ولا غيره، أما قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فمعناه:** أنا النبي الأخير، فلا يليني نبي آخر، وإنما تليني القيامة، كما تلي السبابة الوسطى وليس بينهما إصبع آخر، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها، وهي مع ذلك كائنة؛ لأن أشراطها متتابعة وقد ذكر الله الأشراط في القرآن فقال: ﴿فَقَدْ جَآءَ

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٢ طبعة عيسى الحلبي.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ الثامن عشر ص ٨٩ - ٩٠ الناشر المطبعة المصرية ومكتبتها.
(٣) نفسه ص ٨٩ .
(٤) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٧٣٣ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠.

أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد :١٨] أي دنت، وأولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي، ثم بين ﷺ ما يليه من الأشراط، فقال: «**أن تلد الأمة ربتها**» إلى غير ذلك [١]. والذي ذكره القرطبي في تذكرته يرد على كل معترض - بأن بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية تعارضًا فيما يتعلق بالساعة ووقتها - إذ إن ما ورد في الأحاديث النبوية موافق لما جاء في القرآن الكريم من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن الرسول ﷺ نفى عن نفسه وعن غيره العلم بالساعة ووقتها، وهذا ما قرره القرآن الكريم.

الناحية الثانية: أن الله عز جل قد تحدث عن مجيء أشراط الساعة وعلاماتها، والرسول ﷺ فصّل ما أجمله القرآن الكريم عن تلك الأشراط ووردت بعض التفصيلات عن العلامات الصغرى والكبرى للساعة، كما سيتضح عند عرضنا للأحاديث التي تحدثت عن ذلك.

أشراط الساعة:

من أشمل ما ورد من الأحاديث الصحيحة في علامات الساعة الصغرى والكبرى ما رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم ربُّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ولتقُومَنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقُومَنَّ الساعة وقد انصرف**

(١) نفسه جـ ٢ ص ٧٣٣ .

الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقُومَنَّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يَسقى فيه، ولتقُومَنَّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» (١).

وهذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن علامات الساعة من أشمل الأحاديث التي وردت في أشراط الساعة في عموم إنذار النبي ﷺ بفساد الزمان، وتغيير الدين، وذهاب الأمانة، ما يغني عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة» (٢).

ولقد استنبط العلماء من حديث البخاري السابق أن علامات الساعة منها ما وقع على وفق ما قاله ﷺ، وهذا من علامات ثبوته، ومنها ما وقعت مباديه ولم يستحكم بعد، ومنها ما لم يقع منه شيء ولكنه سيقع. يقول ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري في شرحه للحديث السابق: **«هذه المذكورات وغيرها مما أخبر** ﷺ بأنه سيقع قبل أن تقوم الساعة، لكنه على أقسام:

أحدها: ما وقع وفق ما قال، وهذا من علامات النبوة له ﷺ، كاقتتال الفئتين العظيمتين، وظهور الفتن، وكثرة الهرج، وتطاول الناس في البنيان، وتمني بعض الناس الموت.

الثاني: ما وقعت مباديه ولم يستحكم، ومن هذا النمط تقارب الزمان، وكثرة الزلازل وخروج الدجالين الكذابين، وحين يوسد الأمر إلى غير أهله حتى يكون الولد غيظًا، والمطر قيظًا، ويجترئ الصغير على الكبير، واللئيم على الكريم،

---

(١) فتح الباري جـ ١٣ ص ٧٠ - ٧٦ .

(٢) التذكرة جـ ٢ ص ٧٣٤ يورد القرطبي في التذكرة بعض الأحاديث والتفاصيل الباطلة عن أشراط الساعة، والتي منها ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ في سنة مائتين تأويه كذا وكذا وفي العشر والمائتين يكون كذا وكذا وبين كذب هذه الأخبار من ناحية أنه قد مضت هذه المدة وغيرها، ولم يقع شيء من الذي يدعى أن الرسول أخبر به، ومن ناحية أخرى أن التاريخ على عهد الرسول لم يكن معروفًا، وإنما عرف في عهد عمر فكيف يجوز هذا، ولم يكن وضع شيء من التاريخ. التذكرة جـ ٢ ص ٧٣٥.

ويخرب عمران الدنيا.

الثالث: ما لم يقع وسيقع بعد، من هذا النمط طلوع الشمس من مغربها، وقتال المسلمين لليهود حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر، فيقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله، وأن ذلك يظهر قبل الدجال. وهذه العلامات من العلامات الكبرى التي لا تُقبل التوبة بعدها. وينقل ابن حجر حديثًا أخرجه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه **«ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدَّابة، وطلوع الشمس من مغربها»** (١).

وسنتحدث عن العلامات الكبرى للساعة التي تسبق القيامة مباشرة، ومن أظهر تلك العلامات ظهور الدجال، ونزول عيسى بن مريم إلى الأرض ليقتل الدجال.

وهناك أحاديث وردت في كتب السنة عن خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم.

من تلك الأحاديث:

ما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف أو يهراق رأسه ماء، قلت من هذا؟ قالوا: ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية، قالوا: هذا الدجال، أقرب الناس به شبها ابن قطن رجل من خزاعة»** (٢).

وروى الإمام مسلم بسنده عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: **«ما شأنكم؟»** قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: **«غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج**

---

(١) فتح الباري جـ ١٣ ص ٧٧، وانظر من ص ٧١ - ٧٧ .

(٢) فتح الباري جـ ٨١/١٣: ٨٣ .

نفسه، والله خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّةً [١] بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وشمالًا. يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» فقلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال «لا، اقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم [٢] أطول ما كانت ذُرا وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين [٣] ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخَرِبة فيقول لها أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كَيَعَاسِيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل ووجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين مهرودتين [٤] واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه انحدر منه جمان كاللؤلؤ [٥]، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد [٦] فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومًا عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان [٧] لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل صوب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم

---

(١) أي ما بين البلدين.

(٢) أي ماشيتهم. (٣) مجدبين.

(٤) فيها لغتان مهروذتان أو مهرودتان. أي ثوبان مصبوغتان بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة.

(٥) أي حبات الفضة. (٦) بلدة قريبة من بيت المقدس.

(٧) أي لا قدرة ولا طاقة لأحد على قتالهم.

فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نَبِيُّ الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النَّغف [١] في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلّا ملأه زهمهم [٢] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا، لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة [٣]، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك، وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْلِ [٤]، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفآم من الناس، واللِّقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة [٥] من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة» [٦].

وهذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه يتحدث صراحة عن الدجال وفتنته، وصفته قبل قيام الساعة، ثم نزول المسيح عيسى ابن مريم لقتل الدجال وإظهار الحق والدعوة إلى شريعة الإسلام. يؤكد هذا ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويَفيضُ المال حتى لا يقبله أحد»** [٧] والمسيح عليه السلام حين ينزل يصير هو الحاكم، لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمام ولا قاضٍ ولا مفتٍ، لأن العلم

(١) دود يكون في أنوف الإبل. (٢) أي دسمهم ورائحتهم الكريهة.
(٣) كالمرأة أو كالروضة أو كالصفحة كلها معان تحتملها الكلمة.
(٤) اللبن.
(٥) اللقحة - القريبة العهد بالولادة
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ٦٣ - ٧١ .
(٧) رواه البخاري جـ ٢ ص ٢٧ ، ومسلم جـ ١ ص ١٣٥ .

يكون قد قبض من الناس، وهذا من علامات الساعة فينزل عيسى عليه السلام للحكم بين الناس بشريعة الإسلام، وحينئذ يجتمع المسلمون حوله ويحكمونه على أنفسهم، إذ لا أحد يصلح لذلك غيره، ولأن تعطيل الأحكام الشرعية غير جائز، ونلاحظ أن هناك تلازما بين ظهور الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام. وهذا مما يدل على أن ذلك مما يسبق الساعة، ومن العلامات الكبرى التي لا تُقْبَل التوبة بعدها.

ثانيًا: علامات الساعة في التصور النصراني

ورد في الأناجيل عدم تحديد الساعة ونفي معرفتها عن أحد سوى الله عز وجل، وأن المسيح والملائكة لا يعلمون تحديد الساعة التي تقوم فيها القيامة للدينونة. ورد في إنجيل متى: «**وأما في ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده**» [(١)]. واضح من النص أنه ينص صراحة على معرفة الله وحده بالساعة، وأن الملائكة لا تعلم وقتها، ولكن الله هو الذي يعلم ذلك الوقت.

ورد في تفسير النص السابق «**فلا يعلم بها أحد**» قال هذا لقطع رجاء الرسل أن يعرفوا وقت الدين فالأمر مؤكد والزمان مجهول [(٢)]، ويشعر المفسر بالتناقض بين كون المسيح إلها في اعتقاد النصارى، وبين عدم معرفته بتحديد وقت الساعة، فيرد ذلك على عدم قدرة العقل في الخوض والتوفيق بين كونه إلهًا، وكونه لا يعلم الساعة. يقول مفسر إنجيل متى: «**ولا نستطيع أن ندرك كيف أنَّ يسوع باعتبار كونه إنسانًا لا يعرف الزمان الذي عينه باعتبار كونه إلهًا، ولكن هذا ليس بأبعد عن إدراكنا سر التثليث أو سر التجسد**» [(٣)]. إلى هذا الحد يصل المفسر إلى التناقض، إذ إنه يعتقد أن المسيح باعتبار كونه إلهًا قد عين وقت الساعة، وباعتبار كونه إنسانًا لا يعلم

(١) متى ٢٤ - ٣٦/٣٧ .
(٢) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل جـ ١ ص ٤١٨ .
(٣) الكنز الجليل جـ ١ ص ٤١٨ .

وقتها. ونظرًا لمصادمة ذلك للعقل فإن المفسر يذهب إلى القول بأن هذا من الأسرار التي لا تستطيع عقولنا أن تهتدي إليه.

وورد في متى في عدم تحديد وقت الساعة: **«اسهروا، لأنكم لا تعلمون في أي ساعة يأتي ربكم، واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينهب، لذلك كونوا أنتم أيضًا مستعدين، لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان»** (١).

وورد في أعمال الرسل عن عدم تحديدها أيضًا ما نصه: **«ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الأب في سلطانه»** (٢)وورد في تفسير ذلك النص قول صاحب الكنز الجليل: **«أبى في جوابه أن يعين لهم الوقت بناء على المبدأ، وهو أن الله لا يخبر الناس بأوقات الحوادث العظيمة المتعلقة بملكوته. ومثل ذلك كان جوابه للرسل حين قالوا: قل لنا متى يكون هذا، وهو قوله: وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده، ولكن وجَّه أفكارهم إلى الاستعداد للقيام بما يجب عليهم من الخدمة، لأن الأزمنة والأوقات التي تحدث فيها الأمور المستقبلية التي جعلها الأب في سلطانه - أي عيَّنها بحكمته الأزلية - لا يعرفها أحد، ولا الملائكة، ولا المسيح نفسه باعتبار كونه إنسانًا ولا يليق بالإنسان أن يسأل عنها، ولا نعلم علة ذلك، إنما نعلم أن الناس لو علموها وعرفوا أنها بعيدة لغفلوا عن الاستعداد لها وأهملوا السهر»**(٣).

وهذه النصوص تدل بصراحة ووضوح أن الساعة لا يعلمها أحد إلا الله، وهذا هو اعتقاد النصارى كما ورد في الأناجيل وأعمال الرسل، وهذا التصور يتفق مع التصور الإسلامي بالنسبة لعدم تحديد وقت الساعة وأنه لا يعرفها أحد إلا الله، وليس المجال هنا لبيان التناقض الصريح والواضح جدًّا بين اعتقاد النصارى في ألوهية المسيح ونفي العلم عنه بالساعة وموعدها، بالرغم من ادعاء النصارى أنه هو

(١) متى ٢٤ - ٤٢/٤٥ .
(٢) أعمال الرسل ١ - ٧/٨ .
(٣) الكنز الجليل جـ ٤ ص ١٠ بتصرف.

الذي حددها وأنه لا يعلمها لأنه إنسان [١].

وإذا كانت الساعة غير معلومة فإن علاماتها قد أخبر بها المسيح كما يقول النصارى في العهد الجديد، ورد عن علامات الساعة في إنجيل يوحنا: **«أيها الأولاد، هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي قد صار الآن أضداد كثيرون، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة»** [٢].

والنص السابق يشير إلى علامات الساعة، وهي مجيء ضد المسيح، أي ضد شخصه وضد دعوته، ويقصد يوحنا بذلك النص الإشارة إلى مجيء المسيح الدجال، ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى ما نصه: **«ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعًا عن ذهنكم، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا - أي أن يوم المسيح قد حضر - لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولا، ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك القادم والمرتفع على كل ما يدعى إلها أو معبودًا، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله مظهرًا نفسه أنه إله»** [٣]. بولس يتحدث عن مجيء المسيح وعودته مرة أخرى إلى الأرض، ولكنه يحذر أهل تسالونيكى أن لا يرتاعوا، وأن لا يخدعوا بأي واحد يقول لهم إن يوم المسيح قد حضر، ثم يبين العلامات التي تسبق مجيء المسيح وتستلزم رجوعه، وهذه العلامات تتمثل في الارتداد عن الكنيسة ويظهر إنسان الخطية ابن الهلاك - أي المسيح الدجال - الذي يدعى الألوهية، ويرتفع حتى يظهر في هيكل الله معلنا نفسه أنه إله، يقول ميخائيل مينا: **«واضح من هذه النصوص الإلهية أن يوم الرب الأخير لا يأتي ما لم يأت هذا الإنسان المقاوم المعروف بالمسيح الدجال»** [٤]. وقد وردت صفات الدجال في رؤيا يوحنا اللاهوتي: **«والوحش الذي**

(١) انظر الكنز الجليل جـ ٢ ص ٤١٨ .
(٢) يوحنا ٢ / ١٨ وانظر بولس والمسيح ص ١٢٩ .
(٣) رسالة بولس إلى أهل تسالونيكى ٢ - ١ / ٥ .
(٤) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٥ .

رأيته شبه نمر، قوائمه كقوائم دب، وفمه كفم أسد، وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطانًا عظيمًا، ورأيت واحدًا من رؤوسه كأنه مذبوح للموت، وجرحه المميت قد شفي، وتعجبت كل الأرض وراء الوحش، وسجدوا للتنين الذي أعطى السلطان للوحش، وسجدوا للوحش قائلين: من هو مثل الوحش، من يستطيع أن يحاربه؟ وأعطى فما يتكلم بعظائم وتجاديف، وأعطى سلطانًا أن يفعل اثنين وأربعين شهرًا، ففتح فمه بالتجديف على الله، ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء، وأعطى أن يصنع حربًا مع القديسين ويغلبهم، وأعطى سلطانًا على كل قبيلة ولسان وأمة، فسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة الخروف الذي ذبح» [١].
ويوضح صاحب الكنز الجليل تلك الصفات بقوله: «إن قوة الوحش مكتسبة لا أصلية أي أن الله سمح له أن يستعملها زمنًا يسيرًا، وسماح الله للوحش بذلك امتحان لإيمان الكنيسة» [٢].

وهناك بعض الفتن التي يحدثها المسيح الدجال مع القديسين كما يزعم النصارى، يقول ميخائيل مينا: «يصنع الدجال حربًا مع رجال الله، ولا سيما مع إيليا، وأخنوخ، الذين بعد أن يستظهرا عليه ويغلباه يسمح له الله أن يقتلهما، وتبقى جثثا هامدة مطروحة على الأرض بلا دفن ثلاثة أيام ونصفا، وبعد ذلك يقومان بقوة الله حيين» [٣].
ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: «هذان لهما السلطان أن يغلقا السماء حتى لا تمطر مطرًا في أيام نبوتهما، ولهما سلطان على المياه أن يحولاها إلى دم، وأن يضربا الأرض ضربة كلما أراد، ومتى تمما شهادتهما فالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حربا، ويقلبهما ويقتلهما، وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التي تدعى روحيا سدوم، ومصر، حيث صلب ربنا، وينظر أناس من الشعوب والقبائل والألسنة والأمم جثتيهما ثلاثة أيام ونصفا، ولا يدعون جثتيهما توضعان في القبور، ويشمت بهما الساكنون على الأرض

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٣: ٢ / ١٠ .
(٢) الكنز الجليل جـ ٨ ص ٤٨٠ .
(٣) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٨ .

ويتهللون ويرسلون هدايا بعضهم لبعض، لأن النبيين قد عذبا الساكنين على الأرض» [١].

ونص يوحنا يوضح أن الوحش المسيح الدجال سيحدث فتنًا عظيمة، منها غلبته لإيليا وأخنوخ، وقتله لهما، وترك جثتيهما على الطريق والناس ينظرون إلى قوة الدجال، ويشمتون في قتل هذين النبيين؛ لأنهما قد عذبا الساكنين على الأرض، والعذاب هنا كناية عن التوبيخات من النَّبيين للذين يفعلون الخطايا» [٢]، ففتنة المسيح الدجال تتمثل في القتل وافتتان الناس به، وفرحهم بقتل الصالحين الذين شهدوا على خطاياهم.

ومن العجائب التي تظهر على يد المسيح الدجال يذكر العهد الجديد عددًا من العجائب التي تظهر على يديه، والتي يدعو الناس بسببها إلى كونه إلهًا يستحق العبادة منهم. ورد في إنجيل متى: «**حينئذ إن قال لكم أحد هو ذا المسيح هنا أو هنا فلا تصدقوا؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضًا، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم**» [٣] يقول صاحب الكنز الجليل: «**لعل المسيح أراد تحذير تلاميذه من توقع مجيئه الثاني على أثر خراب أورشليم، ولا شك أنه قصد تحذير شعبه في العصور الآتية من أن يخدعوا بأقوال الكذبة**» [٤]، وإذا كان متى يخبر بأن هناك مسحاء سيظهرون آيات عجيبة ويحذر من تصديقهم، فإن يوحنا اللاهوتي يتحدث عن الآيات العجيبة التي تظهر على يد المسيح الدجال قبل قيام الساعة وقبل رجوع المسيح عليه السلام، ويتحدث في رؤياه عن ثلاث عجائب، تظهر على يد الدجال، ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي ما نصه: **«ورأيت واحدًا من رؤوسه كأنه مذبوح للموت، وجرحه المميت قد شفى، وتعجبت كل الأرض وراء الوحش، وسجدوا للتنين الذي أعطى السلطان للوحش، وسجدوا للوحش**

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي ١١ / ٦ / ١١ .
(٢) الكنز الجليل ٤٦٠ وما بعدها.
(٣) متى ٢٤ - ٢٤ / ٢٦ .
(٤) الكنز الجليل جـ ١ ص ٤١٢ .

قائلين، من هو مثال الوحش، من يستطيع أن يحاربه» [١]، ويصنع آيات عظيمة، حتى إنه يجعل نارًا تنزل من السماء على الأرض قدام الناس، وأعطى أن يعطى روحا لصورة الوحش، حتى تتكلم صورة الوحش، ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يقتلون، ويجعل الجمع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم، وأن لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا من له السمة» [٢]. يقول ميخائيل مينا: **«قد يصنع الدجال آيات ومعجزات كثيرة بقوة الشيطان يشفى أحد أتباعه أو هو نفسه من جرح قاتل، ينزل نارًا من السماء، وذلك في طاقة الشيطان، لأنه قادر على أن ينزل من الجو صواعق ويثير رعودا وبرقا، ويجعل تمثاله ينطق ويتكلم، وذلك بأن يدخل روحًا من الأرواح الشيطانية في ذلك التمثال على عادة الوثنيين، فيصيره ناطقًا متكلمًا، ولكن هذه العجائب كلها باطلة وخيالية، لا حقيقة لها بنفسها، وإنما الشيطان يتحايل الناس بها كأنها حق»** [٣]. ونلاحظ أن ما ورد في نص متى الذي يحذر فيه المسيح من المسحاء الكذابين أنه يتفق في معناه مع ما أخبره عنه النبي ﷺ بقوله: **«بين يدي الساعة ثلاثون دجالًا كذابًا»** [٤]. وأن ما ورد في العجائب التي تظهر على يد الدجال - والتي عرضنا بعضًا منها عند النصارى - يتفق بمعناه مع ما أخبر عنه ﷺ من العجائب التي تظهر على يد المسيح الدجال. روى البخاري بسنده عن حذيفة عن النبي ﷺ قال في الدجال: **«إن معه ماءً ونارًا، فناره ماء بارد، وماؤه نار»** قال أبو مسعود: أنا سمعته من رسول الله ﷺ [٥]. وأن الفتن التي يحدثها الدجال، وتحدّثنا عنها الأناجيل تتفق في معناها أيضًا مع ما أخبر عنه ﷺ فيما يفعله الدجال مع الصالحين من عباد الله، وأنه ستظهر على يديه بعض العجائب التي تفتن الناس. روى البخاري بسنده أن أبا

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣ - ٣ - ٥ .
(٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٣ - ١٣ / ١٧ .
(٣) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٦ / ١٧٧ بتصرف.
(٤) فتح الباري جـ ١٣ ص ٧٣ .
(٥) فتح الباري جـ ١٣ ص ٨٤ .

سعيد قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال فكان مما يحدثنا به أنه قال: «**يأتي الدجال وهو مُحَرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خيار الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله** ﷺ حديثه. فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه»[(١)] ونحن نسجل هذا لا ننزعج من التوافق بين روايات العهد الجديد عن المسيح الدجال وفتنته، وما أخبر عنه ﷺ، ما دمنا نعترف أن للعهد الجديد أصلًا صحيحًا انحرف عنه، فقد تكون تلك الروايات من الأصول الصحيحة، بخاصة إذا علمنا أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي وقد أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: إنه أعور وإن الله ليس بأعور**»[(٢)] فالرسول ﷺ قد أخبر أن الأنبياء قد أنذرت أممهم بالمسيح الدجال، وما يفعله بالناس الذين ينزل فيهم، وأخبر الرسول ﷺ أيضًا بذلك إلا أنه زاد صفاته توضيحًا، فوصفه بأنه أعور، ولم يحدث نبيٌّ من الأنبياء أمته بهذه الصفة.

ومما تحدث العهد الجديد عنه بالنسبة للدجال مدة حكمه. ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي: «وأعطى فما يتكلم بعظائم وتجاديف، وأعطى سلطانًا أن يفعل اثنين وأربعين شهرًا»[(٣)] يقول ميخائيل مينا: «أما مدة حكم الدجال فثلاث سنين ونصف، يعاني فيها العالم من الأهوال والشدائد الفادحة ما يقصر عنه البيان، وقد ينتشر سلطانه ويمتد ملكه إلى أقصى الأرض كلها، حيث يكون له أتباع وأعوان في كل مكان، يحملون لقب ملوك وولاة، ليرغموا الناس على الإسرار بألوهيته،

---

(١) نفسه جـ ١٣ ص ٨٦، ٨٧، ٨٨ .
(٢) فتح الباري جـ ١٣ ص ٨٠، ٨١ .
(٣) رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٣ - ٦/٥ .

وإلا ساموهم ظلمًا وخسفًا» [١]. ومعلوم أن رسول الله ﷺ قد حدد المدة التي يمكث فيها الدجال في الأرض بأربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الناس، ولا شك أننا نتمسك هنا بصحة المدة التي حددها رسول الله ﷺ.

نهاية الدجال في التصور النصراني:

يعتقد النصارى أن الدجال ستكون نهايته على يد المسيح عليه السلام، وذلك قبل أن تقوم الساعة، وأنه سيطرح في النار حيًّا ومعه أحد الكذابين، وأما الذين اتبعوه وصدقوه بكذبه فسوف يُقْتَلُونَ بيد المسيح الذي يخرج جالسًا على فرس، ورد في سفر الرؤيا - يوحنا اللاهوتي- ما نصه: «**ورأيت ملاكًا واحدًا واقفًا في الشمس، فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء: هلم اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم، لكي تأكلي لحوم ملوك، ولحوم قواد، ولحوم خيل والجالسين عليها، ولحوم الكل حُرًا وعبدًا صغيرًا أو كبيرًا، ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين، ليصنعوا حربًا مع الجالس على الفرس ومع جنده، فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه الصانع، قدامه الآيات التي بها أضل الذين قبلوا اسمه الوحش، والذين سجدوا لصورته، وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المُتَّقدة بالكبريت، والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه، وجميع الطيور شبعت من لحومهم**» [٢]. ويقال: إن المدة التي يمكث فيها الدجال بعد أن تنتهي يذهب إلى جبل الزيتون - المكان الذي يزعم النصارى أن المسيح صعد منه إلى السماء - ليصعد إلى السماء كما صعد المسيح، ولكن يسوع يضربه ضربة قاتلة، يتحدد على أثرها إلى الجحيم، حيث النار المتقدة بالكبريت [٣]، والذين معه سوف يقتلون وتترك لحومهم لطيور السماء تأكلها وتتغذى عليها، وبعد ذلك نجد أن النصارى يختلفون فيما بينهم

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٢) رؤيا يوحنا ١٩ - ٢١/١٧ .

(٣) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٩.

عن المدة التي يبقى فيها المسيح على الأرض، وحال الناس في تلك الفترة التي تعرف بالملك الألفي - أي الألف سنة التي يقضيها المسيح على الأرض - اختلفوا على رأيين:

الرأي الأول: يرى أن الألف سنة تبتدئ بمجيء المسيح قبل نهاية العالم، وأنه يملك مع قديسيه ألف سنة على الأرض، وأنه في تلك الفترة يعيش القديسون تحت لوائه في حالة عظيمة من المجد والسعادة، وأن هذه القيامة التي يقوم فيها المسيح مع قديسيه هي سعادة النفس وحدها، أما القيامة الثانية فهي سعادة الروح والجسد معًا. وقد أيد هذا الرأي الكثير من مشاهير علماء الكتاب [١] الأرثوذكس.

الرأي الثاني: يذهب إلى أن الألف سنة مدة محصورة بدايتها موت الدجال وتنتهي بالقيامة العامة، وحينذاك يقوم الأبرار من الأموات، ويملكون على الأرض مع المسيح ألف سنة، وفي هذه الفترة ينتشر والأمن الأمان، ويسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي [٢]. وهذا الرأي يذهب إليه لفيف من البروتستانت.

وهذان الرأيان لا اختلافًا كبيرًا فيما بينهما، إذ يتفق الرأي الأول والثاني على الملك الألفى والقيامة الخاصة التي تسبق القيامة العامة، وأن الأبرار من الأموات يقومون ليعيشوا في سعادة حسية على الأرض مع المسيح عليه السلام، والاختلاف في الزمن هل هو قبل الدجال أو بعده، والأرثوذكس يرجحون الرأي الأول، والبروتستانت يرجحون الرأي الثاني [٣].

وهذا الملك الألفى الذي اختلف حوله النصارى نجد أن في إنجيل متى نصا يشير إلى أن النصارى لن يكونوا هم أصحاب هذا الملكوت، وإنما ينزع منهم

---

(١) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٩/١٧١ .

(٢) انظر سفر أشعياء ١١ : ٦/١٠ .

(٣) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧١/١٧٥ .

ويعطى لغيرهم، ويفسر بعض علماء الإسلام هذا النص بأنه إشارة إلى حكم المسيح عليه السلام بشريعة الإسلام في آخر الزمان بعد قتل الدجال. ونص متى هو «**لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تحمل أثماره**»[١].

يقول الدكتور الفرت في تعليقه على نص متى: «**إنه لكيلا يبقى إخواننا المسيحيون في حيرة من أمرهم، ولكي لا يظنوا أن المسيح يكذبهم، يمكن القول بأن ذلك الملكوت يمكن توقعه في مجيء المسيح الثاني حين انقضاء الدهر، ليقضي على الدجال والدجال في آخر الدنيا، وليصلح الأرض بالإيمان بعدما استشرى فيها الفساد والكفر والضلال، وبذلك تكون على دعوته نهاية العالم، وإنا لنجد في نصوص الإنجيل ما يؤكد هذا المسلك، فإن المسيح لما رأى انتظار القوم لحلول الملكوت أبهم تحديد وقته على وجه التعيين، ولما كان التلاميذ في شغف من معرفة وقت حلول الملكوت الذي يأتي عند انقضاء الدهر أكد لهم أن لذلك اليوم مقدمات وعلامات متى تأتي يكون الملكوت**»[٢].

ويذهب الدكتور الفرت إلى أن ما أخبر به المسيح عليه السلام من مجيئه الثاني قبل انقضاء الدهر، ليقيم مملكة قائمة على أسس قويمة من الدين، وأنها ستكون مملكة مثالية في سعادتها تحت تطبيق الشريعة التي ينادي بها المسيح عليه السلام، قول صدق وخبر حق. ونجد في الإسلام ما يؤكدها.

يقول الدكتور الفرت: «والله أكبر حين يتلى على أسماعنا قوله، ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى، وبذلك يتفق عيسى ومحمد على أن العالم ستسوده دعوة عيسى وحكم عيسى قبل انقضاء الدهر، لكن بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام، والذي يؤكد نبوءة محمد هذه أن المسيح عليه السلام ذكر أن بشارته ستكون لجميع الأمم؛ لأن عيسى عليه السلام في رسالته الأولى لم يرسل لبني إسرائيل خاصة، أما في المجيء الثاني فإن بشارته

(١) متى ٢١: ٤٣ .

(٢) انظر بولس والمسيحية ص ١٤١، ١٤٣ للدكتور أبو الغيط الفرت. الناشر دار الطباعة المحمدية – الطبعة الأولى.

ستكون لجميع الأمم حقًّا وصدقًا»[١]. وأميل إلى ما ذهب إليه الدكتور الفرت؛ لأن ما ذهب إليه هو ما يتفق مع التصور الإسلامي في نزول المسيح وحكمه بشريعة الإسلام، التي جعلها الله عز وجل خاتمة الشرائع وختم بنبيِّها النبوة، ومما تجدر الإشارة إليه أن إنجيل برنابا يشير إلى عودة المسيح قبل القيامة، ليشهد على الذين حرَّفوا الإنجيل واتخذوه إلهًا. ورد في إنجيل برنابا قول المسيح: «**إني رجل فانٍ كسائر الناس، على أني وإن أقامني الله نبيًا على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة، خادم الله وأنتم شهداء على هذا، كيف أني أنكر على هؤلاء الأشرار بعد انصرافي من العالم سيبطلون حق إنجيلي بعمل الشيطان، ولكن سأعود قبل النهاية، وسيأتي معي أخنوخ وإيليا، ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة**»[٢].

تعقيب على علامات الساعة بين التصور الإسلامي والتصور النصراني:

بعد عرضنا لعلامات الساعة بين الإسلام والنصرانية يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف على الوجه التالي:

أوجه الاتفاق:

أولاً: يتفق التصور النصراني مع التصور الإسلامي في أن الساعة لا يعلمها إلا الله وحده، ووردت نصوص في الأناجيل تتفق مع نصوص القرآن الكريم في هذه القضية، ولا شيء في هذا التوافق بين بعض نصوص الأناجيل ونصوص القرآن، ما دمنا نعترف أن للأناجيل أصلًا صحيحًا انحرف عنه، هذا الأصل الصحيح يتمثل في الإنجيل الذي أخبرنا الله عز وجل أنه علَّمه لعيسى ابن مريم عليه السلام.

ثانيًا: أن أشراط الساعة وعلاماتها في الأناجيل جاءت موافقة في المعنى العام مع ما ورد عن أشراط الساعة في سنة الرسول ﷺ، مع الاختلاف بين الإجمال عند النصارى والتفصيل عند المسلمين، وأيضًا بعض الجزئيات التي انفرد بها

---

(١) بولس والمسيحية ص ١٤٥، ١٤٦ .

(٢) إنجيل برنابا الفصل الثاني والخمسون ١٣/١٨ .

التصور الإسلامي عن التصور النصراني.

ثالثًا: أن ظهور المسيح الدجال والفتن التي يحدثها قرب قيام الساعة مما اتفق عليه التصور الإسلامي مع التصور النصراني، مع ملاحظة الإجمال عند النصارى والتفصيل عند المسلمين، وأيضًا بعض الجزئيات التي انفرد بها الإسلام عن النصرانية كصفة المسيح الدجال، وكيف أنه أعور، وأن تلك الصفة أخبر بها رسول الله ﷺ أمته، ولم يخبر أي نبي أمته بتلك الصفة، وعند بحثنا عن تلك الصفة للدجال في كتب النصارى لم نجد لها أي ذكر وهذا تصديق للرسول ﷺ.

رابعًا: أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لقتل الدجال مما يتفق فيه التصور النصراني مع التصور الإسلامي.

اوجه الاختلاف:

أولاً: التناقض الموجود عند النصارى بين اعتقادهم في ألوهية المسيح عليه السلام وكونه لا يعلم الساعة، وبلوغ هذا التناقض أقصى حد في عبارة أحد المفسرين، «**وباعتباره إنسانًا لا يعلم وقتها**»، وهذا يخالف التصور الإسلامي جملة وتفصيلاً.

ثانيًا: يختلف التصور النصراني عن التصور الإسلامي في حكم المسيح بعد قتل الدجال، إذ يعتقد النصارى أن المسيح سينشر الإنجيل في كل المسكونة، وهذا يخالف ما في العهد الجديد من أن المسيح رسالته لبني إسرائيل خاصة، ويخالف التصور الإسلامي في أن المسيح عليه السلام سوف ينزل ليحكم بشريعة الإسلام، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، ومعلوم أن دعوة الإسلام هي الدعوة العالمية للناس كافة، وهي الدعوة التي يأتي المسيح عليه السلام ليدعو الناس إليها.

ثالثًا: علامات الساعة في التصور اليهودي

نظرًا لقلة المصادر اليهودية فإنني لم أعثر في المراجع المتاحة لي على أي إشارة عن علامات الساعة في التصور اليهودي على عكس ما في الإسلام، وما في

النصرانية، ويبدو أن التوراة الحالية لا تهتم كثيرًا باليوم الآخر وما يسبقه وما يقع فيه، وإنما تجعل اهتمامها بالحياة الدنيا وما فيها، وأنه إذا وجد عند مفكري اليهود تفصيلات عن الآخرة وعلاماتها فقليلًا ما يعثر عليها الباحث، نظرًا لأن الديانة اليهودية غير تبشيرية، ولأن اليهود لا يحبون نشر دينهم خارج جنسهم من اليهود.

وهذا ما أسجله في البداية عن قلة المصادر اليهودية التي يمكن أن يرجع الباحث إليها، وعلامات الساعة لا نجد في العهد القديم حديثًا عنها، حتى النصارى الذين يستدلون على الساعة وعلاماتها نجدهم لا يرجعون إلى العهد القديم في الاستدلال على علامات الساعة بالرغم من أنهم يعتبرون العهد القديم من الأصول التي يرجعون إليها ويستدلون بها على كثير من قضاياهم، ولو كانت علامات الساعة واضحة في العهد القديم لاستدل النصارى عليها بالعهدين القديم والجديد معًا، وهذا ما لم نلحظه في استدلال النصارى، إذ رأينا أنهم يكتفون بالعهد الجديد فقط.

وللأمانة العلمية، فإنني قد عثرت على نص عند أحد مفكري اليهود، فيه إشارة ضمنية إلى علامات الساعة، تتمثل هذه الإشارة في استدلال هذا المفكر على أن اليهود سيميزهم الله عن بقية الأمم، فيحييهم في الدنيا أولًا قبل الآخرة، ليصل حياتهم الآخرة بحياتهم الدنيا. يقول سعديا الفيومي: «أليس نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله يحيي جميع الموتى في دار الآخرة للمجازاة؟ فأي شيء لمنكر أن يكون فضل هذه الأمة بمدة زيادة، يحيى فيها موتانا قبل دار الآخرة، حتى يصل حياتهم تلك بحياة الآخرة وأي شيء السبب المانع من ذلك والدافع له؟ أو ليس هو عدلًا، يعوض كل ممتحن حسب محنته، وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة، فبالأحرى أن يزيدها هذه المدة من قبل الدار الآخرة، فتكون أفضل من جميع المحسنين، كما كان صبرها ومحنتها أفضل منهم» (١).

وهذا النص يعطي إشارة ضمنية إلى علامات الساعة، إذ إن ذلك يحدث قبل قيام الساعة.

---

(١) الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومي ص ٢٢٦ - طبعة ليدن ١٨٨٢ .

المبحث الرابع

البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: البعث في التصور الإسلامي

احتل البعث مكانًا كبيرًا في القرآن الكريم لدرجة «**أننا قلما نجد سورة في التنزيل إلا وللبعث واليوم الآخر فيها سهم، وأي سهم**»[١] واهتمام القرآن الكريم بالبعث واليوم الآخر يرجع إلى نواح منها:

الأولى: عرض صورة واقعية للبعث وما يصحبه وما يقع بعده من أحداث، وهذا ما سنتعرض له في هذا المبحث كواقعة من واقعات اليوم الآخر، ونرجئ الحديث عن الخلاف الذي وقع بين المسلمين وبعض الفلاسفة في حقيقة البعث: هل هو بالروح أم بالجسد أم بهما معًا إلى الفصل الثاني من الرسالة، حين عرض واقعات اليوم الآخر بين المتكلمين والصوفية والفلاسفة.

الثانية: مناقشة المنكرين للبعث ودحض شبههم وإثبات البعث بالأدلة العقلية والوجدانية والعملية والبعث من هذه الناحية سنتعرض له في فصل مستقل إن شاء الله.

مقدمات البعث:

من مقدمات البعث: النفخ في الصور، والصور هو القرن الذي ينفخ فيه. روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**»[٢]. ولقد تكرر الصور في القرآن الكريم في سورة:

(١) قصد السبيل في التفسير الموضوعي لآي التنزيل ص ١٢٧ .
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ١٠/١٠ - ١١ تحقيق أحمد شاكر.

«الأنعام» و«المؤمنون» و«النمل» و«الزمر» و«ق» وغيرها [١]، وورد ذكره في السنة النبوية الشريفة وقد اختلف العلماء في عدد النفخات في الصور بعد اتفاقهم على أنه مما يسبق القيامة والبعث، فمن العلماء من اعتبر أن عدد النفخات ثلاث، من هؤلاء العلماء: ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم يقول: «**النفخات في الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث**» [٢] والإمام الطبري عند تفسيره لقول الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل :٨٧]. يقول: «**اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [النمل :٨٧]. عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**». قال: وكيف هو؟ قال: «**قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيامة لله رب العالمين**» [٣].

ويذهب الإمام النسفي في تفسيره إلى أن «**الجمهور على أنها ثلاث. الأولى للفزع كما قال:** ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾ **والثانية للموت، والثالثة للإعادة**» [٤].

وذهب بعض العلماء إلى أن عدد النفخات اثنتان.

يقول القرطبي في التذكرة بعد أن أورد اختلاف العلماء في عدد النفخات: «**وهما نفختان، ونفخة الفزع هي نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لها، أي فزعوا فزعًا ماتوا منه، والسنة الثابتة على ما تقدم، والأحاديث تدل على أنهما نفختان لا ثلاث، وهو الصحيح إن شاء الله، لقول الله تعالى:** ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٠٨ .

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير جـ ١ ص ٢٧٩ .

(٣) جامع البيان للطبري - المجلد العاشر ص ١٤/١٣. الناشر دار المعرفة بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٨٠ .

(٤) تفسير النسفي جـ ٤ ص ٦٦ - الناشر عيسى الحلبي.

﴿ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر :٦٨] فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع، فدل على أنهما واحدة، وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: **«بين النفختين أربعون سنة . الأولى : يميت الله تعالى بها كل حيّ ، والأخرى يحيي الله بها كل ميت»** [(١)]. وذهب النيسابوري في تفسيره إلى أن **«النفخ في الصور مرتان، وذهب البعض إلى أنه ثلاث نفخات : الأولى للفزع كما جاء في سورة النمل، والثانية للموت وهو معنى الصعق، والثالثة للإعادة، والأظهر أن الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه إثبات نفختين** [(٢)].

ويذهب صدر الدين الشيرازي إلى أن نفخة الصور نفختان: **«الأولى لإماتة الإنسان ولمن يزعم أن له حياة، والنفخة الثانية لأجل الإحياء بعد الإماتة حياة أخرى أرفع من الأولى»** [(٣)]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر :٦٨].

ورجح ابن حجر في فتح الباري القول بأن النفخ في الصور مرتان فقط، وحديث الصور الطويل الذي فيه ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة للفزع، ونفخة للصعق ونفخة للقيام لرب العالمين، هذا الحديث أخرجه الطبري مختصرًا، وسنده ضعيف ومضطرب. والأحاديث الصحيحة تثبت أنهما نفختان، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر» [(٤)] وما أخرجه البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود موقوفًا **«ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه ، والصور قرن ، فلا يبقى لله خلق في السماوات ولا في الأرض إلا مات ، إلا من شاء ربك ، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون»**. وفي حديث أوس بن أوس الثقفي، رفعه أن **«أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه الصعقة ، وفيه النفخ»** الحديث أخرجه أحمد وأبو داود

---

(١) التذكرة للقرطبي بتصرف جـ ١ ص ٢٢٦ .

(٢) تفسير غرائب القرآن للعلامة نظام الدين النيسابوري بهامش تفسير الطبري المجلد الحادي عشر ص ١٩ بتصرف.

(٣) حقائق البعث والنشور. صدر الدين الشيرازي ص ٩٩، ١٠٠، بتصرف – الناشر دار التراث العربي – الطبعة الأولى ١٩٨٤ .

(٤) سيأتي ذكر هذا الحديث.

والنسائي، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وفي كل ذلك دلالة على أنهما نفختان فقط»[1]، وبهذا التحقيق من ابن حجر للأحاديث التي وردت تَبَيَّن أن النفخ في الصور مرتان، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بين النفختين أربعون»**. قال: أربعون يومًا؟ قال: **«أبيت»** قال: أربعون شهرًا؟ قال: **«أبيت»**. قال أربعون سنة؟ قال: **«أبيت»**[2]. وقوله أبيت أي امتنعت من الإخبار بما لا أعلم[3]. قال صاحب الفتح: **«النفخةُ الأولى هي نفخة الصعق، ثم ينفخ إسرافيل النفخة الثانية، وهي نفخة البعث. قال ابن عباس: الراجفة النفخة الأولى، الرادفة النفخة الثانية»**[4]. وبعد هذا العرض لآراء العلماء حول عدد النفخات في الصور نرجح ما ذهب إليه القرطبي في التذكرة، وابن حجر في الفتح، نظرًا لأن ظاهر الأحاديث الصحيحة تؤيد أن النفخ مرتان، وما استدل له العلماء من كون النفخ ثلاث مرات - كابن كثير - فإن الأحاديث فيه ضعيفة كما بيّن ابن حجر في الفتح، ودليل آخر أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل :٨٧] ورد في آيتي الفزع والصعق، ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معا من النفخة الأولى.

وقد ورد في السُّنة أن الصور من مقدمات القيامة، وأنه يسبق البعث مباشرة، فقد ورد في صحيح الإمام مسلم حديثٌ طويلٌ عن علامات الساعة، وما يقع قبل النفخ في الصور، وما يقع بعد النفخ فيه النفخة الأولى والثانية.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر حديث الصور، وفيه **«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق الناس، ثم يرسل الله - أو قال: ينزل مطرًا - كأنه الطل اللَّهمَّ أو قال الظل**

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٠، ٣١١ .

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٨٢٣. للأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ١٩٧٧ .

(٣) نفسه.

(٤) فتح الباري جـ ١ ص ٣١٠ .

- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم قال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]، ثم يقال أخرجوا بعث النار، فيقال من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا، وذلك يوم يكشف عن ساق» [١]. يقول النووي في شرح الحديث السابق. «أصغي ليتًا ورفع ليتًا، الليت بكسر اللام صفحة العنق وهي جانبه، وأصغى مال عنقه ليستمع جيدًا من السماء، والطل أي كمنيّ الرجال، وقوله يوم يكشف عن ساق: أي يوم يكشف عن شدة وهول عظيم أي يظهر ذلك، ويقال كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت» [٢].

البعث:

عرف العلماء البعث بأنه توجه الشيء إلى ما كان عليه، والمراد هنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رُجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق، وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة [٣]، ويعرف البعث بأنه «إعادة الأجزاء الأصلية، لا إعادة الأجزاء الفاضلة» [٤] ويعرف أيضًا بأنه «عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم، بعد جمع الأجزاء الأصلية التي من شأنها ذلك كالظفر» [٥]. وهذه التعريفات كلها تُجْمِعُ على إحياء الموتى بأجسادهم بعد الموت وخروجهم من القبور.

يقول إمام الحرمين في الإرشاد: «فإن سُئِلنا الدليل على جواز الإعادة استقرأناه من نص الكتاب وفحوى الخطاب، وشَبَّهنا الإعادة بالنشأة الأولى، كما قال تعالى ردًا على

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٧٥/٥٧٦ طبعة الحلبي.

(٢) صحيح مسلم جـ ١٨ ص ٧٦/٧٧ وتفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٧٧ .

(٣) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٣ .

(٤) الأربعين في أصول الدين ص ٢٩٢ للإمام فخر الدين الرازي - الطبعة الأولى مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٣ هـ.

(٥) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٢ .

منكري البعث: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس :٧٨][١].

والقرآن الكريم يصور بعث الناس وخروجهم من قبورهم أبلغ تصوير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ :١٧-٢٠].

ويصور القرآن الكريم البعث وخروج الناس من القبور لله رب العالمين يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس :٥١-٥٤]، هذا إخبار من الله تعالى بأن الأموات بعد النفخة الثانية يبعثون هبًّا من القبور، ويتحسرون متسائلين مَنْ بعثنا من مرقدنا، أي من أهبنا؟ من هبّ من نومه إذا انتبه وأهَبَّهُ غيره، ويجابون بأن هذا ليس بالبعث الذي عرفتموه، وهو بعث النائم من مرقده، حتى يهمكم السؤال على الباعث، إن هذا هو البعث الأكبر، ذو الأهوال والأفزاع، وهو الذي وعده الله في كتبه المُنزَّلة على ألسنة رسله الصادقين [٢].

ويقول الله عز وجل مصوِّرًا حالة الناس حين البعث ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر :٦-٨] ويقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية **«كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الأقطار»** [٣].

ومما اهتم به القرآن الكريم والسنة النبوية ما يسبق البعث من أهوال، تتمثل في زلزلة الأرض، ونسف الجبال، وتكوير الشمس، وتفجير البحار، وتناثر النجوم،

---

(١) وانظر الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني ص ٢٧٢ تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم مكتبة الخانجي ١٩٥٠ .

(٢) انظر الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٣٢٥/٣٢٦ .

(٣) تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٦٥٤ .

وتبعثر القبور، وغير ذلك من الأحداث التي تقع يوم القيامة. يقول الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة :١-٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٣-١٦][(١)].

ويقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة :١-٨]. يقول صاحب ظلال القرآن: «**إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافًا، وتزلزل زلزالا، وتنفض ما في جوفها نفضًا، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلًا، وكأنها تتخفف من هذه الأثقال التي حملتها طويلاً، وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت، ويخيل إليهم أنهم يتأرجحون ويترنحون والأرض من تحتهم تهتز وتمور، مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض، وتحسبه ثابتًا باقيًا**»[(٢)].

ويبلغ تصوير القيامة عند الرسول ﷺ مبلغه حين يشخص لنا يوم القيامة متمثلًا في بعض سور القرآن الكريم، روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن ينظر إلي يوم القيامة كأنه رأيُ عينٍ فليقرأ** ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير :١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار :١] و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق :١] وأحسبه أنه قال: «**سورة هود**»[(٣)].

---

(١) ومن السور التي تحدثت عن أهوال يوم القيامة سورة الحج، الطور، الواقعة، المعارج، القيامة، المرسلات، النبأ، النازعات، الغاشية.

(٢) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٩٥٤ - دار الشروق الطبعة العاشرة ١٩٨٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد جـ ٢ ص ٢٧ .

وإن المتأمل في السور الذي ذكرها الرسول ﷺ على أنها تعرض يوم القيامة مشهودًا للناس يجد حقا أنها تصور يوم القيامة بأهوال أحداثه ومشاهده أبلغ تصوير، ولنأخذ سورة التكوير كمثال على ذلك يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير :١-١٤].

يقول الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات: **«هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود، والتوراة الشاملة لكل موجود، والانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية والوحوش النافرة، والأنعام الأليفة، ونفوس البشر، وأوضاع الأمور، حيث ينكشف كل مستور، ويعلم كل مجهول، وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب»** (١).

ومما تجدر الإشارة إليه إخبار رسول الله ﷺ بما يفعله الله بالسماء والأرض.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»** (٢) وهذا الحديث إشارة إلى ما في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر :٦٧].

والعلماء على اختلاف، هل قبض السماوات والأرض يقع بعد النفخ في الصور النفخة الثانية أو معه؟ (٣) وأميل إلى أن قبض السماوات والأرض وما يقع في الكون مما أخبر عنه القرآن الكريم من زلزلة الأرض، وتكوير الشمس، ونسف

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٨٣٧ - الطبعة العاشرة.

(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٣ .

(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٣ .

الجبال مما يصاحب النفخة الثانية في الصور، ذلك لأن الآيات التي تحدثت عن ذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة :١٣-١٥].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ :١٨-٢٠] أقول الآيات التي تحدثت عن النفخ في الصور جاء العطف بعدها بالواو، وهي لا تفيد الترتيب، بعكس ثُمَّ التي تفيد الترتيب والتراخي.

وظاهر النصوص القرآنية تفيد أن نسف الجبال وغير ذلك مما يصاحب البعث والنفخ في الصور، ومن الجدير بالذكر أن رسول الله ﷺ هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة حديثًا طويلًا وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله عز وجل**» (١) وللعلماء آراء عدة فيمن استثنى الله عز وجل يوم القيامة، فيذهب الإمام الطبري إلى أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ويستدل بحديث عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر :٦٨] فقيل من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال: «**جبريل، وميكائيل، وملك الموت**». وينقل عن قتادة عن الحسن: يُستثنى الله وما يدع أحدًا من أهل السماوات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت. ونفس المعنى يذهب إليه الإمام البغوي في تفسيره إذ ينقل عن الحسن إلا من شاء الله، قال: يبقى الله وحده (٢).

وابن حجر في الفتح ينقل اختلاف العلماء فيمن استثناهم الله عز وجل في نفخة

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١١، ٣١٢ .

(٢) تفسير الطبري المجلد الحادي عشر ص ١٨، ٢٢، وانظر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل جـ ٣ ص ٤٣١ – الطبعة الأولى – دار المعرفة.

الصعق، ويذكر أن الأقوال عشرة في هذه المسألة، فالبعض يقول إنهم الأموات لكونهم لا إحساس لهم فلا يصعقون. والبعض ذهب إلى أنهم الشهداء، وهذا الرأي يؤيده حديثٌ عن أبي هريرة، وذهب آخرون إلى أنهم الأنبياء، وهذا الرأي شبيه بسالفه الذي يستثني الشهداء لأن الأنبياء أحياء عند ربهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا، ثم لا يكون ذلك موتًا في جميع معانيه إلا في ذهاب الإشعار، وذهب بعض العلماء إلى أنهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ثم يموت الثلاثة، ثم يقول الله لملك الموت: مت. فيموت. وقد استدل الذين ذهبوا إلى أن الذين استثناهم الله الملائكة المشار إليهم بحديث عن أنس، أخرجه البيهقي، ويقر ابن حجر أن هذا سنده ضعيف وله طُرقٌ أخرى عن أنس ضعيفة أيضًا، ويزيد بعض العلماء على الملائكة المشار إليهم حملة العرش، وحجتهم ما رواه أبو هريرة في حديث الصور، وحديث الصور يقول عنه صاحب الفتح: إن سنده ضعيف ومضطرب، وذهب بعض العلماء إلى أنه موسى وحده. هذه هي الآراء المعوّل عليها [١] والتي تستحق أن نرجح بعضها عن بعض[٢].

وبعد هذا الاستعراض نميل إلى أن الذين استثناهم الله عز وجل هم الأنبياء والشهداء، وذلك لصحة الحديث الوارد في الشهداء.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله أن يُصعقوا؟ قال: «**هم شهداء الله عز وجل**». قال صاحب الفتح: صححه الحاكم ورواته ثقات، ورجحه الطبري [٣]، وذهب إليه القرطبي في التذكرة وقال بأنهم الشهداء وهو الصحيح [٤]. ولأن الأنبياء أحياء عند ربهم أيضًا فيلحقون بالشهداء[٥].

---

(١) هناك بعض الآراء تذهب إلى أنهم الولدان الذين في الجنة والحور العين، والنار وما فيها من الحيّات والعقارب، ويذهب ابن حزم إلى أنهم الملائكة كلهم لأن الملائكة لا أرواح لها، فلا يموتون أصلًا.

(٢) انظر فتح الباري جـ ١١ ص ٢١١، ٢١٢، والتذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٠٧، ٢١٠ .

(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٢١٢ . (٤) التذكرة جـ ١ ص ٢٠٧ .

(٥) فتح الباري جـ ١١ ص ٢١١، ٢١٢ .

ثانيًا: البعث في التصور النصراني

يطلق البعث عند النصارى على القيامة. ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة القيامة: **«تتضمن القيامة بحسب تعاليم الكتاب المقدس، قيامة الأجساد، وتغير هذه الأجساد، وبقاؤها إلى الأبد»** (١). ويفرق قاموس الكتاب المقدس بين القيامة عند النصارى بالمعنى المتقدم وبين بعض العقائد المشابهة للبعث لدى غيرهم من الأمم كالمصريين واليونانيين، فيذكر قاموس الكتاب المقدس أن قيامة الأجساد عند النصارى تختلف **«عن عقيدة المصريين القدماء التي تقول بأن الـ «باء»** أو الشخصية الهيولية للإنسان الميت كانت تقوم بزيارة جسم المحنَّط من وقت إلى آخر، ويختلف هذا التعليم - قيامة الأجسام عند النصارى - عن الرأي الذي قال به الفيلسوف اليوناني **«أفلاطون»** أن النفس هي الخالدة فحسب» (٢) ويواصل قاموس الكتاب المقدس تفريقه بين القيامة العامة عند النصارى، والتي تتمثل في قيامة الأجساد المشار إليها سابقًا، والتي تشمل جميع البشر، وتكون في آخر الزمان، وبين بعض الأفراد الذين قاموا بعد الموت، وورد ذكرهم في الكتاب المقدس، ويذكر الكتاب المقدس أن قيامة الأجساد **«تختلف أيضًا عن القيامة والعودة إلى الأرض المألوفة كما حدث في قيامة ابن أرملة نابين** (٣) **وكما حدث في قيامة لعاذر»** (٤).

ويواصل قاموس الكتاب المقدس حديثه عن القيامة العامة فيذكر أن السيد المسيح علَّم بوضوح **«أن الموتى سيقومون، ولقد نقض حجة الصدوقيين الذين كانوا ينكرون القيامة من أساسها»** (٥).

ويربط قاموس الكتاب المقدس بين قيامة الأجساد، وبين الحساب والجزاء

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ .

(٢) نفسه.

(٣) لوقا: ٧/ ١١/ ١٧ .

(٤) إنجيل يوحنا ١١: ١/٤٤، وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠ .

للأبرار والأشرار فيقول: «وكثيرا ما نرى تعليم المسيح عن القيامة العامة مرتبطًا بتعليمه عن الدنيوية النهائية [(١)] ولقد علَّم الرسل أيضًا أن القيامة العامة التي فيها يقوم الأبرار والخطاء عند الدينونة الأخيرة» [(٢)].

مقدمات البعث عند النصارى:

من مقدمات البعث عند النصارى البوق وهو عبارة عن «آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا ينفخون فيها في الأعياد، وعند إعطاء علامة الحرب وما أشبه، وكانت أبواق الكهنة من الفضة، وسيعلن البوق مجيء المسيح الثاني [(٣)]، وكذلك يعلن قيامة الأموات»[(٤)].

ورد في رسالة كورنثوس الأولى قول بولس في الربط بين البوق والبعث: «هو ذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا، ولكننا نتغير في لحظة من طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير» [(٥)]. وهذا النص يربط بين البوق والبعث، ويعتبر النصارى أن «عقيدة قيامة الأجساد من أخص العقائد المسيحية، لأنها إذا انتفت ينتفي معها الخلاص المسيحي [(٦)] كما يقول الأنبا يؤانس، ونلاحظ أن النصارى تربط ربطًا بين البعث والخلاص المسيحي، ولسنا في معرض مناقشة هذا الربط فما يهمنا هنا هو تصوير عقيدة النصارى في البعث، ثم المقارنة بينها وبين عقيدة البعث في الإسلام.

يقول ميخائيل مينا: «لم تدع النصوص الإلهية أقل ريب في نفوس المؤمنين من جهة قيامة الأجساد للحساب والدينونة بل تكلمت عنها بإيضاح وافٍ وصراحة مستفيضة[(٧)].

وإنني أتساءل: كيف يتناسب قول ميخائيل مينا في هذا النص مع نصٍّ ورد في الصفحة التالية لنصه السابق، يقرر فيه ميخائيل مينا أن كلام الكتاب عن قيامة

---

(١) إنجيل متى ١١ - ٢٢، ١٢ : ٤٤، ٢٥: ٣١ / ٤٦ .
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٥ .
(٣) متى ٢٤: ٣١ .
(٤) قاموس المقدس ص ١٩٥ .
(٥) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ - ٥٢ .
(٦) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٥ .
(٧) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٣٨ .

الأجساد غير مستوفٍ، يقول: «**إن إقامة الموتى الذين تطورت أجسادهم بهذه الحال - من آدم إلى آخر إنسان يموت - هي بلا شك أسرار يعجز العقل البشري عن فهمها عجزًا كاملًا ليس لسموها في نفسها فقط، بل لأن كلام الكتاب فيها غير مستوفٍ**» [١] في النص الأول يثبت أن قيامة الأجساد تحدثت عنها النصوص الإلهية بإيضاح وافٍ وصراحةٍ مستفيضةٍ، وفي النص الثاني يذكر أن كلام الكتاب عن قيامة الأجساد غير مستوفٍ، فضلًا عن عجز العقل البشري أن يفهمها. فهل النصوص الإلهية الواضحة في النص الأول غير كلام الكتاب غير الوافي في النص الثاني؟ لا أعتقد، إذ إن المصدر واحد، ولا فرق فيما أرى بين النصوص الإلهية وكلام الكتاب، وربما كان النص المعوَّل عليه هو النص الثاني الذي يقول فيه المؤلف بأن كلام الكتاب غير مستوفٍ عن قيامة الأجساد، وهذا الرأي هو ما يذهب إليه النصارى أنفسهم من أن العهد الجديد «**لم يقل إلا قليلا لإشباع رغبة حب الاستطلاع، والوقوف على وصف تفصيلي مسهب للعالم الآخر**» [٢].

وهذا ما يعبر عن الواقع الموجود في العهد الجديد إذ إننا نستطيع أن نؤكد بدون تجاوز للحقيقة أن ما ورد عن البعث والقيامة في الأناجيل المعتمدة [٣]، وأعمال الرسل لدى النصارى لا يعادل ما جاء في سورة الانفطار والتكوير والانشقاق في القرآن الكريم، هذا عن العهد الجديد، أما العهد القديم الذي يقدسه النصارى فإن الأنبا يؤانس يقول إن ما ورد «**في العهد القديم إشارات عابرة عن القيامة من بين الأموات**» [٤].

ويذكر صاحب كتاب تراث العالم القديم في معرض حديثه عن البعث عند

---

(١) نفسه جـ ٢ ص ١٣٩ .
(٢) أديان العالم: حبيب سعد ص ٢٤٨ - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.
(٣) أقول «المعتمدة» لأن ما ورد في إنجيل برنابا قريب جدًا مما ورد في القرآن الكريم من ناحية الحقائق - وشيء في التفصيل يختلف عن الأناجيل الموجودة لدى النصارى الآن - انظر إنجيل برنابا الفصل الثاني والخمسون إلى الثالث والستين ص ٨١، ٩٦ .
(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٣ بتصرف يسير جدًا.

اليهود **«أن النصوص الواردة في العهد القديم التي تشير إليه قليلة ومتأخرة، وعندما تأصل الاعتقاد بين اليهود كان في صورةٍ تتميز بأنها يهودية وفي اتحاد وثيق مع الانتظار القومي**[١] **للملكوت»** [٢].

وسنواصل استعراض النصوص التي تتحدث عن البعث في العهدين القديم والجديد لنصور اعتقاد النصارى في البعث كواقعة من واقعات يوم القيامة.

البعث في العهد القديم:

يذكر الأنبا يؤانس أن **«في العهد القديم نجد إشارات عابرة عن القيامة من بين الأموات كما نجد براهين عملية على هذه الحقيقة»** [٣].

ويستدل الأنبا يؤانس بنصوص من سفرى أشعياء ودانيال، وسوف نتعرض لهذين النصين لنتبين هل هما يشيران إلى البعث الأخروي أم يشيران إلى البعث القومي لليهود واستقرارهم السياسي؟ كما يذهب إلى ذلك بعض النصارى. ورد في سفر أشعياء **«تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب»** [٤].

وبالرجوع إلى السنن القويم في تفسير العهد القديم نجد أن النص لا يشير إلى القيامة في الآخرة، ولكن يشير إلى بعث اليهود بعد السبي. ورد في تفسير النص السابق **«أن أعداد اليهود أخيلة لا تقوم، ولكن الرب قال لشعب اليهود: تحيا أمواتك، كانت اليهود في بابل في مدة السبي في الذل فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات، فقال لهم الرب: إنهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم ثانية»** أي الكلام هنا في موت الأمة السياسي وقيامتهم للحياة الجديدة [٥].

وواضح أن تفسير النص يخرجه عن المراد منه أي البعث الأخروي إلى البعث

---

(١) سنناقش هذا بالتفصيل عند حديثنا عن البعث عند اليهود، ونرجح ما نراه إن شاء الله.

(٢) تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٩ المؤلفة د.ج دي بورج ترجمة زكي موسى مراجعة الدكتور يحيى الخشاب الناشر دار الكرنك ١٩٦٥ .

(٣) السماء للأنباء يؤانس ص ٩٩ . (٤) أشعياء ١٩/٢٦ .

(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٨ ص ١٨٧/١٨٦ .

القومي لليهود، ونفس التفسير لنص أشعياء يذهب إليه «ناشد حنا» في تفسيره لسفر أشعياء [١]. ونص أشعياء - الذي استدل به الأنبا يؤانس على البعث الأخروي، وصاحب السنن القويم، وناشد حنا على البعث القومي - يفسره بعض الباحثين على أنه إشارة إلى مجيء الإسلام [٢]: وإن كنت أوافق الأنبا يؤانس فيما ذهب إليه من دلالة النص على البعث الأخروي، إذ إن نص أشعياء فيه إشارة إلى الحياة بعد الموت، وإقامة الأجساد والحياة بعد الموت، وقيامة الأجساد تتعلق بالبعث الأخروي، وتفسيرها بالبعث القومي السياسي لليهود ربما كان نَوْعًا من التحريف الذي تعرضت له النصوص الأصلية.

والذي دعاني إلى ذكر التفسيرات المختلفة لدى النصارى لنص أشعياء هو بيان عدم الصراحة التامة التي زعمها ميخائيل مينا لإشارات الكتاب المقدس عن البعث كما سبق ورددنا عليه. أما نص دانيال الذي ذهب الأنبا يؤانس إلى أنه إشارة إلى البعث الأخروي: **«وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار إلى الازدراء الأبدي»** [٣] فهذا النص مختلف حول دلالته على البعث الأخروي فمن النصارى من يرى، النص يشير إلى البعث الأخروي، ومنهم من يصرفه عن البعث الأخروي إلى البعث القومي السياسي.

يقول ناشد حنا في تعليقه على نص دانيال: (وقد أُخذت الآية أيضًا على أنها قيامة أموات حرفية، وأنها قيامة عامة لبعض يذهبون إلى الحياة الأبدية والبعض الآخر إلى جهنم، لكن المقصود هنا بالراقدين في تراب الأرض اليهود المشُتَّتون، الآن، سيجمعهم الرب، بعضهم يرجع رجوعًا قوميًا وروحيًا، فهؤلاء إلى الحياة والأبدية أي الملك الألفي» [٤]. وكما نرى فإن ناشد حنا يعرض الاختلاف حول نص دانيال، ويرجح القول الذي يذهب بأن البعث هنا إشارة إلى العودة السياسية لليهود.

---

(١) انظر أشعياء مفصَّلا آية آية تأليف حنا ص ٢٤٤ .

(٢) يقظة أولى الاعتبار صديق حسن خان. تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ص ٢٥ للمحقق.

(٣) دانيال ١٢ - ٦ .

(٤) أشعياء مفصَّلا آية آية جـ ١ ص ٢٤٥ .

وإذا كنا قد رجحنا نص أشعياء في الدلالة على البعث الأخروي لا القومي لليهود مخالفين صاحب السنن القويم، وناشد حنا فيما ذهب إليه، فإننا نرى أن نص دانيال لا يشير إلى البعث الأخروي، ونستأنس بما ذهب إليه النصارى في هذا الصدد، فضلاً عن أن النص بظاهره لا يشير إلى البعث الأخروي، وذلك «**بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا الراقدين جميعًا، بل كثيرون منهم هم الذين يستيقظون، وإذا كانت اليقظة غير عامة شاملة فليست بعثًا لليوم الآخر**» [1] وسوف يكون لنا رأي في نص دانيال نرجئه عند الحديث عن البعث عند اليهود وأكتفي بهذا القدر من استدلال النصارى على البعث في العهد القديم، لأن للبعث عند اليهود مبحثًا خاصًا....

البعث في العهد الجديد:

ورد في إنجيل متى محاورة بين المسيح والصدوقيين [2] الذين ينكرون البعث: «**وأما من جهة قيام الأموات أفما قرأتم من قبل ما قيل لكم من قبل الله القائل: «أنا إله إبراهيم وإله إسحاق، وإله يعقوب. ليس الله إله أموات، بل إله أحياء. فلما سمع الجموع بهتوا من تعاليمه**» [3]. يقول بنيامين بنكرتن مفسر إنجيل متى: «**عاد الرب فأثبت حقيقة القيامة، وأظهر أنها من الإعلانات القديمة، ومن أصول إيمانهم كنسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب بزمان طويل، قال الله لموسى: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب**» [4] ويستدل المفسر بما ورد في متى أنا إله إبراهيم وإله إسحاق ويعقوب بأن ذلك دليل على أنهم أحياء، يقول: «**لو كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب قد كفوا بالموت عن الوجود لما كان من الأمور اللائقة بالله أن يقول لموسى أنا إلههم، لأنه ليس إله غير الموجودين، كان يمكن أن يقول أنا كنت إلههم. فإذن الوقت وانحلال الجسم الثاني لم يقطع العلاقة الكائنة بين الله وبينهم، وهذه العلاقة نفسها توجب إقامتهم، لأن الموت**

(١) الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ ٢ ص ٢٤٣ تأليف أحمد عبد الغفور الطبعة الأولى - مكة المكرمة.

(٢) الصدوقيون فرقة من فرق اليهود تنكر البعث والقيامة، وكانت تجادل السيد المسيح في ذلك.

(٣) إنجيل متى ٢٢-٣١/٣٣.

(٤) تفسير إنجيل متى بنيامين بنكرتن ص ٣٨٠.

مرحلة استثنائية دخيلة على الإنسان، لأن الله خلقه جسدًا ونفسًا وروحًا، ومن ثم فلا بد أن يقيم الجسد حتى يكون مقدسوه أمامه إلى الأبد»[١] ونلاحظ أن مفسر الإنجيل يثبت البعث لدى النصارى، ويدلل عليه بأن الله إله أحياء، فلا بد أن يحيى الأجساد بعد الموت حتى يجازي الصالحين منهم.

ورد عن البعث ومقدماته في إنجيل متى ما نصه: «وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، فحينئذ تفوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوة ومجد كثيرة، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السماوات إلى أقصائها»[٢] وهذا النص الوارد في إنجيل متى يبين البعث ومقدماته، وكيف الشمس تظلم، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، ويأتي المسيح ليجمع المختارين من أقصاء السماوات إلى أقصائها. ونلاحظ في النص أن جميع قبائل الأرض تنوح، وأن المختارين هم الذين يكونون مع المسيح.

وورد في إنجيل مرقس النص التالي: «وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السماوات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيًا في سحاب بقوة كثيرة ومجد فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء»[٣].

ونلاحظ أن ما ورد في إنجيل مرقس يتفق مع ما أورده إنجيل متى في أن ابن الإنسان يرسل ملائكته ليجمعوا مختاريه بعد أن تنوح جميع قبائل الأرض.

وورد في إنجيل يوحنا: «لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات

---

(١) نفسه ص ٣٨٠ / ٣٨١ .
(٢) متى ٣٤ - ٢٩/٣٣ .
(٣) مرقس ١٣: ٢٨/١٤ .

إلى قيامة الدينونة» [١].. ويعلق صاحب كتاب **«إيماننا الحي»** على نص يوحنا بقوله: **«سوف يسمع الأبرار نداء الرب بفرح لا يوصف، أما الأشرار فبعثر بهم الرعب، وتتحد أجساد الموتى عند القيامة بنفوسها، فيظهر الخاطئون في صورة قبيحة ينعكس فيها بأسهم وخبثهم، أما الأبرار فتتجلى أجسادهم بمجد يشبه مجد ابن الله المتجلي»** [٢]. ولسنا في مجال مناقشة النصارى في اعتقادهم بنوة المسيح لله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا [٣].

ونكتفي بهذا القدر من الاستدلال على واقعة البعث من الأناجيل، وننتقل إلى رسائل بولس، لنجد أن فكرة البعث والقيامة احتلت مكانًا بارزًا في رسائله إلى الكنائس المختلفة في ذلك الوقت. ورد في رسالة **«كورنثوس الأولى»**:

«فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير، لأن هذا الفساد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت» [٤]. ونص بولس يربط بين النفخ في الصور وقيامة الأموات وتغير أجسادهم ليتسنى لهم دخول الملكوت. وورد في الرسالة الثانية لكورنثوس قول بولس: **«الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضًا معه»** [٥]. وهنا يربط بولس بين قيامة المسيح وقيامة النصارى في الآخرة. وورد في سفر أعمال الرسل قول بولس: **«إنه سوف تكون القيامة للأبرار والأثمة»** [٦]، ونص بولس يوضح أن القيامة سوف تكون للأبرار والأشرار معًا، ويورد صاحب دينونة البشر العامة نصوصًا من الأناجيل [٧] عن القيامة والبعث، ويحيل إلى غيرها، يقول: **«إن القيامة حقيقة راسخة تؤيدها البراهين الكتابية»** [٨]. ويعتبر الأنبا يؤانس أن **«أروع ما كتب عن حقيقة قيامة**

---

(١) إنجيل يوحنا ٥ - ٢٨ .

(٢) إيماننا الحي ص ٥٢٧ .

(٣) انظر في تفنيد حجج النصارى في ادعاء بنوة المسيح لله، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ ٢ ص ٢٦٦/ ٣٥٠ مكتبة المدني.

(٤) رسالة كورنثوس الأولى ١٥-٥٢/٥٣ .

(٥) رسالة كورنثوس الثانية ١ - ٩ .

(٦) أعمال الرسل ١٥/٢٤ .

(٧) يوحنا ٥: ٢٨، متى ٢٢: ٢٥/٢٦: ٣٤ .

(٨) دينونة البشر العامة ص ٤١ .

الأجساد في العهد الجديد ما دونه معلمنا القديس بولس الرسول في إصحاح بأكمله هو الإصحاح الخامس عشر في رسالته إلى كنيسة كورنثوس» [١].

وورد في الإصحاح المشار إليه قول بولس: **«ولكن إن كان المسيح يكرز إليه أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم أنه ليس قيامة أموات، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، فباطل كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم»** [٢]. والذي يقرأ الإصحاح السابق يجد أن ما ورد فيه من عبارات يختلف في أسلوبه عما ورد في سائر الأناجيل، وعن سائر رسائل «بولس» نفسه، لأنه في هذا الإصحاح كان يستخدم العقل تارة، ويضرب الأمثلة تارة أخرى، وليبرهن على البعث وحقيقته، ولعل السبب في ذلك كما يقول الأنبا يؤانس أن **«معالجة الرسول بولس لهذا الموضوع في رسالة إلى كنيسة في بلاد اليونان مهد الفلسفة، وهي كنيسة كورنثوس كان بلا شك ردًا على تأثيرات كل من الفلسفة الرواقية والأبيقورية»** [٣]، التي أنكرت قيامة الأجساد التي انتشرت في تلك البلاد [٤].

وبعد هذا العرض للنصوص التي تثبت البعث من الأناجيل، وأعمال الرسل نستطيع أن نقرر أوجه الاتفاق، وأوجه الاختلاف بين التصور الإسلامي للبعث والتصور النصراني.

أولًا: أوجه الاتفاق:

١- نستطيع أن نؤكد بعد عرضنا للبعث في التصور الإسلامي، والتصور

---

(١) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٣ .

(٢) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ - ١٣/١٥ .

(٣) نلاحظ أن الأنبا يؤانس يؤكد على رد بولس على الفلسفات المنتشرة في ذلك الوقت في بلاد اليونان، ويذهب كثير من الباحثين في تاريخ الأديان وعلى رأسهم شارل جنيبير إلى أن بولس تأثر بهذه الفلسفات، وأن المسيحية لم تعرف كثيرًا من الأشياء إلا عن طريق تأثر بولس بهذه الفلسفات انظر في ذلك المسيحية نشأتها وتطورها تأليف شارل جنيبير ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٨٨/ ١٠٨.

(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٣/١٠٤ .

النصراني بأن ما جاء في الأناجيل يتصل في أصل الفكرة مع ما جاء في الإسلام[١] مع اعتبار التفصيلات في التصور الإسلامي عن التصور النصراني.

٢- أن مقدمات البعث من زلزلة الأرض، وتساقط النجوم مما يشترك فيه التصور النصراني مع التصور الإسلامي، ويتضح ذلك التوافق في البوق الذي يُنفخ فيه لجمع الناس في التصور النصراني، الذي يقابله الصور في التصور الإسلامي، وحين نقرر أوجه الاتفاق بين التصور الإسلامي والتصور النصراني للبعث نقرر أيضًا أن مصدر هذا التوافق هو أن للنصرانية أصلًا سماويًا انحرفت عنه بعد رفع الله للمسيح عليه السلام.

ثانيًا: أوجه الاختلاف:

١- نلاحظ أن الأناجيل لم تتحدث عن البعث كواقعة بنصوص كافية، وهذا هو الملاحظ في الأناجيل وأعمال الرسل، وما يقرره أيضًا علماء النصارى الذين عرضنا آراءهم عند حديثنا عن البعث في التصور النصراني.

٢ - لم تقدم الأناجيل أي صورة عن خروج الناس من القبور للقيامة، بعكس القرآن الكريم الذي صور في كثير من آياته أحوال الناس وصورتهم أثناء بعثهم، وهناك جزئيات لم تتحدث عنها الأناجيل، وتعرض لها القرآن الكريم والسنة النبوية. ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الاختلاف بين النصرانية والإسلام في اليوم الآخر دقيق وكثير، ويبرهن على أن اليوم الآخر في الإسلام يأتي من مصدره الأصيل، ألا وهو الوحي، وأنه ليس تابعًا لمصدر آخر وليس منقولًا عن الأناجيل للاختلاف البيّن في صورته، ولأن نبي الإسلام لم يطلع على الأناجيل، فهي لم تكن مترجمة إلى العربية كما هو ثابت، ونبي الإسلام لم يكن يعرف العبرية أو

(١) انظر الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ص ٢٠٦ وانظر صور استشراقية للدكتور عبد الجليل شلبي ص ٧٠/٧١/٧٢ في هذا الكتاب يُفنِّد مزاعم أحد المستشرقين من اليهود الألمان، الذين يزعمون أن الرسول تأثر في فكرة البعث والجزاء باليهودية والمسيحية - نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨ .

السريانية أو اليونانية حتى يزعم زاعم أنه اطلع عليها في إحدى هذه اللغات، وهذا الاختلاف بين البعث في الإسلام والبعث في النصرانية يبطل زعم المستشرقين الذين يزعمون أن فكرة البعث والجزاء أخذها الرسول ﷺ عن المسيحية أو اليهودية.

ثالثًا: البعث في التصور اليهودي

من الحقائق المعروفة لدى المسلمين أن الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام التوراة فيها هدى ونور يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة :٤٤] ومعلوم أن هذه التوراة قد اشتملت على التعاليم التي أرادها الله من بني إسرائيل سواء كانت متعلقة بالعقيدة أو بالشريعة.

لقد اشتملت التوراة على العقائد والشرائع [١] ومن ضمن أمور العقيدة التي وردت في التوراة «**اليوم الآخر**» وتفصيلاته المختلفة، يقول الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف :١٤٥].

وسواء أكانت التوراة هي الألواح أم كانت الألواح مغايرة للتوراة [٢]، فموسى عليه السلام أوحى الله تعالى له تفصيلًا لكل الأشياء، سواء في التوراة أم في الألواح. ومن ضمن الأشياء التي فصلها الله تعالى لموسى عليه السلام اليوم الآخر بتفصيلاته المختلفة من البعث والجزاء والحساب والجنة والنار وغيرها، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام :١٥٤].

ولكن بالتأمل في أسفار موسى الخمسة الحالية، والتي يطلق عليها اليهود اسم

---

(١) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٩٦ .

(٢) يذهب جمهور العلماء إلى أن التوراة هي الألواح ومن جمهور العلماء: الجلالان السيوطي والمحلي، وابن كثير انظر الآراء في ذلك في كتاب مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٩٩ - ١٠٠ .

التوراة وجدنا أنها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنة والنار. يقول الدكتور «دراز»: لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهده أية إشارة في أي مكان إلى حياةٍ بعد الموت، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان في أديانهم» [١].

ووجدنا «ابن كمونة» اليهودي في كتابه «**تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث**» يعترف بخلو التوراة من البعث، والثواب والعقاب الأخرويين، ويدافع عن خلو التوراة من البعث ويعلل ذلك بتعليلات سنتعرض لها عند الحديث عن ذلك.

وإذا تركنا أسفار موسى الخمسة، وتأملنا أسفار الأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى على حد قولهم، وجدنا أن هناك بعض الإشارات عن البعث والجزاء، وبدراسة هذه النصوص وجدنا أنها مختلف حولها، فالبعض [٢] يذهب إلى أن المقصود بها العودة القومية لليهود، وانتصارهم على أعدائهم، والبعض الآخر[٣] يذهب إلى أن تلك النصوص مقصود بها البعث الأخروي، ولكن اليهود تأثروا في عصورهم المتأخرة بالبعث من الديانة الفارسية والبابلية بعد عودتهم من السبي، وتوجد بعض النصوص من التي عثرت عليها من التلمود [٤] والمشناة تشير إلى البعث، والحساب، والجزاء في الآخرة.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن ص ٢٨ الدكتور محمد عبد الله دراز ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين – مؤسسة الرسالة – دار البحوث العلمية – بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م.

(٢) منهم على سبيل المثال صاحب كتاب – تراث العالم القديم و . ح دي بورج ص ٩٩، ومنهم ناشد حنا في تفسيره لسفر أشعياء. ومنهم صاحب الغصن القويم في تفسير العهد القديم. ومنهم صاحب كتاب الديانات والعقائد في مختلف العصور، ومنهم مؤلف الكتاب المقدس وإن كان الذين ذكرنا أسماءهم أو أسماء كتبهم من غير اليهود إلا أننا نستأنس بآرائهم، ولا يلزمنا أن نأخذ باتجاهاتهم في التفسير لنصوص البعث في أسفار الأنبياء.

(٣) من هؤلاء على سبيل المثال صاحب كتاب علم اللاهوت الكتابي، صاحب كتاب الفكر الإسلامي أطواره ومذاهبه، اليهود تاريخًا وعقيدة، ومفصل العرب، واليهود في التاريخ، قصة الحضارة لديورانت.

(٤) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٤٩ .

وبعض المصادر التي عثرت عليها العلماء من اليهود تتحدث عن اليوم الآخر، وأن اليهود يعتقدون في البعث والجزاء وأن عقيدة البعث عقيدة أساسية عند أمة اليهود، وأمام إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية - وأعني بها أسفار موسى الخمسة - عن البعث ووجود بعض الإشارات عن الآخرة في أسفار الأنبياء المتأخرين، وبعض نصوص التلمود وأقوال اليهود واعتقادهم في البعث بعد الموت؛ رأيت أن أدرس البعث عند اليهود في اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول:

التوراة الحالية وخلوها من الحديث عن البعث والجزاء، وأعني بالتوراة هنا أسفار موسى الخمسة الحالية - كما يسميها اليهود - فهم يطلقون التوراة على أسفار موسى الخمسة فقط، معلقًا على خلو التوراة الحالية من الحديث عن اليوم الآخر وما السبب في ذلك؟

الاتجاه الثاني:

عرض الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء المتأخرين ودراسة ما قيل حولها.

الاتجاه الثالث:

عرض عبارات التلمود وشراح العقائد اليهودية، وبيان توافقهم واختلافهم عن التوراة وأسفار الأنبياء، وأسجل العذر في البداية من قلة المصادر اليهودية التي عثرت عليها، ورجعت إليها، وذلك لأن اليهود لا يحبون نشر دينهم خارج بني جنسهم، لاعتقادهم هم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار.

ثم التعقيب على هذه الاتجاهات، والحكم عليها من خلال الاحتكام إلى القرآن الكريم باعتباره المهيمن على ما سبقه من الكتب، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة :٤٨].

الاتجاه الأول: خلو التوراة من البعث والجزاء:

يقصد بالتوراة هنا ما يقصده اليهود **«فقد اصطلح الإسرائيليون على تسمية أسفار موسى الخمسة باسم التوراة المكتوبة، وتسمية التلمود باسم التوراة الشفاهية أو المنقولة»**[(١)].

وخلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء كان مثارًا للطعن فيها، والجدل حولها، ورد في كتاب تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة تحت عنوان الاعتراض الخامس ما نصه:

«إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحًا بالثواب والعقاب الأخرويين، وذلك من أهم ما يذكر، وهو الأصل الأعظم في التشريع. فلو كانت التوراة التي بأيدي اليهود منزلة من الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك، والعدول عنه إلى الدنيويين الذين قد أكثر من ذكرهم في التوراة، فإن الدنيا زائلة ولا اعتداد بنعيمها ولا شقائها» [(٢)].

هذا جزء من الاعتراض الذي وُجه للتوراة أثناء مجادلة ابن كمونة اليهودي، ويرد ابن كمونة على هذا الاعتراض قائلًا: **«إن خلو التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى»** يقصد البعث والجزاء، **«وخاطب به بني إسرائيل واستفاض فيهم، فإن قيل: فلم لم يكتبه في التوراة مصرحًا؟ قيل: إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها، ولا السؤال عنها، بل ربما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها»** [(٣)].

ثم يشرح خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء بقوله: **«إن الأنبياء أطباء النفوس بإرشاد الله تعالى إياهم، وكما أن طبيب الأبدان إنما يعالج على حسب ما يجده في زمانه، وأهل زمان موسى لم يكونوا منكرين لثواب الآخرة وعقابها، بل كان مرضهم عبادة الأصنام والكواكب وغيرها، وبالجملة عبادة غير الله تعالى، واعتقادهم أن بعبادتهم**

---

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٢، ٣.
(٢) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص ٤٠ لصديق منصور بن كمونة اليهودي. الناشر دار الأنصار.
(٣) نفسه ص ٤٠ .

وتقريب القرابين لها تعمر الأرض، وتخصب البلاد، وتصح ثمار الأشجار، كان علماؤهم ونُسَّاكهم وأهل التقوى منهم يعظون الناس، ويعلمونهم أن الفلاحة التي بها قوام وجود الإنسان إنما تتم وتجيء على الاختيار، بأن تعبدوا الشمس والكواكب، وإن سخَطُموها بعصيانكم أقفرت البلاد وخربت، وقالوا في كتبهم التي ذكرناها: إن المشتري سخط على البراري والصحارى؛ ولذلك صارت عادمة الماء وعادمة الأشجار يأويها الغيلان، وكانوا يعظمون الفلاحين والأكارين جدًا لاشتغالهم بعمارة الأرض التي هي من إرادة الكواكب»[١].

ويحكي ابن كمونة عن الصابئة أنهم كانوا يذكرون في كتبهم أن «الحكماء القدماء كلهم، والأنبياء قد فرضوا أن يضرب بالآلات في الأعياد، وبين أيدي الأصنام، وأن الآلهة يعجبها ذلك، وأنها تكافئ فاعليه أحسن مكافأة، وأكثروا في هذا الفصل من الوعد والوعيد على ذلك من تطويل الأعمار، ودفع الآفات، وصرف العاهات، وخصب المزارع، وزكاة الثمار، فلما شهرت هذه الآيات حتى ظنت يقينًا، وأراد الله «تع»[٢] رحمة منه محو هذا الغلط من الأذهان، ورفع هذا التعب عن الأجساد، بتعطيل تلك الأعمال الشاقة الغير مفيدة، أخبر على لسان رسوله موسى «عم»[٣] أنه إن عبدت هذه الكواكب والأصنام انقطع المطر، وخربت الأرض فلم تنبت شيئًا، وسقطت ثمار الأشجار وحلت الآفات والعاهات بالأجسام، وقصرت الأعمار؛ وبالإقبال على عبادة الله «تع» تنزل الأمطار، وتخصب الأرض، وتصلح الأحوال، ويصح الجسم وتطول الأعمار، وكرر هذا الوعد والوعيد في عدة مواضع من التوراة؛ ليزول ذلك الرأي وينمحي أثره من النفوس»[٤].

ويبين «ابن كمونة» أن سبب خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء هو معرفة

---

(١) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة ص ٤٠ .

(٢) لعلها «تعالى» وقد نقلت النص بحرفيته.

(٣) لعلها عليه السلام.

(٤) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص ٤١ .

بني إسرائيل بهذه العقيدة؛ ولذلك لا تحتاج إلى تكرار. يقول: «**ولو كان مرضهم إنكار البقاء الأبدي للنفوس بعد الموت والثواب والعقاب فيه لكان قد كرر ذكره في التوراة للتأكيد والتقرير، ولمّا لم يكن الأمر كذلك اقتنع باستفاضته بين الأمة والتعريض به، ولهذا كانت اليهود معتقدة ومقرة بالبعث والنشور للأموات، وبقاء النفس بعد موت الأجسام، وتناقلوا ذلك سلفًا عن خلف [١] وترحموا على موتاهم وأذعنوا بالتوبة عند ظنهم حلول الأجل**» [٢].

ويذكر ابن كمونة تأكيدًا لعقيدة البعث عند اليهود أنهم «**قد أوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الموتى في الصلاة وغير الصلاة وعند اجتيازهم بمقابر أمتهم**» [٣].

والنص الذي نقلناه عن ابن كمونة يبرز أمرين:

الأمر الأول:

أن التوراة خالية من البعث والثواب والعقاب، وذلك راجع إلى أن بني إسرائيل كانوا على علم بالبعث والجزاء قبل موسى عليه السلام، فلم يحتاجوا إلى تكرار الحديث عنه، وإنما جاء موسى ليذكرهم بعبادة الله وحده، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

الأمر الثاني:

أن التوراة وإن خلت من الحديث عن البعث والجزاء فإن ذلك لا يعني أن اليهود ينكرون البعث، فهم يعتقدون ويقرون بالبعث والنشور للأموات، وبقاء النفس بعد موت الأجساد وتناقلوا ذلك خلفًا عن سلف، كما يقول ابن كمونة، وإن خلو التوراة «**أي أسفار موسى الخمسة**» من الحديث عن البعث والجزاء جعل كثيرًا من الباحثين [٤] يذهبون إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث والعقاب في الآخرة، وهذا يغاير الواقع

(١) لعلها خلفًا عن سلف حتى يستقيم المعنى.

(٢) نفسه ص ٤٢ .

(٣) تنقيح الأبحاث ص ٤٢ .

(٤) انظر على سبيل المثال قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ وانظر الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ١١١، ١١٢ - وانظر أديان العالم: حبيب سعيد ص ١٩٤ - ١٩٥، الفصل في الملل والنحل لابن حزم جـ ٢ ص ٨٦، وفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٥٤٥ - وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ١٨٨- ١١٩، وقصة الأديان للدكتور رفقي زاهر ص ٣٠٩، ٣١٠ - واليهود تاريخًا وعقيدة ص ١٦١ - اليهودية للدكتور أحمد شلبي ص ١٩٥ .

الذي يصرح به اليهود، ويكون كلام الباحثين موافقًا للحقيقة وإذا قصدوا أن توراة موسى الحالية خالية عن البعث والجزاء؛ لأن اليهود يقرون بذلك ويقدمون أسبابًا لخلو التوراة من الحديث عن الآخرة، كما ورد في نص ابن كمونة وهم يعترفون **«بأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين»**(١).

ولأن التوراة ليست هي المصدر الوحيد الذي يستقي اليهود عقائدهم منها، وقبل أن نبين السبب الحقيقي في خلو التوراة الحالية عن البعث والجزاء، ونرد على ابن كمونة في زعمه بأن سبب خلو التوراة من البعث، هو الإيمان السابق به، فلا حاجة للتكرار؛ بأن نقول: إن المسائل الغيبية - بخاصة فيما يتعلق بالبعث والجزاء والجنة والنار - لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال الوحي المنزل، والمتمثل في النصوص المكتوبة التي يرجع إليها، خاصة وأن الناس دائمًا عرضة للسهو والنسيان، فلا تترك أمور كعقائد الآخرة لتعليمها للناس، ثم إن التكرار في المسائل السمعية مهم جدًّا وضروري لاستمرار الإيمان، خاصة في تلك العقائد التي تتحدث عن أمور لا يشاهدها الناس ولا يخبرون عنها ممن سبقوهم، وتكرار أمر من الأمور يدل على أهميته، وعدم استغناء البشر عنه، خاصة في أمور عقيدة الآخرة التي توجه حياة الناس، ولما كانت الآخرة بهذه المنزلة فإنه من غير المعقول ألا تشتمل التوراة عليها، والحديث عنها، ويتبين لنا أن خلو التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران :٩٣].

والدليل على التحريف الذي لحق بالتوراة من بعد موسى - أن هناك توراة عبرية وتوراة سامرية وبينهما اختلافات جوهرية، تتعلق بالأصل الذي نبحثه، وهو البعث والجزاء. يقول الدكتور السقا: **«إن موسى عليه السلام سلّم التوراة التي أنزلها الله عليه إلى بني إسرائيل، وكان موسى نحو ١٥٧١ ق. م وفي مدينة بابل بالعراق - من بعد سنة ٥٨٦ هـ**

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩، ٩١ ترجمة عن العبرانية وشرحه د/ شمعون يوسف مويال - مطبعة العرب ١٩٠٩ - دار الكتب المصرية تحت رقم (١) - لاهوت.

- غير علماء بني إسرائيل نصوصًا من التوراة التي أنزلها الله على موسى . ومن هذه النصوص التي غيروها ، النص على يوم القيامة ، ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بالتوراة الجديدة التي كتبها لهم «عزير» في بابل اختلفوا على عاصمة الدولة أورشليم أم شكيم؟ واختلفوا على الجبل المقدس صهيون أم جرزيم؟ ولما لم يتفقوا انقسموا إلى فريقين:

السامريين في شكيم، ويقدسون جرزيم، ويتجهون إليه في الصلاة.

والعبرانيين في أورشليم، ويقدسون صهيون، ويتجهون إليه في الصلاة (١)، وابن حزم في الفصل يذكر أن «بأيدي السامرية توراة غير التي بأيدي سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون: إن التي بأيدي السامرية محرفة مبدلة» (٢)، ولا يعلق ابن حزم على التوراة السامرية وما فيها لعدم اطلاعه عليها يقول: «ولم يقع إلينا توراة السامرية؛ لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلًا» (٣) ولكن إن كانت التوراة السامرية لم تصل إلى ابن حزم فقد اكْتُشِفَتْ هذه التوراة أخيرًا، وترجمت إلى اللغة العربية، ومن الاختلافات التي بينها وبين التوراة العبرية النص على يوم القيامة.

يقول الدكتور السقا «قد وجدنا التوراة التي بأيدي السامريين تختلف في بعض الآيات عن التوراة التي بأيدي العبرانيين، ومن الآيات المختلف فيها النص على يوم القيامة، فهو في التوراة السامرية صريح للغاية، وهو في التوراة العبرانية يحتمل معنيين إما الجزاء في الدنيا، وإما الجزاء في الآخرة» (٤)، والنص المختلف حوله في التوراة العبرانية هو «أليس مكنوزًا عندي مختومًا عليه في خزائني، لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم» (٥).

---

(١) مقدمة يقظة أولي الاعتبار بما ورد في ذكر النار وأصحاب النار للشيخ صديق حسن خان ص ٦ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - الناشر دار التراث الإسلامي بالأزهر.

(٢) الفصل لابن حزم جـ ١ ص ٩٤ .

(٣) نفسه.

(٤) مقدمة يقظة أولى الاعتبار ص ٧ .

(٥) سفر التثنية ٣٢ - ٣٤ - ٣٥ .

وقد رجعت إلى تفسير النص في السنن القويم في تفسير العهد القديم، فوجدت **«النقمة والجزاء»** أي أنا المنتقم والمجازي لا سواي، وقد اقتبس الرسول [١] هذه العبارة في المعنى مع تغيير زهيد في اللفظ بقوله في رسالة العبرانيين **«فإننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازي»**.

يقول الرب ويقوله في رسالة الرومانيين لأنه مكتوب: لي النقمة وأنا أجازي بقول الرب في وقت تزل أقدامهم. وزلة القدم هنا استعارة للخطأ [٢].

ونلاحظ هنا أن النص فسر في التوراة العبرانية على أن المقصود من الانتقام والجزاء في وقت زلة أقدامهم الجزاء في الدنيا لا الآخرة، وإن كنا نقرر أن تفسير صاحب السنن القويم ليس حجة على اليهود؛ إلا أننا نذكر رأيه استئناسًا ليتبين لنا أن النص في التوراة العبرانية ليس صريحًا على يوم القيامة.

أما النص في التوراة السامرية التي يقول اليهود السامريون إنه صريح في الإشارة إلى يوم القيامة فهو **«أليس هو مجموعًا عندي مختومًا في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة، وقت تزل أقدامهم، إذ قريب يوم تعنتهم وتسرع المستعدات إليهم، إذ يدين الله قومه، وعن عبيده يفصح، إذ يرى إن زلت اليد، وانقرض المحاصر والمطلق، ويقول أين آلهتهم القوية التي استظلوا بها، التي شحوم ذبائحهم يأكلون ويشربون خمر سكبهم تقوم وتعينكم وتكون عليكم سترة، انظروا الآن إنني أنا هو وليس آلهة معي أنا أميت وأحيي، أمرضت وأنا أشفي وليس من يدي مخلص»** [٣].

هذا هو نص التوراة السامرية الذي يقول عنه السامريون: إنه يدل على يوم القيامة.

---

(١) يقصد «بولس» لأن المفسر نصراني، وهو يربط بين ما ورد في العهد الجديد والعهد القديم، لأنه يعتبر هو والنصارى أن المصدر واحد.

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٢ ص ٥٠ الناشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ١٩٧٣.

(٣) التوراة السامرية – سفر تثنية الاشتراع ٣٤ – ٣٨.

ويعلق اليهود السامريون على النص السابق بقولهم: «**إن قوله يوم «الانتقام والمكافأة»** يدل بصراحة ووضوح على قيام الناس من القبور للقاء الله، **فيجزيهم** على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا» (١).

وهذا النص بالرغم من ادعاء السامريين من صراحته على يوم القيامة، إلا أننا نجده لا يتناسب مع طول أسفار موسى الخمسة، واشتمالها على تفصيلات كثيرة أقل شأنًا بكثير من يوم القيامة، وهذا يدل على أن تلك التوراة - أعني السامرية - محرفة هي الأخرى، أين ذلك النص المختلف حوله على فرض أنه يشير إلى الآخرة في التوراة العبرية مع النص الذي يقول عنه السامريون إنه يدل صراحة على يوم القيامة على فرض صحة ادعائهم، أقول أين هذان النصان من حديث القرآن الكريم عن اليوم الآخر وتفصيلاته التي استوعبت معظم سور القرآن الكريم إلى حد أننا قلما نجد سورة في القرآن الكريم إلا تتحدث عن البعث والجزاء، والجنة وأوصافها، والنار وعذابها.

ونحن نعتقد أن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام كان فيها تفصيل لكل شيء، ومن الأشياء التي أوحى الله بها إلى موسى «**اليوم الآخر**» وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار، باعتبار أن اليوم الآخر أحد الأصول العقائدية في جميع رسالات الأنبياء قبل موسى عليه السلام وبعده، ونجزم أيضًا أن دعوة موسى عليه السلام كان فيها الإنذار بالعذاب في اليوم الآخر، يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه :٤٨]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه :١٤-١٥]، ويقول تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف :١٤٥].

---

(١) التوراة السامرية ص ٣٩٢، ٣٩٣ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا.

والذين آمنوا بموسى عليه السلام كان عندهم علم بأمور الآخرة، وما ينتظر الصالحين من ثواب، وما يعاقب به الطالحون من عذاب، يقول الله تعالى عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه :٧٢-٧٦]. والآيات التي تتحدث عن الحوار الذي دار بين الذين آمنوا بموسى وبين فرعون، إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإيمان بالآخرة قد تغلغل في نفوسهم لدرجة أنهم لا يخشون عذاب فرعون وجنوده، وعقيدة الآخرة تلك التي أفصحوا عنها لا بد وأنهم سمعوها من موسى قبل أن يؤمنوا، ورسخت في نفوسهم، بعد أن خالط الإيمان شغاف قلوبهم.

والذي ننتهي إليه بعد عرضنا للاتجاه الأول، وهو خلو أسفار موسى الخمسة من الحديث عن البعث والجزاء هو:

أولاً: أن خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر يدل على التدخل البشري على الوحي الأصلي المنزل على موسى عليه السلام، ولا ينفي التحريف البشري على نصوص التوراة قول ابن كمونة: إن اليهود يؤمنون بالبعث والجزاء فلا حاجة لتكراره، لأن الأمور العقائدية وخاصة ما يتعلق منها بالغيبيات لا بد من ذكرها والنص عليها في التوراة، ولأهميتها، فلا بد من تكرارها إذ إن التكرار إنما يكون للاهتمام بها والتأكيد عليها.

ثانيًا: خلط بعض الباحثين بين خلو التوراة من الحديث عن الآخرة، وعقيدة اليهود في البعث والجزاء. إذ إن خلو التوراة الحالية عن البعث لا يعني أن اليهود لا يعترفون بالآخرة وثوابها وعقابها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى لأن التوراة ليست هي المصدر الوحيد الذي تؤخذ عقائد اليهود

منه، إذ هناك التعاليم الشفوية، كالتلمود وأسفار الأنبياء المتأخرين والتي يرجع إليهما اليهود في عقائدهم وشرائعهم.

الاتجاه الثاني: الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث:

إذا تركنا أسفار موسى الخمسة، وتأملنا أسفار الأنبياء بعد موسى نجد أن هناك إشارات عن البعث، وبعض الباحثين يذهب إلى أن هذه الإشارات مقصود بها البعث القومي لليهود، وعودة دولتهم، وانتصارهم على أعدائهم، وسوف نناقش الباحثين فيما ذهبوا إليه.

والبعض الآخر من الباحثين يرون أن الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء مقصود بها البعث الأخروي، ولكنهم يرجعون ذلك إلى تأثر اليهود بعقيدة اليوم الآخر من الديانة الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلي، وسوف نناقش هذا الرأي أيضًا.

ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان «القيامة في العهد الجديد»: **«يظهر من الإيمان بالإثابة والجزاء الوارد في أيوب [١] بأن القيامة مفهومة ضمنًا، وكذلك تذكر القيامة ضمنًا في المواضع التي يعبر فيها عن رجاء الحياة الآتية مع الله وفي حضرته في المزامير [٢]، ويحدثنا أشعياء [٣] عن قيامة المؤمنين، وكذلك يعلم دانيال [٤] عن قيامة البعض للحياة الأبدية، وقيامة آخرين للعار للازدراء الأبدي، ويصف حزقيال [٥] نوعًا من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله»** [٦]. وسوف نعرض النصوص التي أشار إليها الكتاب المقدس لنرى هل تشير إلى البعث الأخروي أم تشير إلى البعث القومي لليهود كما يذهب البعض؟

(١) أيوب: ١٩ : ٢٥ - ٢٧ .
(٢) ١٦: ٩-١١، ١٧: ١٥، ٤٩: ١٥، ٧٣: ٢٤ .
(٣) أشعياء ٢٦: ١٩ .
(٤) ١٢: ٢ .
(٥) حزقيال.
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ - ٧٤٩ .

نص أيوب: «أما أنا فقد علمت أن ولي حي، والآخر على الأرض يقوم، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسي وعيناي تنظران، وليس آخر، إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي» (١) ويشرح صاحب السنن القويم في تفسير العهد القديم نص أيوب هكذا: «فقد علمت امتحنه الله بمصائب عظيمة، حتى ظهر له أن الله قد تركه وأصحابه كانوا له معزين متعبين، وليس له رجاء بالحياة، ولا بذكر طيب بعد الموت، وليس أمامه إلا الظلام، ومع ذلك ظل إيمانه ثابتًا بأن الله يحبه ولا يترك من خلقه واعتنى به، والشركة التي كانت له مع الله عربون شركته أفضل تدوم إلى الأبد، فقال بشدة «قد علمت»، ولم يعلم إلا بالإيمان «ولي»: هو النسيب الأقرب، الذي له حق أن يأخذ بالثأر، وله حق أن يفك الميراث (٢)، والله ولي شعبه (٣)، وهو ولي المؤمنين أفرادًا، أي يعينهم وينتقم لهم كنائب عنهم، ولا يشير الاسم «ولي» إلى من يخلص من الخطية كالاسم «فادي» في العهد الجديد، وقال إن وليه حي سيبرره بعد موته، وخصص هذا الولي لنفسه (ولي، والآخر لم يقم له ولي، وهو حي ولكنه رجا كل الرجاء بولي يقوم له في الآخر، أي بعد موته الأول اشتاق إلى مصالح بينه وبين الله، بدون جسدي أي بعد موته فيكون جسده قد تلاشى، أرى الله، وذلك بعد موته وبدون جسده (٤).

ولا شك في أن معرفة أيوب بقيامة الجسد ورؤية الله في السماء كمعرفة غيره من قديسي العهد القديم» (٥) وهذا النص يشير إلى البعث الأخروي، وليس المجال هنا مناقشة هل النص يشير إلى البعث الجسدي أم البعث بالروح ؟ (٦). الذي يثبته النص أن أيوب كان عنده إيمان أنه سيبعث ويرى الله، وهذا ما يرجوه وينتظره.

---

(١) أيوب ١٩ - ٢٥ - ٢٦ . (٢) راعوث ٤: ١ .
(٣) أشعياء ٥٤ : ٥.
(٤) المزامير ١٩٠: ١٤ .
(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢١١ .
(٦) التوراة السامرية ص ١٤، ١٥ تحقيق الدكتور السقا.

أما النصوص في المزامير، والتي أشار إليها قاموس الكتاب المقدس على أنها تشير إلى البعث والقيامة فهي: **«لأنك لم تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيك يرى فسادًا، فعرفني سبيل الحياة، أمامك شبع وسرور في يمينك نعم إلى الأبد»** (١).

«أما أنا فالبر أنظر وجهك أشبع إذا استيقظت بشبهك» (٢).

«إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني» (٣).

«برأيك تهديني وبُعد إلى مجد تأخذني. من لي في السماء ومعاه لا أريد شيئًا في الأرض» (٤).

فهذه إشارات ضمنية إلى البعث والقيامة والنعيم عند الله.

وننتقل بعد ذلك إلى نص أشعياء. **«تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا بإسكان التراب، لأن طلك طل أعشاب، والأرض تسقط الأخيلة»** (٥).

ويفسر نص أشعياء على أنه إشارة إلى البعث القومي، وعودة اليهود لأرضهم. يقول صاحب السنن القويم: **«الرب قال لشعب اليهود (تحيا أمواتك) كانت اليهود في بابل مدة السبي في الذل، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات، فقال لهم الرب: إنهم سيرجعون إلى بلادهم، فتقوم أمة اليهود ثانية، أي الكلام هنا في موت الأمة السياسي وقيامتهم للحياة كأمة جديدة. وإسكان الأرض»** إن الرب دعا هنا المذلين والحزانى إلى الفرح والتسابيح لأنه سيخلصهم **«طل أعشاب»** شبه اليهود بعشب قد يبس من عدم الرطوبة، ثم نزل عليه المطر أي نعمة الله فانتعش (تسقط الأخيلة) معنى هذه الجملة كمعنى الجملة في أول الآية (تحيا أمواتك) أي هي إشارة إلى قيامة أمة اليهود السياسية» (٦).

ونفس التفسير يذهب إليه ناشد حنا في تفسيره، يقول: **«الحياة من الموت هنا**

(١) مزامير ١٦: ١٠ - ١١ .
(٢) مزامير ١٧: ١٥.
(٣) مزامير ٤٩: ١٥ .
(٤) مزامير ٧٣: ٢٤ - ٢٥ .
(٥) أشعياء ٢٦: ١٩ .
(٦) السنن القويم في تفسير العهد القديم ص ١٨٦، ١٨٧ .

كناية عن نهضة قومية ورجوع روحي معًا، يغفر خطاياهم. قال البعض إن هذه قيامة جسدية حرفية قيامة أموات، لكن قيامة الأموات نوعان:

النوع الأول: الذين فعلوا الصالحات يخرجون إلى قيامة الحياة.

النوع الثاني: الذين فعلوا السيئات يقومون إلى قيامة الدينونة. يقول **«استيقظوا»** أي كانوا نائمين كعظام في التراب، لكنها ستقوم، **«والأرض تسقط الأخيلة، أي تلفظ الأموات»** [١].

والنص على ظاهره يتحدث عن البعث **«تحيا أمواتك»** ولا أدري لماذا حرفه صاحب السنن القويم، وناشد حنا في تفسيره عن بعث الأموات، إلى بعث اليهود القومي؟ وعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية لليهود، فإن اليهود يعتقدون أنهم سيبعثون قبل يوم القيامة، وتقوم دولتهم، وينتصرون على أعدائهم، وبعد ذلك الانتصار والعودة القومية يبعثون للآخرة، باعتبارهم أبناء الله وأحباؤه، ويعتبرون أن العودة القومية التي تسبق الحياة الأخرى، من المميزات لهم عن بقية الأمم. يقول **«سعديا الفيومي»: «ألسنا نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله محيي جميع الموتى في دار الآخرة للمجازاة؟ فأي شيء لمنكر أن يكون فضّل هذه الأمة مدة زيادة يحيي فيها موتانا قبل دار الآخرة، حتى يصل حياتهم تلك بحياةِ الآخرة؟ وأي شيء السبب المانع من ذلك والدافع له؟ أو ليس هو عدلا يعوض كل ممتحن حسب محنته؟ وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة»** [٢] فعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية فتلك العودة يتبعها مباشرةً البعث الأخروي.. وأرى أن النص بظاهره يشير إلى البعث الأُخروي، أما إشارته إلى العودة القومية، فبتأويل كما رأينا في تفسير السنن القويم، وناشد حنا.

ونص دانيال الذي أورده قاموس الكتاب المقدس هو: **«وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي»** [٣].

---

(١) أشعياء مفصلا آية آية ص ٢٤٤، ٢٤٥ جـ ١ ناشد حنا.

(٢) الأمانات والاعتقادات سعديا الفيومي ص ٢٢٩ .

(٣) دانيال ١٢ - ٢ .

يقول ناشد حنا: «وقد أخذت الآية أيضًا على أنها قيامة أموات حرفية وأنها قيامة عامة، البعض يذهبون إلى الحياة الأبدية، والبعض الآخر إلى جهنم، لكن المقصود هنا بالراقدين في تراب الأرض اليهود المشتتون سيجمعهم الرب، بعضهم يرجع رجوعًا قوميًا فقط كالذين في دولة إسرائيل الآن، والبعض الآخر يرجعون رجوعًا قوميًا وروحيًا فهؤلاء للحياة الأبدية أي الملك الألفي»(١).

ونص دانيال لا يشير إلى البعث الأخروي كما رجحنا في نص أشعياء، بدليل أن قوله «وكثيرون من الراقدين» لا يمكن أن يشير إلى البعث الأخروي، لأن البعث الأخروي عام وشامل. يقول صاحب الديانات والعقائد «ولئن كانت كلمة دانيال أو نبوءته تذكر اليقظة التي هي العودة إلى الحياة فليست البعث الذي يتم في اليوم الآخر، بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا هم الراقدين جميعًا، بل كثيرين منهم هم الذين يستيقظون، وإذا كانت اليقظة غير عامة شاملة فليست بعثًا لليوم الآخر» (٢).

أما نص حزقيال: «أيتها العظام اليابسة، اسمعي كلمة الرب، هكذا قال السيد الرب لهذه العظام، هأنذا أدخل فيكم روحًا فتحيون، وأضع عليكم عصبا، وأكسيكم لحما، وأبسط عليكم جلدا، وأجعل فيكم روحًا، فتحيون وتعلمون أني أنا الرب» (٣).

يقول رشاد فكري، في تفسيره لسفر حزقيال: «هذه الأعداد تتكلم عن رجوع الشعب وإحيائهم كأمة يتمتعون بالبركات الإلهية، فالموضوع هنا ليس رجوع النفس ولا القيامة الطبيعية، لكن عمل الله في إسرائيل لكي يحيا مرة أخرى كأمة» (٤). ونفس المعنى الذي ذهب إليه رشاد فكري ذكره مؤلفو قاموس الكتاب المقدس. وإن كنت أرى أن ظاهر النص شديد الدلالة على البعث، والحياة بعد الموت «أدخل

---

(١) أشعياء مفصلا آية آية - ناشد حنا جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ ٢ ص ٢٤٣ - أحمد عبد الغفور عطا الطبعة الأولى ١٩٨١ - مكة المكرمة.

(٣) سفر حزقيال ٢٧ : ٤ - ٧ .

(٤) تفسير حزقيال ص ٣٢١، ٣٢٢ - رشاد فكري - مكتبة كنيسة الأخوة. وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩ .

فيكم روحًا فتحيون، وأضع عليكم عصبا، وأكسيكم لحمًا، وأبسط عليكم جلدًا» (١).

هذه عبارات واضحة تدل على البعث وتبين قدرة الله على ذلك **«وتعلمون أني أنا الرب»**، ولا أدري لماذا عدَل مفسرو النصارى عن القول بأن نص حزقيال يشير إلى البعث الأخروي، ورجحوا دلالة النص على البعث القومي السياسي، ونحن هنا نستأنس بآراء مفسري النصارى فقط لأن آراء النصارى ليست ملزمة لليهود.

وهنا اتجاه آخر يذهب إلى أن الإشارات السابقة في أسفار الأنبياء تشير إلى البعث الأخروي، وأن الاعتقاد بالآخرة لم يكن له وجود قبل عصر الأنبياء. ورد في علم اللاهوت الكتابي **«أن الاعتقاد بالآخرة مثله مثل التوحيد في العهد القديم، كلاهما من اختراع الأنبياء، وهذا معناه أنه لم يكن هناك توحيد أخلاقي قبل عصر الأنبياء، فإنه لم يكن قبل ذلك وجود للاعتقاد بالآخرة»** (٢).

ولكن هذا الاتجاه يذهب إلى أن اليهود تأثروا بعقيدة اليوم الآخر من الأمم الأخرى كالفارسية والبابلية، يرى مؤلف تراث العالم القديم أنه حتى **«عشية النفي كانت الأمة مسئولة عن خطايا أعضائها، وكان البريء والمذنب على السواء ينالهما الجزاء الذي يقع على المجتمع، ثم حدث مع النفي تغير، وأصبحت مطالب الفرد في عدالة «يهوه»** تلح إلحاحًا يطرد ازديادا لإرضائها، وقد رأينا أن مفكرين كمؤلف سفر أيوب جاهد على غير طائل للوصول إلى جواب عن المسألة، لقد كانت وطأة الاضطهاد في عهد أنطيوخوس هي التي فرضت الاعتقاد في البعث على العقل اليهودي، ولقد كان قاصرًا قبل ذلك الوقت على أقلية صغيرة، تأثرت فيما يُرَجَّحُ بالاتصال بالأفكار الزرادشتية في عهد الحكم الفارسي، وأن النصوص الواردة في العهد القديم التي تشير إليه قليلة ومتأخرة» (٣).

---

(١) حزقيال ٣٧ : ٤ - ٧ .

(٢) علم اللاهوت الكتابي جـ ٢ ص ٤٤٣ - تأليف جرهاردوش فوس - ترجمة الدكتور عزت زكي الناشر - دار الثقافة ١٩٨٢ .

(٣) تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٩ تأليف ز . ح - دي بورج ترجمة زكي الناشر دار الكرنك ١٩٦٥ .

ويذهب إلى هذا الرأي أيضًا - تأثر اليهود بالبعث من الاتصال بالفرس، وبابل - جرهاردوش فوس بقوله: **«إن الإيمان العبراني كما أنه تأثر في أمور كثيرة بالمعتقدات السائدة. تأثر أيضًا فيما يختص بالآخرة»** (١).

يقول الدكتور كامل سعفان: **«وإذا كان دانيال قد أشار إلى يوم البعث والجزاء بقوله: «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي»** فهذا دليل على ما أصاب من تحريف أو تزييف» (٢) ولقد ذكرنا من قبل كيف استدل بعضُ الباحثين بنص دانيال على أنه إشارة إلى البعث القومي، لأن البعث الأخروي عام وشامل، ونص دانيال فيه **«كثيرون من الراقدين في التراب»** ولعل أصلها الصحيح قبل التحريف **«الكثيرون الذين رقدوا في تراب الأرض»** ويكون المعنى حينئذ مشيرًا إلى البعث الأخروي، ولكن اليهود مارسوا عملية التحريف والتبديل في نصوص الأسفار.

ويذهب الدكتور كامل سعفان إلى احتمال آخر، وهو التأثر بالفرس في عقيدة البعث والجزاء، يقول عن أسباب التحريف في النصوص: **«إنه أثر الاتصال بالديانة الزرادشتية زمن الأسر الطويل، وإبان الاتصال بدولة الفرس في عهد قورش، وهو احتمال يؤكده العبث بالأصل السماوي»** (٣). وسوف نناقش عملية التأثر تلك عند عرضنا لرأي صاحب قصة الحضارة.

يقول **«وول ديورانت»**: **«ولم تبن فكرة البعث في خلد اليهود إلّا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس، أو لعلهم أخذوا شيئًا منها عن المصريين، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية»** (٤).

يقول الأستاذ **«عبد الكريم الخطيب»** في تعليقه على عبارة **«ديورانت»** الأخيرة:

---

(١) علم اللاهوت الكتابي جـ ٢ ص ٤٤٦ .

(٢) اليهود تاريخًا وعقيدة ص ١٦١ .

(٣) نفسه.

(٤) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ - وانظر تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٨ - ٩٩ .

«هكذا يقول ديورانت ونحن نخالفه في هذا، فإن شريعة موسى لا شك قد حملت إلى بني إسرائيل صورة واضحة عن البعث والحساب، والجنة والنار، وإن يكن بنو إسرائيل قد عبثوا بهذه الصورة في عهد من عهودهم فإنهم حين جددوا العهد والتمسوا الحياة الآخرة فيه كان أقرب شيء إليهم هو ما في شريعة موسى المكتوبة في الصحف أو المحفوظة في بعض الصدور، فذلك أقرب إليهم بلا شك من أن يلتمسوا هذه الصورة عن الحياة الآخرة بين الأمم الأخرى، التي تعد ذات ديانات وثنية بالنسبة للديانات الموسوية» (١).

والحق ما ذهب إليه الأستاذ «الخطيب» فإنه مهما كان التحريف في عهد من عهود اليهود فإن احتمال رجوعهم إلى شريعة موسى أقرب من رجوعهم إلى غيرهم من الأمم الوثنية، وإذا كانت الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء المتأخرين محتملة كما رأينا، أو يُزْعَمُ أن اليهود تأثروا فيها بغيرهم من الأمم الوثنية؛ فإننا نستطيع أن نجد بعض الأدلة على البعث بطريق غير مباشرة، هذه الأدلة تتضح من عدة نماذج لإحياء الموتى كمعجزات للأنبياء (٢).

وبعد أن استعرضنا الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث، نجد أنها لا تقدم صورة مسهبة ومفصلة تتناسب مع الأصل العقائدي الهام الذي يتمثل في الاعتقاد باليوم الآخر.

وإذا أردنا أن نحدد بدقةٍ أوجهَ الاتفاق وأوجه الاختلاف بين ما ورد في العهد القديم وما ورد في القرآن الكريم. فإن أوجه الاتفاق تتمثل في:

أولاً: أن أصل فكرة البعث مبثوثة في العهد القديم كإشارات مجملة، ولا تعطي تصورًا مفصلًا عن الآخرة وما فيها.

ثانيًا: أن بعض الإشارات كالتي وردت في سفري أشعياء وحزقيال تتفق بوجه من الوجوه مع بعض ما ورد في القرآن الكريم من قيام الناس لله رب العالمين.

---

(١) الله والإنسان ص ٢٥٥ .

(٢) سنتحدث عن هذه الحالات تفصيلًا عند مبحث الاستدلال على اليوم الآخر عند اليهود.

أما أوجه الاختلاف: فتتمثل في:

أولاً: أن العهد القديم لا يقدم تفصيلاتٍ تذكر، كالتي يذكرها القرآن الكريم، من إرهاصات يوم القيامة، ونسف الجبال، وتبديل الأرض غير الأرض والسماوات، كما لا يشير إلى نفخ الصور، كما تحدث القرآن الكريم، وتحدثت بعض النصوص في الأناجيل.

ثانيًا: أن العهد القديم لا يقدم أي تصور مفصل عن خروج الناس من القبور سراعًا، ولا عن كيفية بعثهم ونشرهم يوم القيامة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التحريف الذي لحق بالتوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسى والكتب التي نزلت على الأنبياء من بعده.

ويدلنا أيضًا أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يُرجَعُ إليه ويُحْتَكَمُ له عند الاختلاف بين ما ورد في الكتب السابقة وبين ما في القرآن، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

الاتجاه الثالث: عرض النصوص التي تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية:

يتمثل هذا الاتجاه في عرض النصوص التي تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية التي تتحدث عن العقائد اليهودية. وتجدر الإشارة إلى أن اليهود يقررون أن التلمود يتحدث عن المعاد «**لأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين، خصوصًا بعد عودتهم من سبي بابل**»[1]. وإن كنت لم أعثر على نصوص من التلمود تتحدث عن البعث وكيفيته؛ فإن هذا لا يعني أن التلمود لم يتحدث عن البعث وكيفيته، وعذري في ذلك أن التلمود من الكتب النادرة الوجود. يقول الأستاذ «**شوقي عبد الناصر**»: «**إن التلمود ومعناه كتاب تعاليم اليهود وآدابهم، فهو من أندر الكتب**

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠، ٩١ .

الموجودة في عالمنا على الإطلاق، وأستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد منه في العالم أجمع أكثر من خمس نسخ» (١).

وإذا تركنا التلمود فإننا نجد أن مفكري اليهود وعلماءهم يقرون بالبعث والقيامة. يقول سعديا الفيومي: **«إن إحياء الموتى الذي عرفنا ربنا أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعة عليه»** (٢) وبين السبب في ذلك بقوله: **«لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان، وسبب تشريفه الطاعة، وثمرتها الحياة الدائمة في دار الجزاء»** (٣) ويواصل حديثه عن البعث قائلًا: **«ورأينا إحياء الموتى، ولا شاهد يدفعه، لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم، وإنما نقول إن خالقهم يحييهم، ثم لا العقل يرده من أجل أن إعادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من اختراع شيء لا من شيء»** (٤).

وموسى بن ميمون اليهودي يقرر أن البعث والقيامة من الأموات من أركان الإيمان عند اليهود. وقد نقلها عن ابن ميمون الدكتور حسن ظاظا. يقول ابن ميمون: **«أنا أؤمن** (٥) **إيمانًا كاملاً بقيامة الموتى، في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن، وإلى أبد الآبدين»** (٦).

وعقيدة الآخرة نجدها مبثوثة في ثنايا كتب اليهود، إذ يعبرون بأن الغرض الأسمى نيل السعادة في الآخرة. جاء في كتاب شعار الخضر في الأحكام الإسرائيلية قول مؤلفه: **«إن جُلّ قصد شريعتنا الإلهية هو أن ينال الإنسان السعادة الأبدية»**(٧).

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون وتعليم التلمود ص ١، ٢ .

(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢١١ .

(٣) نفسه ص ٢١٣ . (٤) نفسه ص ٢١٣ .

(٥) انظر الفكر اليهودي الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ١٥٧ وما بعدها ويذهب الدكتور ظاظا إلى أن موسى بن ميمون تأثر بالمسلمين في عقيدة الآخرة.

(٦) نقلا عن الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ١٥٩ .

(٧) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائيق ص ٧ تعريب مراد فرج مطبعة الغرائب بمصر ١٩١٧ .

وجاء في مقدمة كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء: «**رزقنا الله الممات على حفظه وحب هذا النبي العظيم**» أي موسى عليه السلام، «**وحشرنا في زمرته، ولا جعلنا من المبعودين في هذه الدار من أمته المحرومين في الآخرة من شفاعته**» (١).

ومن فوق اليهود فرقة الكوستانية، وهي فرقة من فرق اليهود المتأخرة، تقر بالآخرة، والثواب والعقاب (٢)، ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك بعض الفرق اليهودية تنكر البعث والآخرة، ومن هذه الفرق الصدوقيين «**نسبة إلى صدوق أو صادوق بمعنى صادق، رئيس الكهنة أيام داود وسليمان، ومن عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابين، فسُمي أنصاره وخلفاؤه صدوقيين، أو بمعنى أصح صادقيين، وكانوا ضد تقليد الآباء، على عكس الفريسين خصومهم، ومالوا إلى الفلسفة اليونانية، ومدافعة الشر وأنكروا وجود الملائكة والروح، ورفضوا الإقرار بالقيامة والثواب في الجسد، بدعوى أن النفس تموت مع الجسد، وأن النص التوراتي يخلو من أي إشارة إلى معاد وحساب**» (٣).

ونلاحظ أن عدم إيمان الصدوقيين بالقيامة راجع إلى عدم إيمانهم بالتعاليم الشفوية كالتلمود الذي يعتقده سائر اليهود وغيرهم، ولما كانت التوراة لم تتحدث عن القيامة فقد تمسكوا بها، ورفضوا التلمود وتعاليم الآباء الشفوية، بما فيها من ذكر للبعث والقيامة.

وهناك بعضُ الفرق اليهودية التي تنكر البعث والقيامة في الآخرة وتؤمن بأن الثواب والعقاب في الدنيا، من هذه الفرق الدوستانية يقول الشهرستاني: «**الدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا**» (٤).

---

(١) نقلا عن مقدمة يقظة أولي الاعتبار ص ١٢ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٤٨ .

(٣) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٣٥ الدكتور عبد المنعم الحنفي دار المسرة - بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، وانظر الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ٢٥٩ وانظر عبقرية المسيح للعقاد ص ٢٢ - نشر كتاب اليوم ١٩٥٣، وانظر دينونة البشر العامة ص ٥١، ٥٢ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل جـ ٢ ص ٤٨ .

تعقيب على البعث في التصور اليهودي:

بعد عرضنا للاتجاهات الثلاثة التي مرت يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

أولاً: أن خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والآخرة، وما يسبقها من نفخ في الصور وما يصاحبها، من نسف الجبال، وتبديل للأرض غير الأرض والسماوات، وما يقع فيها من حساب وجزاء، وجنة ونار، يدل على التحريف الذي لحق بالتوراة، بعد موسى عليه السلام. لأن أمور البعث والآخرة أنزلها الله على موسى في التوراة مفصلة.

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام :١٥٤].

ولما كان اليهود قد سيطرت عليهم النزعة المادية التي جعلتهم يتعلقون بالدنيا ومتاعها، كتموا ما أنزل الله في التوراة، من ذكر للآخرة وما فيها، وبقيت صورة مضطربة، ليس لها ما يسندها من نصوص مكتوبة تتعلق بمستقبلهم عند الله بعد الموت.... ومن هنا نفسر كراهية اليهود للموت وما بعده، لئلا يشغلوا بالآخرة عن الدنيا ومتاعها التي سيطرت عليهم سيطرة تامة. يتضح ذلك في التوراة الحالية المحرفة.

ولقد تحداهم القرآن الكريم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في إيمانهم بالله وما أعده لهم.

ثانيًا: أن أسفار الأنبياء المتأخرة أشارت إلى البعث إشارات عابرة، ولكن تلك الإشارات لا تعطي تفصيلات مناسبة عن اليوم الآخر، تتناسب مع ذلك الركن العقائدي الهام، خاصة وأن تلك الأسفار مليئة بالحديث عن تفصيلات الحياة الدنيا، من أمور الزراعة والمعاملات بين اليهود وغيرهم من الأمم، وأيضًا أمور الحرب والقتال وغير ذلك من الأمور التي تعتبر أقل أهمية من الآخرة التي كان يجب أن تحتل مكانةً كبيرةً في أسفارِ اليهود، ولكن

التحريف والتبديل سبب كثيرًا من المفارقات عند اليهود.

ثالثًا: إن علماء النصارى شاركوا اليهود في التحريف للنصوص، فإنْ كنا ذهبنا إلى أن اليهود حرفوا النصوص الواردة في العهد القديم عن الآخرة وما فيها، بكتمانها وعدم إثباتها؛ فإن النصارى أيضًا شاركوا في التحريف بتأويل البقية الباقية من الإشارات عن اليوم الآخر في أسفار الأنبياء بصرفها عن البعث الأخروي إلى البعث القومي السياسي، بالرغم من صراحة بعض النصوص كنص أشعياء وحزقيال. ونحن نتعرض للنصارى ومشاركتهم في التحريف وإن كان التعقيب على البعث عند اليهود، وذلك لأن النصارى تعتقد في قدسية العهد القديم، ويستدلون بنصوصه في تصوير كافة عقائدهم[1]، وهذا ما جعلنا نعلق على مسلك النصارى في تأويل نصوص العهد القديم، مع علمنا بأن تفسيراتهم ليست ملزمة لليهود، وإنما نستأنس بما قيل حول النصوص، لا أكثر من ذلك.

رابعًا: أن التلمود وتعاليم الآباء الشفوية كانت مصدرًا من أهم المصادر لدى اليهود في تصورهم للآخرة، وما فيها من بعث للأموات وثواب وعقاب.

خامسًا: أن اليهود باستثناء بعض الفرق - كالصدوقيين - يقرون بالبعث على نحو ما ورد في أسفار الأنبياء المتأخرة. والتلمود والتعاليم الشفوية التي يدعون انتقالها عن الآباء الذين كانوا قبل موسى وبعده.

سادسًا: أن اليهود على عهد النبي ﷺ كانوا يؤمنون بالآخرة.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم، إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ،

(١) لسنا في مجال مناقشة النصارى في ادعائهم قدسية العهد القديم مع أنهم يخالفون كثيرًا من الأمور الواردة فيه.

تعجبا بما قال الحبر تصديقًا له، ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر :٦٧][١]

* * *

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥١٥ - طبعة عيسى الحلبي.

المبحث الخامس

الحشر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: الحشر في التصور الإسلامي:

للحشر كما ورد في القرآن الكريم أربعة أنواع: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة. وسنتحدث بإيجاز عن نوعي الحشر في الدنيا، ثم نفصل نوعي الحشر في الآخرة، فنذكر تعريف الحشر، وعمومه للإنس والجن والحيوان والطير، وسمائه وأرضه، وكيفيته وذكر العرق يوم القيامة في الحشر، وحشر المؤمنين إلى الجنة، وحشر الكاذبين إلى النار.

الحشر في الدنيا:

أول نوع من أنواع الحشر في الدنيا: هو ما ذكره الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر:٢] والمقصود من الآية أن الله أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب لأول الحشر، أي في أول حشرهم إلى الشام، وكانوا من سبط من اليهود لم يصبهم جلاء قط، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام، وآخر حشرهم يوم القيامة. ويقول ابن عباس: من شك أن الحشر في الدنيا فليقرأ هذه الآية، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم: «اخرجوا». قالوا إلى أين؟ قال: «إلى أرض الحشر». قال قتادة: هذا أول الحشر [١].

النوع الثاني في الدنيا: الحشر الذي يكون قبل يوم القيامة، والذي يعتبر

---

(١) أبو السعود جـ ٤: ٧٠١، ٧٠٢، والتذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٤٢ .

من علامات الساعة، وفيه أن النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف منهم، وهذا الحشر هو الذي ورد عنه الخبر فيما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهبين، واثنان على بعير، ثلاثة على بعير، أربعة على بعير، عشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا**» [١]. والعلماء مختلفون حول هذا الحشر هل هو في الدنيا أم في الآخرة؟

فذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذا الحشر، الحشر في الآخرة. وحجتهم أن الحشر إذا أطلق في عرف الشرع يراد به الحشر من القبور ما لم يخصصه دليل، كما في الحديث السابق، وأيضًا أن بقية الناس التي تحشرهم النار قول لم يرد فيه توقيف، وليس لأحد أن يحكم على أهل الشقاوة بتسليط النار عليهم في الدنيا[٢]. ويحتج من يذهب من العلماء إلى أن هذا الحشر في الآخرة بأن التقسيم في الحديث للناس، إشارة إلى التمثيل في سورة الواقعة، ويرون أن قوله ﷺ: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق**» إشارة إلى الأبرار والذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا وإشارة إلى الكفار. فالأبرار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه، والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء، والأبرار يُحملون على النجائب، والراهبون على الأبعرة، والفجار تسوقهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا [٣]. هذا رأي من ذهب من العلماء إلى أن الحشر الوارد في حديث أبي هريرة يقصد به الحشر في الآخرة.

وفريق آخر من العلماء ذهب إلى أن الحشر الوارد في الحديث حشر في الدنيا وليس في الآخرة، وحجتهم في ذلك أن الحشر في الآخرة على خلاف الصورة

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٨/٣١٩/٣٢٠ .
(٢) نفسه ص ٣١٨ .
(٣) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٢٤٣ .

التي ورد بها الحديث من الركوب على الإبل والتعاقب عليها، وإنما حشر الآخرة هو ما ورد في حديث ابن عباس، بأن الناس يحشرون حفاة عراة، واستدل هذا الفريق من العلماء على أن هذا الحشر في الدنيا بأن النار التي تحشرُ الناسَ والتي ورد بها الخبر ليست نار الآخرة، وإنما هي كناية عن الفتنة التي تفتن الناس قبل يوم القيامة، وهذه النارُ مثل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة :٦٤] ونميل إلى أن الحشر الوارد في حديث أبي هريرة حشر في الدنيا لا في الآخرة، لأنه قد ورد في نفس الحديث أن النار تحشرهم وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا، وليس في الآخرة صباح ولا مساء. وقد رجح ابن حجر هذا الرأي في الفتح، يقول: «**يبعد غاية البعد أن يحتاج من يساق إلى الموقف إلى الجنة، إلى التعاقب على الأبعرة، فرُجحَ أن ذلك إنما يكون قبل البعث. والله أعلم**» [١].

الحشر في الآخرة:

حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث إلى الموقف، وهو في اللغة: الجمع ورد في مختار الصحاح: حَشَرَ الناسَ جمعَهُمْ، وبابه ضرب ونصر، ومنه يوم الحشر [٢]. وفي الاصطلاح عند علماء التوحيد: «**سوقهم جميعا - أي المخلوقات - إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه من الأرض المقدسة المبدلة التي لم يعص الله عليها، لفصل القضاء بينهم، لا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الإنس والجن والملك، وبين ما لا يجازي كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه المحققون**» [٣]

يقول السعد في شرح المقاصد: «**المعتمد في إثبات حشر الأجساد دليل السمع، والمفصح عنه غاية الإفصاح من الأديان دين الإسلام، ومن الكتاب «القرآن»، ومن الأنبياء محمد عليه السلام**» [٤].

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٢١ . (٢) مختار الصحاح ص ١٣٧ .

(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ .

(٤) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٦، الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٧٨، جـ المسايرة في علم الكلام ص ١٤٢.

وهذا الحشر يكون للمخلوقات كلها يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام :٣٨] يروي الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها : حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشقاة القرناء**» (١).

وهذا الحديث يدل على حشر البهائم يوم القيامة وإعادتها، كما يعادُ أهل التكليف. وقد اختلف أهل التأويل في حشر الحيوانات والطيور المذكور في آية الأنعام، فعن ابن عباس أن موت البهائم حشرها، وقال آخرون: الحشر في هذا الموضع يعني به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة، واستدلوا بما ورد عن أبي هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام :٣٨] قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم، والدواب، والطير، وكل شيء، ويبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول كوني ترابًا، فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا. واستدلوا أيضًا بما ورد عن النبي ﷺ، عن أبي ذر قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزتان، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون فيم انتطحتا؟**» قالوا: لا ندري. قال: «**لكن الله يدري وسيقضي بينهما**» (٢).

وبعد أن يستعرض الإمام الطبري آراء القائلين بالحشر، والقائلين بأن الحشر بالنسبة للحيوانات والطيور يعني به الموت، يذهب إلى أن «**الصواب من القول عندي أن يقال إن الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائرٍ محشورٌ إليه، وجائز أن يكون معنيا به الحشرات جميعًا، ولا دلالة في ظاهر التنزيل ولا في خبر النبي ﷺ** أي ذلك المراد في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام :٣٨] إذا كان الحشرُ في كلام العرب الجمع، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص :١٩] يعني مجموعة، فإذا كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعًا خلقه إليه يوم القيامة وجامعهم بالموت، كان أصوب القول في ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمه الله

(١) تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي جـ ٧ ص ١٠٤ .

(٢) انظر الطبري جـ ٥ ص ١١٩، ١٢٠، وانظر ابن كثير جـ ٢ ص ١٣١ ، والبغوي جـ ٢ ص ٩٥.

بظاهرها، وأن يقال كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء، وبعد بعثِ القيامة، ما دام الله قد عمَّ بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام :٣٨] ولم يخصص حشرًا دون حشر» [١].

والذي أميل إليه هو أن الحشر في الآخرة عام يشمل جميع المخلوقات لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام :٣٨] ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير :٥] وفي تفسير هذه الآية وردَ أن معنَى حشرِ الوحوش جمعها وبعثها للقصاص. قال قتادة: «**يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص، فإذا قضى بينهما ردت ترابًا، فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه**»[٢]. ولا معنى لصرف الحشر في آية الأنعام وآية التكوير إلى الموت، لأن اللغة تثبت أن الحشر بمعنى الجمع، وسياق الآية الأخيرة يبين أنها في معرض الحديث عن القيامة وأهوالها، والرسول ﷺ أخبر أن هناك قصاصًا بين الحيوانات يوم القيامة، ومعلوم أن الحساب بعد الحشر.

أرض الحشر في الآخرة:

إن أرض المحشر التي يحشر الله الخلق إليها يوم القيامة تكون غير أرض الدنيا، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم :٤٨] الآية فيها دليل على أن الأرض يوم القيامة سوف تبدل، وكذلك السماوات وتبديل الأرض قد يكون بالذات، أي أن الأرض ذاتها تبدل، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ﴾ [النساء :٥٦] وكقوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ :١٦] وإلى هذا الرأي ذهب جماعة من العلماء [٣] وهذا الرأي

(١) الطبري بتصرف جـ ٥ ص ١١٩، ١٢٠ .

(٢) أبو السعود جـ ٤ ص ٨٣٧ .

(٣) انظر الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٣٨٤، وأبو السعود جـ ٣ ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

يؤيده ما رواه البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي»**. قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد. قال الخطابي: العفر بياض ليس بالناصع، وليس فيها معلم لأحد: أي ليس فيها علمٌ لأحد، أي أنها مستوية، والحديث يدل على أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة، والحكمة في ذلك أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه على عباده على أرض تليق بعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصًا له وحده [(١)].

وذهب بعض العلماء إلى أن تبديل الأرض والسماء يوم القيامة يكون بالصفات لا بالذات، ومعنى تبديل صفات الأرض سير الأرض عن جبالها، وتفجر مجاريها، وتسويتها، فلا يرى فيها عوجا ولا أمتا، وتبديل السماء بانتثار كواكبها، وكسوف شمسها، وخسوف قمرها، وانشقاقها، وكونها أبوابًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النبأ :١٩][(٢)].

ويستدل العلماء بأن صفات الأرض هي التي تبدل بما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: **«إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحُشِر الخلائق»**. ويستدلون بما ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم :٤٨] قال: **«يزاد فيها، وينقص منها، ويذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها»**[(٣)].

ويمكن الجمع بين القائلين بتبديل الذات وتبديل الصفات بأن تبديل الصفات يكون عند نفخ الصور وقيام القيامة، وهذا يكون في أرض الدنيا، أما أرض الحشر

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٥ .
(٢) انظر الكشاف جـ ٣ ص ٣٨٤، وأبو السعود جـ ٣ ص ٣٠٨، ٣٠٩.
(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٦ .

في الآخرة فتكون بتبديل الذات، كما نطقت بذلك الآية، ودلت عليها الأحاديث النبوية. وما يقال عن الأرض يقال عن السماء. وقد نقل ابن حجر الخلاف في تبديل السماء فقال: «**واختلف في السماوات أيضًا، فقيل: إنها إذا طويت تكور شمسُها وقمرُها وسائر نجومها، وتصير تارة كالمهل، وتارة كالدِّهان. وأخرجه البيهقي في البعثِ من طريق السدى عن مرة عن ابن مسعود قال: «السماء تكون ألوانا كالمهل والدهان، وواهية، وتشقق، فتكون حالاً بعد حال»** وجمع بعضهم بأنها تنشق أولًا فتصير كالوردة، وكالدهان، والمهل، وتكور الشمس، والقمر، وسائر النجوم، ثم تطوى السماوات، وتضاف إلى الجنان» [١].

وبعد أن بينا آراء العلماء في تبدل الأرض والسماوات يوم القيامة، يُطرح هذا التساؤل: أين يكون الناس عند تبدل الأرض غير الأرض؟

وقد سألت السيدة عائشة رسول الله ﷺ هذا السؤال. روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم :٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «**على الصراط**» [٢] وفي رواية الترمذي «**على جسر جهنم**» وروى مسلم من حديث ثوبان مرفوعًا «**يكونون في الظلمة دون الجسر**».

يقول صاحب الفتح: «**جمع البيهقي بين هذه الأحاديث بأن المراد بالجسر الصراط، وفي قوله** ﷺ على الصراط مجازًا، لكونهم يجاوزونه، لأن في حديث ثوبان زيادة يتعين المصير إليها لثبوتها، وكان ذلك عند الزجرة التي تقع عند نقلهم من أرض الدنيا إلى أرض الموقف، ويشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر :٢١-٢٢]» [٣].

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٧ .
(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥١٧ .
(٣) وانظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٧ بتصرف.

كيفية الحشر في الآخرة:

ونعني بكيفية الحشر الصفة التي يكون الناس عليها أثناء حشرهم وسوقهم إلى الموقف للحساب. وقد وردت الأحاديث التي تبين الكيفية التي يحشرُ الناسُ عليها يوم القيامة، من كونهم حفاةً عراة غرلا. فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رض الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: «**إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا**»(١).

والحديث فيه دلالة على أن الناس سيحشرهم الله يوم القيامة حفاة، عراة من الملابس، غرلا جمع أغرل، وهو الأقلف، ومعناه كما قال ابن عبد البر: «**يحشر الآدمي عاريًا، ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف**»(٢) وروى البخاري بسنده عن عائشة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرلا**». قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضُهم إلى بعض؟ فقال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذاك**»(٣).

وروى الترمذي والبخاري عن ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «**إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء :١٠٤] الآية، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذون ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول الله إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة :١١٧] إلى قوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾. قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم»(٤).

هذه الأحاديث فيها الدلالة على أن الناس يوم القيامة يحشرون حفاة عراة غرلا، أي ترد عليهم القلفة، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر، ولكن وردت

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٢١ . (٢) نفسه ص ٣٢٢، ٣٢٣ .
(٣) نفسه ص ٣٢٥ .
(٤) نفسه ٣٢٣، ٣٢٤، وانظر الأحوذي شرح الترمذي جـ ٧ ص ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ .

بعض الأحاديث تبين أن المؤمنين يحشرون في أكفانهم يوم القيامة. وهذا بظاهره يعارض الأحاديث المتقدمة من كون الناس في الحشر حفاة عراة. يقول القرطبي في التذكرة: «**وقد عارض هذا الباب، أي حشر الناس حفاة عراة، ما روى أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد، فلبسها، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي دفن فيها»**»، وذهب إلى ذلك أبو حامد الغزالي في كتابه «**كشف علوم الآخرة**» [١]. والحديث الذي رواه أبو داود قال عنه ابن حجر: صححه ابن حبان. وللعلماء في الجمع بين حديث أبي داود وغيره عدة طرق، فابن حجر يذهب إلى أن البعض يحشر عاريًا، والبعض يحشر كاسيًا، ويكون المؤمنون هم الذين يكتسون في الحشر، أو أن الجميع يحشرون عراة، ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى من الأنبياء إبراهيم عليه السلام[٢]. والقرطبي - في التذكرة - يذهب إلى أن الناس جميعًا يحشرون عراة بنص الأحاديث، أما من يبعث في ثيابه التي دفن فيها فهو الشهيد فقط، ويذكر القرطبي أن هذا ما ذهب إليه أكثر العلماء، ويرجح القرطبي هذا الرأي بقوله: «**ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قول الحق ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام :٩٤] وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف :٢٩]؛** ولأن الملابس في الدنيا أموال، ولا مال في الآخرة، زالت الأملاك بالموت، وبقيت الأموال في الدنيا، وكل نفسٍ يومئذ فإنما يقيها المكاره ما وجب لها بحسن عملها، أو رحمة من الله مبتدأة من الله عليها [٣]. وأُرجح ما ذهب إليه العلماء، ورجحه القرطبي من حشر الناس حفاةً عراة، وأن الذين يحشرون بثيابهم هم الشهداء، لفضلهم ومنزلتهم عند الله. وأيضًا لأن الأحاديث في حشر الناس حفاة عراة قد وردت من أكثر من طريق، بعكس حديث أبي داود، الذي لم تتوافر له الطرق المتعددة التي توفرت لأحاديث حشر الناس حفاة عراة.

(١) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٥٥، ٢٥٦

(٢) انظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٢٢ .

(٣) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٥٦، ٢٥٧ .

صفة العرق يوم الحشر:

من الأشياء التي تصاحب الحشر يوم القيامة العرق الذي يعم الخلق إلا من رحم الله، وقد وردت أحاديث عدة عن العرق وصفته يوم القيامة، منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعينَ ذراعًا ويلْجمُهمْ حتى يبلغ آذانهم»** [١].

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«يوم يقوم الناسُ لرب العالمين، حتى يغيب أحدُهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»** [٢] وروى الترمذي عن سليم بن عامر، أخبرنا المقداد صاحبُ رسول الله ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمسُ من العبادِ، حتى يكون قدر ميل أو اثنين»** قال سليم بن عامر: لا أدري أي الميلين عَنَي، أمسافة الأرض أم الميل الذي يكحل به العين؟ قال: **«فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم: فمنهم من يأخذه إلى عقبه، ومنهم من يأخذه إلى ركبته، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجم إلجامًا فرأيت رسول الله ﷺ** يشير بيده إلى فيه أي يلجم إلجامًا» [٣].

والذي يتأمل ما ورد في تلك الأحاديث يعلم عظم الهول فيها. الميل في حديث الترمذي إما أن يكون الميل الذي يكتحل به، وإما أن يكون المراد به الفرسخ والمسافة، وقد ذهب بعض العلماء إلى ترجيح أن المراد بالميل الفرسخ، وكفى في ذلك في تعذيب وإيذاء من أراد الله يوم الحشر، ولا يعترض بأنه إذا كان العرق يلجم البعض، ويكون كالبحر، فكيف يصل إلى كعب الآخر؟ ويجوز أن يخلق الله ارتفاعًا في الأرض تحت أقدام البعض، أو يمسك الله تعالى عرق كل إنسان بحسب عمله، فلا يصل إلى غيره منه شيء، كما أمسك جرية البحر لموسى عليه الصلاة والسلام والأولى ألا يعترض على ذلك بعقل، ولا قياس، ولا

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٨٠٤ جمع وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) نفسه ص ٨٠٤ جمع وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١٠٥، ١٠٦، ومسلم جـ ٤ ص ٢١٦١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

عادة، وإنما يؤخذ بالقبول، ويدخل تحت الإيمان بالغيب [١]. يقول الإمام الغزالي: «**فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وفيهم من ينادي فيقول: رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار، وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابًا ولا عقابًا، فإنك واحد منهم، ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق، واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء من الخوف في صعيد القيامة، ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرًا وأقصر زمانًا من عرق الكرب والانتظار في القيامة، فإنه يوم عظيم شدته طويل مدته**» [٢] ومعلوم أن هذا العرق وما يصاحبه، وإن كانت الأحاديث تدل بظاهرها على العموم؛ فلقد دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض، وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار [٣].

الحشر إلى الجنة والحشر إلى النار:

هذا هو الحشر الثاني بالنسبة للآخرة، والرابع بالنسبة لأنواع الحشر عامة التي عدها العلماء [٤]. وإن كنت أميل إلى أن الحشر ضمن حشر الآخرة، ولا يعتبر رابعًا بالنسبة لأنواع الحشر عامة، ولا ثانيًا بالنسبة للحشر في الآخرة.

وعلى هذا تكون أنواع الحشر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ثلاثة: اثنان في الدنيا، وواحد في الآخر، ومن ضمنه حشر المتقين وحشر الكفار.

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٣٢، ٣٣٣، وتحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢٩٥٦ طبعة دار الشعب.

(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٣٢ .

(٤) انظر التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٤٢، ٢٤٥، وفتح الباري جـ ١١ ص ٣١٧ ، وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ .

والقرآن الكريم يعرض صورًا مختلفة لحشر المؤمنين، والكافرين، وبينت السنة كيفية حشر المؤمن والكافر يوم القيامة.

فعن حشر المتقين يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم :٨٥].

وذكر المتقين بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته، وهم كالوفد وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه [١]. روى الإمام أحمد بسنده عن معاوية بن حيدة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنكم محشورون رجالاً وركبانًا، وتجرون على وجوهكم»** [٢].

وعن حشر الكافرين يقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء :٩٧] والآية تدل على أن الكافر يحشر يوم القيامة على وجهه وهو أعمى وأبكم وأصم. وقد سئل رسول الله ﷺ عن كيفية حشر الكافر على وجهه يوم القيامة.

روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك، أن رجلًا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: **«أليس الذي أمشاه على رجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»** [٣]. ولا يستغرب الإنسان كيف يمشي الكافر على وجهه يوم القيامة؟ لأن الآخرة فيها من العجائب والغرائب ما لا يتصوره الإنسان. يقول الإمام الغزالي: **«في طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل، والمشي بالرجل أيضًا مستبعد عند من لا يشاهد ذلك. فإياك أن تنكر شيئًا من**

---

(١) ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٧، الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٥٧٤ .
(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ٣، ٥ .
(٣) مسلم جـ ٤ ص ٢١٦١ .

عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإنك لو لم تكن شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارًا لها» (١).

وقد وردت آيات في القرآن الكريم في حشر الكفار ظاهرها التعارض، إذ إن الله عز وجل مرة يذكر عن الكفار وحشرهم أنهم يكونون عميا وبكما وصما، ومرة يذكر أنهم يتعارفون فيما بينهم، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس :٤٥] ويذكر أيضًا قولهم ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس :٥٢] وكلامهم مضاد للصمم، والبكم معًا. وفي آية أخرى يذكر سؤالهم وتبكيتهم، يقول تعالى ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف :٦] والسؤال لا بد فيه من سماع منهم وجواب، وفي آية أخرى يقول: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه :١٠٢] أي زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال. وهذا ينافي العمى، وفي آية أخرى يقول: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس :٥١] ويقول في آية أخرى ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج :٤٣]، والنسلان، والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه، كما يقول القرطبي في التذكرة (٢).

ويوفق القرطبي في التذكرة بين الآيات التي وردت في حشر الكفار، والتي ظاهرها التعارض، فيقول: **«إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم فليست حالتهم حالة واحدة، ولا موقفهم، ولا مقامهم واحدًا، ولكن لهم مواقف وأحوالاً، واختلفت الأخبار عنهم؛ لاختلاف مواقفهم وأحوالهم. وجملة ذلك أنها خمسة أحوال: الأولى حال البعث من القبور، والثانية حال السوق إلى موضع الحساب، والثالثة حال المحاسبة، والرابعة حال السوق إلى دار الجزاء، والخامسة حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها.**

* * *

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢٩٥٦ - طبعة دار الشعب.

(٢) التذكرة جـ ١ ص ٢٥٠ .

الحالة الأولى:

فأما حال البعث من القبور فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح، لقول الله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس :٤٥] وقوله: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه :١٠٣] وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر :٦٨] وقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون :١١٢] إلى قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون :١١٥].

الحالة الثانية:

حال السوق إلى موضع الحساب، وهم أيضًا في هذه الحال بحواس تامة، لقوله عز وجل: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات :٢٢-٢٤]. ومعنى فاهدوهم أي دلوهم، ولا دلالة لأعمى أصم، ولا سؤال لأبكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار، وأسماع، وألسنة ناطقة (١).

الحالة الثالثة:

ويبين الحالة الثالثة بقوله: «**والحالة الثالثة، وهي حالة المحاسبة، وهم يكونون فيها أيضًا كاملي الحواس، ليسمعوا ما يقال لهم، ويقرءوا كتبهم الناطقة بأعمالهم، وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون:** ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف :٤٩] **وأنهم يقولون لجلودهم لم** شهدتم علينا، وليشاهدوا أحوال القيامة، وما كانوا مكذبين في الدنيا به من شدتها، وتصرف الأحوال بالناس فيها».

الحالة الرابعة:

وهي السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم، لقوله

---

(١) التذكرة جـ ١ ص ٢٥١ .

تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء :٩٧] ويحتمل أن يكون قول الله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن :٤١] إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق [١].

الحالة الخامسة:

حالة الإقامة في النار، وهذه الحالة تنقسم إلى بدءٍ ومآل، فبدؤها أنهم قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عميًا وبكمًا وصمًا إذلالًا لهم، تمييزا عن غيرهم، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار، وما أعد الله لهم فيها من عذاب، ويعاتبوا ملائكة العذاب، وكل ما كانوا به مكذبين، فيستقروا في النار ناطقين سامعين مبصرين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى :٤٥].

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام :٢٧] وقال ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨-٣٩] وقال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك: ٨-٩] وأما العقبي والمآل فإنهم إذا قالوا: ﴿أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٧] فقال الله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون :١٠٨] وكتب عليهم الخلود بالمثل الذي يضرب لهم، وهو أن يؤتى بكبش أملح، ويسمى الموت، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار، وينادوا: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت - سلبوا في ذلك الموقف أسماعهم» [٢].

---

(١) التذكرة جـ ٢ ص ٢٥١.

(٢) التذكرة للقرطبي جـ ١، ص ٢٥١ .

وهكذا يوفق «**القرطبي**» بين الآيات التي قد يتعارض بعضها مع البعض ظاهرًا، فيبين أن لكل آية وجهًا وموقفًا خاصًا بها، وبهذا يزول التعارض بين ظاهر الآيات وبعضها مع البعض الآخر.

ثانيًا: الحشر في التصور النصراني

لم أعثر في المصادر التي رجعت إليها عند النصارى على أي تصور لهم عن الحشر وأحوال الناس فيه، وصفة العرق فيه ولا على شيء من الأشياء التي تحدث عنها القرآن الكريم، وفصلها الرسول ﷺ. ويبدو أن النصارى لا يفرقون بين البعث والحشر؛ لأن الحشر لم يرد عندهم، ولم يخصص بذكر في العهدين القديم والجديد، والنصوص التي وردت - خاصة في الأناجيل وأعمال الرسل - تصور بعث الناس من القبور عند سماع صوت ابن الإنسان، كما يقول «**لوقا**» في إنجيله، وعند سماع صوت الملائكة كما يقول «**متى**» في إنجيله.

ورد في الإصحاح الخامس والعشرين من إنجيل «متى»: «**متى جاء ابن الإنسان في مجده فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء**» [١].

وورد في إنجيل لوقا: «**لا تتعجبوا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة**» [٢].

ما هي حالتهم أثناء الخروج، وما هي صفتهم؟ لا تحدثنا نصوص الأناجيل عن صفة الذين يبعثون إلى الدينونة.

وورد في رسائل بولس: «**الراقدون بيسوع يحضرهم الله أيضًا معه**» [٣] «**الله الذي يقيم الأموات**» [٤] ولا يدلي بولس بأي تصريح في رسائله عن صفتهم وحالتهم أثناء الوقوف أمام الله يوم القيامة.

---

(١) متى: ٣٤/٢٥ .
(٢) لوقا: ٢٨/٥ .
(٣) رسالة تسالونيكي ١٤/٤ .
(٤) رسالة تسالونيكي الثانية ٩/١ .

ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي قوله: **«ورأيت الأموات صغارًا وكبارًا واقفين أمام الله»**[(١)].

هذه النصوص التي عرضناها لا تذكر الحشر، أو بتعبير أدق يبدو أن النصارى لا يفرقون بين البعث، والحشر، ويعبرون عنه بالقيامة أو الدينونة أو البعث [(٢)].

وكانت صورة الحشر التي بينها القرآن الكريم، وفصلها الرسول ﷺ مثار طعن من بعض النصارى على الإسلام، وكانوا يجادلون علماء الإسلام في تفصيلات الحشر التي وردت في السنة.

ورد في كتاب الانتصارات الإسلامية لنجم الدين الطوفي، شبهة أحد النصارى وسخريته من الأحاديث التي وردت عن حشر الناس حفاة عراة، وأيضًا حشر البهائم والجمادات يوم القيامة، ويسخر النصراني من الحديث الذي ورد فيه **«يحشر الناس حفاة عراة غرلا»** وحديث أبي هريرة **«إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا فداؤك من النار»** [(٣)].

ثم يقول النصراني مستبعدًا ومستنكرًا: **«فانظر إلى هذه الأحاديث، وما تضمنته من الأخبار، وكيف أخبر عن حشر الحشرات والبهائم والعيدان، وأن الله يقضي بينهن، وكيف تمشي الجمال والبقر على الناس»** [(٤)].

ويجيب الطوفي على النصراني من وجهين:

أحدهما: «إن كل هذا ممكن لا شك في إمكانه، وقد أخبر به الصادق، فيجب قبوله» [(٥)].

ثانيهما: «إنه ليس عندك في إنكاره إلا كونه لم يذكر في كتابك ونحوه» [(٦)].

والحق ما ذهب إليه نجم الدين الطوفي؛ لأن حديث حشر الناس حفاة عراة

---

(١) رؤيا يوحنا ٢٠/١٣. (٢) علم اللاهوت ميخائيل مينا ص ١٣٤/١٨١ .
(٣) الانتصارات الإسلامية - نجم الدين الطوفي ١٩٣ .
(٤) السابق. (٥) نفسه.
(٦) نفسه.

ورد في أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، فقد رواه الإمام البخاري عن ابن عباس والإمام مسلم عن قتيبة [١]، ورواه الترمذي في جامعه عن ابن عباس [٢] وقد اتفقت الأمة على قبول ما رواه الإمام البخاري ومسلم لصحة نسبته إلى رسول الله ﷺ. وجامع الترمذي من الكتب الصحاح. وقد ورد فيه الحديث أيضًا، وأما اقتصاص الحيوانات من بعضها يوم القيامة فتحقيقًا للعدل يوم القيامة، وأما حديث أبي هريرة «**إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا فداؤك من النار**»؛ فليس في ذلك ظلم للنصارى، والعلماء قد شرحوا الحديث شرحًا بيِّن مقصد الرسول ﷺ في ذلك، واليهود والنصارى قد سنوا سننًا سيئة، فإذا اتبعهم فيها أحد المؤمنين كان عليه وزر الاتباع، وعليهم وزر الابتداع، فإذا كان يوم القيامة غفر الله ذنب المؤمن فعفا عنه وبقيت سيئات اليهود والنصارى. الذين سنوا السنن السيئة فحملوا وزر الابتداع لتلك السنن السيئة [٣] ويصف الطوفي ما عند اليهود والنصارى بأنه محرف، إذ الأصل أن الأشياء التي طعن فيها النصراني من الحشر وغيره موجودة عندهم، ولكنهم حرفوها، وبدلوها، يقول الطوفي: «**إن أصول الدين الإسلامي مشتركة بين سائر الأديان، لقوله تعالى**: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [**الشورى**: ١٣] ولكن ذلك بُدِّل وغُيِّر في كتبكم، لتطاول العهد، واعتوار اللغات والألسنة عليه [٤]. ونحن مع نجم الدين الطوفي في أن النصارى قد حرفوا وبدلوا كثيرًا مما في كتبهم، ومما بدلوه وحرفوه ما يتصل بالآخرة، ولكن لسنا معه في أن التفصيلات والفروع كانت موجودة عند النصارى واليهود كما في الإسلام فالأصول واحدة والفروع مختلفة.

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٢١، ٣٢٢ .

(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١٠٨ .

(٣) انظر فتح الباري جـ ١١٠ ص ٢٢٥ .

(٤) الانتصارات الإسلامية ص ١٩٧ .

ثالثًا: الحشر في التصور اليهودي

في المصادر المتاحة والتي رجعت إليها [١] لم أجد أي إشارة عن الحشر وأحوال الناس فيه بالتفصيل، وهذه المصادر تعتبر قليلة، ولكن عذري في ذلك ندرة العثور على كتب يهودية، لأن اليهودية كما نعلم ليست ديانة مبشرة، وهم لا ينشرون دينهم خارج بني جنسهم؛ لاعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأثناء البحث عثرت على نص لأحد علماء اليهود، وهو سعديا الفيومي في كتابه الأمانات والاعتقادات - هذا النص ورد فيه كلمة الحشر، في معرض حديث المؤلف عن الآخرة، وفيه يذكر أن كل من لا يعتقد بالبعث فغير محشور في جملة الأمة - أي أمة اليهود - والنص هو: «**كل من لا يعتقد إحياء الموتى في دار الدنيا فغير محشور في جملة الأمة**» [٢]. والعبارة «**غير محشور في جملة الأمة**». هل يقصد بها الحشر الأخروي؟ أو يقصد بها غير داخل في جملة الأمة؟ هذا محتمل وهذا محتمل، ولكن الذي أرجحه الاحتمال الأول، أي حشر الآخرة؛ لأن كلام سعديا الفيومي قبل هذا النص كان عن التدليل على وقوع البعث وإحياء الناس بعد الموت. وكما أوضحنا عند الحديث عن البعث عند اليهود، فإن الإشارات عن اليوم الآخر ترد قليلة في العهد القديم، هذا فضلا عن التفصيلات في الآخرة والحشر والحساب والجنة والنار.

وهذا يدل:

أولاً: على كمال الإسلام، بإحاطته بالكليات والجزئيات عن اليوم الآخر.

---

(١) العهد القديم، انظر تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٢٤، ٣٤ التلمود أصله وتسلسله ص ٩٠، ١٤٣ التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٩، ٨٥ السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ١ ص ٥٠، جـ ٥ ص ٢١١ الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري ص ٣٠٤، ٣١٧ قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ - اليهود تاريخًا وعقيدة ص ١٦١ أديان العالم حبيب سعد ١٩٥/١٩٤ التوراة السامرية ٣٩٢، ٣٩٣ قاموس الكتاب المقدس ٧٤٨، ٧٤٩ تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٨، ٩٩ - الأمانات والاعتقادات.

(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢١٩ .

ثانيًا: على التحريف والتبديل الذي لحق بالتوراة وأسفار الأنبياء، لأن اليهود حرفوا ما جاء عن الآخرة في التوراة؛ لأن الأصول عند جميع الرسل واحدة، وتلك الأصول قد حرفها اليهود. أين ما ورد عن الآخرة في التوراة من مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى :١٦-١٩] فإيثار الآخرة على الدنيا موجود في صحف موسى عليه السلام، ولا نجد لهذه التعاليم أي أثر في التوراة الحالية، وأيضًا قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم :٣٦-٤٢].

* * *

المبحث السادس

صحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: صحائف الأعمال في التصور الإسلامي

في مشاهد يوم القيامة صحائف الأعمال، وهي من السمعيات التي وردت في القرآن الكريم، وأخبر عنها الرسول ﷺ. وصحائف الأعمال عبارة عن الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا (١). وهذه الصحف هي التي سيحاسب الإنسان على أساس ما فيها من الأعمال، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. يقول صاحب المقاصد: «**من السمعيات تطاير الكتب، والدليل عليها قول الله تعالى**: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء :١٣] ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٧-٨] ويقول صاحب المواقف عن هذه الآية: «**قد ثبت بها قراءة الكتب**» (٢) ويذكر صاحب مطالع الأنظار أن سائر السمعيات - ومنها تطاير الكتب - الأصل في إثباتها أنها ممكنة في أنفسها، والله تعالى قادر على كل هذه الأشياء، والصادق أخبر عن وقوعها، فيكون هذا مفيدًا للعلم بوجودها، ويذهب الجويني إلى أن العقول لا تحيل شيئًا من هذه السمعيات، والدلالة ثابتة على القطع بالميزان والحوض والكتب التي يحاسب عليها الخلائق (٣).

والقرآن الكريم يذكر الصحف التي كتبت فيه الحسنات والسيئات للعبد في الدنيا

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٢ .

(٢) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ .

(٣) انظر مطالع الأنظار لأبي الثناء شمس الدين الأصفهاني ص ٤٦٤ والإرشاد للجويني ص ٣٧٩ .

بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء :٩٤] أي مثبوت في صحائف أعمالهم لا نغادر من ذلك شيئًا (١).

هذه الصحائف هي التي يعبر عنها القرآن في بعض الآيات بالكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف :٤٩] أي أن صحائف الأعمال وضعت إما في أيدي أصحابها يمينًا وشمالًا، وإما في الميزان، وهذه الصحائف لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا حوتها، ووجدوا ما عملوا حاضرًا، أي مسطورًا (٢)، والله لا يظلم أحدًا يوم القيامة لأن كل إنسان سوف يلزمه كتابه يوم القيامة، وهذا الكتاب مسطور فيه كل شيء فعله الإنسان من الحسنات والسيئات. يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء :١٣-١٤] والطائر هنا هو ما طار عنه من عمله من خيرٍ أو شرٍّ، وهو يُلزم به، ويُجازي عليه، كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما، والمقصود من الآية الكريمة أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلًا ونهارًا صباحًا ومساءً (٣). وصحف الأعمال التي يعبر عنها القرآن الكريم بالكتاب تسجل كل الأشياء على الإنسان، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق :١٨]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار :١٠-١٢].

وهذه الصحف يأخذها الإنسان بيمينه إن كان من الصالحين ويحاسب على أساسها حسابًا يسيرًا، ويأخذها الطالح بشماله، ويحاسب على أساسها حسابًا عسيرًا، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٧-٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا

---

(١) أبو السعود جـ ٣ ص ٥٣٥ .

(٢) أبو السعود جـ ٣ ص ٣٨٥، ٣٨٦ .

(٣) انظر ابن كثير جـ ٣ ص ٢٧ .

حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦] ، وهذه الصحف سوف تنشر يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير :١٠] ويقرأ كل إنسان صحيفته يوم القيامة، لا فرق بين الذي يعرف القراءة والذي لا يعرف، ومنهم من لم يقرأ صحيفته ذهولًا ودهشة، لاشتمالها على القبائح [١] وهذه الصحف حين تنشر لا يملك أحدٌ أن يقدم عذرًا أو يجادل عن نفسه. روى الإمام أحمد بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يعرَضُ الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال، ومعاذير، وأما الثالثة فعند تطاير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله** [٢] **والمراد أن الناس يدفعون عن أنفسهم، ويقولون لم يبلغنا الأنبياء، ويحاجون الله تعالى، ولكن عند تطاير الصحف يسكتُ الجميعُ، ويأخذ أهل السعادة صحفهم بأيمانهم، وأهل الشقاوة بشمائلهم** [٣].

ثانيًا: صحائف الأعمال في التصور النصراني

الثابت أن النصارى يعتقدون أن الحساب عن كل صغيرة وكبيرة، وعن الأقوال والأفعال ورد في قاموس الكتاب المقدس **«وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح، فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر، لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد، خيرًا كانت أم شرًا** [٤]. **وهذه الأعمال التي يحاسب عليها النصارى - كما يعتقدون - مسجلةٌ في أسفار، لذلك فإن الدينونة عند النصارى ستكون بموجب أسفار** [٥]**، وهذه الأسفار هي التي وردت الإشارة إليها في سفر الرؤيا «ورأيت الأموات صغارًا وكبارًا واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة. ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم»** [٦]. فالنص في رؤيا يوحنا بين أن هناك أسفارًا فيها

---

(١) تحفة المريد ص ٢٢٤ .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٤ ص ٤١٤ .
(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي جـ ٧ ص ١١١، ١١٢ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٢.
(٥) دينونة البشر العامة ص ٥٢.
(٦) رؤيا يوحنا ٢٠: ١٢/١٣ .

الأعمال الخيِّرة والشريرة، يحاسبون على أساسها، ويعتقد النصارى أن «أول أسفار الدينونة الكتاب المقدس كما قال السيد المسيح: الكلام الذي تكلمت به هو يدينك في اليوم الأخير» [١] ويفسرُ صاحب الكنز الجليل نص يوحنا. بأن كلام الإنسان هو الذي يدينه يوم القيامة. ويستدرك المفسر بقوله: «وهذا لا ينفي أن المسيح لا يدينه، إنما يبين أن الدينونة لا تكون على الهوى، بل بمقتضى الكلام الذي تكلم به المسيح سابقًا، وتسليم المحكوم عليه بأنه سمعه فيقابل سيرته به، ويدين نفسه، ويشهد بعدل الله الديّان، وأنزل الكلام هنا بمنزلة شخص يشهد ويقضي، ويكون هو وضمير الخاطئ على وفاق في الحكم على الخاطئ، لرفضه المسيح، فيصمت ولا يفوه بكلمة [٢]. والذي يفهم من كلام المفسر أن كلام الإنجيل سيكون حجة على النصارى يوم القيامة، لأن سيسلم بأنه قد سمعه، ويطابق كلام الإنجيل مع ضمير الخاطئ، في أنه رفض تعاليم المسيح، وهذا حجة عليه، والسفر الثاني هو الضمير [٣]. وردَ في أعمال الرسل «لذلك أنا أيضًا أدرب نفسي، ليكون لي ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس»[٤].

والنص الذي أمامنا يفسره صاحب الكنز الجليل بقوله: «الذي له ضمير بلا عثرة هو الذي لا يفعل شيئًا مخالفًا لحكم الضمير، لأن الضمير السيء سيحاسب الإنسان عليه»[٥] والشيء الأساسي الذي يسجل على الإنسان في اعتقاد النصارى الكلام. ورد في متى «كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا يوم الدين لأنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان» [٦]. يقول مفسر الإنجيل: «إن كلام الناس دليل واضح على صفاته، فذلك كان من جملة ما يحاسب الله عليه يوم الدين، كما أفاد المسيح خلافًا لزعم الأكثرين، بأنه لا حساب على الكلام؛ إذ لا طائل تحته. والكلام الذي يقصده المسيح الغير نافع عمومًا، وليس معنى أن الحساب مقصور على الكلام بدون نظر إلى الأعمال. بل المراد أن الكلام من جملة ما يحاسب عليه الإنسان»[٧].

(١) يوحنا ١٢ - ٤٨، دينونة البشر العامة ص ٥٢ .
(٢) الكنز الجليل جـ ٣ ص ٢١٥، ٢١٦ .
(٣) دينونة البشر العامة ص ٥٢، ٥٣.
(٤) أعمال الرسول ١٦/٢٤ .
(٥) الكنز الجليل جـ ٤ ص ٣١٥ .
(٦) متى: ١٢: ٣٨/٣٧ .
(٧) انظر الكنز الجليل بتصرف جـ ١ ص ١٩٧، ١٩٨ .

ثالثًا: صحائف الأعمال في التصور اليهودي

يعتقد اليهود في الحساب يوم القيامة، وهذا الحساب يتم على أساس ما قدمه الإنسان من خير أو شر، وهذا الحساب سيكون بموجب أسفار، ورد في دانيال في إحدى رؤاه. «**كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار، نار جرى وخرج من قدامه ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه، فجلس الدَّيْن وفتحت الأسفار**» [١]. وورد في المشنة الأولى - أي المتن الذي يكوِّن شرحها التلمود- «**ربى قال: ما هي الطريق القويمة التي يجدر بالإنسان اختيارها؟ هي تلك التي تمجد سالكها، وترفع مقامه بين الناس. احرص على الفرض الخفيف حرصك على الفرض الثقيل، لأنك لا تعلم قيمة أجر الفروض، واحسب خسارة الفرض بجانب أجره وملذة المعصية بجانب قصاصها. تأمل في ثلاثة أمور فلا تصل إلى المعصية: اعلم ما فوقك، عين ترى، وأذن تسمع، وكل أعمالك محصية في سفر** [٢] **وفي شرح هذه المشنة ورد «وكل أعمالك محصية في سفر. قد جسم بعضُهم هذه الفكرة لدرجة أنه قال: إن روح الإنسان تصعد في كل مساء أمام عرش الديان، تكتب بيمينها ما تكون قد اقترفت أو أحسنت في يومها، وتغالى بعضهم فقال: إن كل معصية يرتكبها الإنسان في دنياه توجد شيطانًا، يصعد أمام كرسي الديان، ويهتف دائمًا: أنا خلقت من معصية فلان ابن فلان الذي ارتكبها في اليوم الفلاني**» [٣] ونص المشناة وشرحها بيَّن أن الأعمال التي يفعلها الإنسان تسجل عليه كل يوم في سفر إلى أن تأتي يوم القيامة فتشهد عليه هذه الأعمال. وهناك اعتقاد ورد في التلمود بأن روح الإنسان تصعد في وقت نومه إلى السماء، وتكتب أعمالها اليومية خيرها وشرها، لتحاسب عليها بعد الوفاة [٤]. وسعديا الفيومي في الأمانات والاعتقادات يقول: «**إن لله كتبًا ودواوين، محفوظ فيها أعمال الصالحين والطالحين**» [٥].

---

(١) دانيال ٧: ٩/١١ .
(٢) التلمود أصله وتسلسله ص ٩٠ .
(٣) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠، ٩١ .
(٤) نفسه ص ٩٠ .
(٥) الأمانات والاعتقادات ص ٢١٦ .

وورد في أسفار الأنبياء ما يستنبط منه أن الكلام مسجل على الإنسان، وسيحاسب عليه يوم القيامة. ورد في سفر الأمثال «**الموت والحياة في يد اللسان، وأحباؤه يأكلون ثمره**»[١]. وورد في المزامير «**لأنه ليس كلمة في لساني إلا وأنت يا رب عرفتها كلها**»[٢] وورد في المزامير أيضًا «**اجعل يا رب حارسًا لفمي احفظ باب شفتي**»[٣] وهذه الأقوال يستنبط منها أن الكلام الذي يتحدث به الإنسان يعلمه الله، وهو مسجل عليه، وسيحاسب عليه يوم القيامة.

تعقيب على صحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية:

بعد عرضنا لصحائف الأعمال بين الأديان الثلاثة يمكن أن نخرج بالنتائج التالية:

أولاً: أن الإسلام يتفق مع النصرانية واليهودية في أن أعمال الإنسان وأقواله تسجل عليه، ليحاسب عليها يوم القيامة.

ثانيًا: أن الحساب يوم القيامة سيكون بموجب تلك الصحائف التي سجلت فيها أقوال الإنسان وأعماله، وأن الإنسان سيكون شهيدًا على نفسه بأنه فعل وقال.

ثالثًا: أن هناك جزئيات اختص بها التصور الإسلامي مثل أخذ الإنسان الصالح صحيفته بيمينه وأخذ الطالح صحيفته بشماله.

وهذه الجزئية غير واردة في التصور النصراني واليهودي.

وأيضًا نجد في التصور اليهودي صعود الروح وقت النوم، لتسجل أعمالها وأقوالها اليومية.

وهذه الجزئية غير واردة في التصور الإسلامي، الذي يبين أن كل إنسان موكل به ملكان لتسجيل كل شيء عليه. يقول تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق :١٨].

---

(١) أمثال ١٨ - ٢١ .

(٢) المزامير ١٣٨/٤ .

(٣) المزامير ١٤١/٣ .

وهذه الجزئية أيضًا غير واردة في التصور النصراني.

وبالجملة فإن الأصل الذي تستند إليه صحائف الأعمال موجود في التصور الإسلامي والتصور النصراني، مع الاختلاف في بعض الجزئيات التي وردت عند المسلمين والنصارى واليهود.

* * *

المبحث السابع

الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: الحساب في الإسلام:

الحساب لغة: العد. واصطلاحًا: توقيف الله الناس على أعمالهم، خيرًا كانت أو شرًّا، قولًا كانت أو فعلًا، تفصيلًا بعد أخذهم كتبهم، ويكون للمؤمن والكافر إنسا وجنا، إلا من استثنى منهم[١].

والحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع [٢] عند أهل السنة.

والمعتزلة تثبت الحساب، وتستدل عليه بقول صاحب الأصول الخمسة: «الحساب مما لا يجوز إنكاره فقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق :٧-٩] نجد أن محاسبة الله تعالى إيَّانا لا تجري على حد ما تجري المحاسبة بين الشريكين والمتعاملين»[٣].

القرآن الكريم يعرض الحساب ويركز على عدة حقائق منها:

أولاً: أن الله هو الذي يتولى الحساب. يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة :٢٨٤] ويقول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء :٨٦] ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية :٢٥-٢٦].

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٦ .

(٢) نفسه.

(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٦ .

وهذه الآيات إخبار من الله سبحانه وتعالى بأنه سيحاسب الخلق على أعمالهم ويجازيهم بها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وهذا الحساب سوف يكون سريعًا: يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد :٤١]ويقول الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم :٥١].

والله عز وجل يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسًا واحدة، كما قال جل وعلا ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان :٢٨] وقوله جل جلاله ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر :٥٠][١]، ولا غرابة في سرعة حساب الله للناس يوم القيامة، فكما يرزقهم في وقت واحد يحاسبهم أيضًا في وقت واحد.

ثانيًا: نفي قيام الرسول بمحاسبة الخلق يوم القيامة:

القرآن الكريم بعد أن يثبت أن الله هو الذي يتولى الحساب يوم القيامة يثبت أن الرسول ﷺ لا يحاسب أحدًا من الخلق يوم القيامة. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام :٥٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام :٥٢] كقوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء :١١٣] وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء، بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم، على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فلا يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين، وإن كان لهم باطن غير مرضٍ فحسابهم عليهم، لازم لهم، لا يتعداهم إليك، كما أن حسابك عليهم، لا يتعداك إليهم، كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ [الإسراء : ١٥][٢].

---

(١) انظر ابن كثير جـ ٤ ص ٧٥ .

(٢) انظر الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٢٢ .

ويقول الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد :٤٠] ومعنى الآية أن الله أرسل رسوله، ليبلغ للناس رسالة الله، وقد فعل ما أمره، أما الحساب والجزاء فعلى الله، إذ إنه المحاسب والمجازي، لا أحد سواه [١].

ثالثًا: كيفية الحساب:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق :٧-١٢].

وهذه الآية سألت عنها أمُّ المؤمنين عائشةُ رسولَ الله ﷺ فقد روى البخاري ومسلم - واللفظ لمسلم - عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من نُوقِشَ الحسابَ يوم القيامة عُذِّبَ»** فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٨] ؟ فقال: **«ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، ومن نوقش الحساب يوم القيامة عذب»**.

وروى الترمذي عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من نوقش الحساب هلك»** قالت: قلت: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٧-٨] قال: **«ذاك العرض»** [٢].

والسيدة عائشة - كما وضح في حديث مسلم والترمذي - قد ظنت أن هناك تعارضًا بين قول الرسول وبين الآية، ولكن لا تعارض، حيث إن الحساب في الآية معناه العرض، أي عرض أعمال المؤمن عليه يوم القيامة، ثم عفو الله عنه وإدخاله الجنة.

أما مناقشة الحساب التي ذكرها رسول الله ﷺ وبيَّن أن العذاب مرتبط بها فللعلماء وجوه فيها:

---

(١) ابن كثير جـ ٢ ص ٥٢٠ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١١٢ .

الوجه الأول:

أن نفس مناقشة الحساب، وعرض الذنوب، والتوقيف على قبيح ما سلف والتوبيخ – تعذيب.

الوجه الثاني:

أن الإنسان يفضى إلى العذاب، إذ لا حسنة للعبد إلا من عند الله؛ لإقداره عليها، وتفضله عليه بها وهدايته لفعلها، ولأن الخالص لوجه الله قليل [١]. وهذا الوجه الأخير مال إليه النووي في شرحه لهذا الحديث، إذ يقول «**إن التقصير غالب في العباد فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك، ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء**» [٢].

أهم العناصر التي يدور حولها الحساب يوم القيامة للمؤمنين والكافرين:

أولاً: المؤمنون:

إن العناصر التي يدور حولها الحساب يوم القيامة هي الأقوال والأفعال. أما حديث النفس، والهم على السيئات، فإن الله لا يؤاخذ الإنسان عليها، وإن كان يثيب على الهم بالحسنة، ويجازي عليها. يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة :٢٨٤].

وهذه الآية حين نزلت شق ذلك على الصحابة، إذ إنها تفيد أن الله يوم القيامة يحاسب الإنسان على ما أبداه وفعله وما أخفاه ولم يفعله. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٣٨، ٣٣٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٧، ١٨ ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة :٢٨٤] قال: اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الرُّكَبِ فقالوا: أيْ رسول الله، كُلفْنَا من العمل ما نطيق الصلاة، والصيام، والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم، سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:** ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة :٢٨٥] » فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى. فأنزل الله عز وجل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة :٢٨٦] قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة :٢٨٦] قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة :٢٨٦] قال: نعم ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة :٢٨٦] قال: نعم [١].

ومعنى هذا أن الحديث يفيد أن الله عز وجل قد نسخ الآية الأولى - التي تفيد محاسبة الإنسان على ما فعله وما همَّ به - بالآية الثانية ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ ومن العلماء من ذهب إلى أن الآية ليست منسوخة، وإنما هي محكمة، واختار ابن جرير ذلك، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المُعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب، ويعاقب، وقد يحاسب ويغفر، بحديث النجوى، وعلى هذا تكون الآية الأولى عامة، والآية التي بعدها خاصة وسواء أكانت الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية أم الآية الأولى عامة، والثانية خاصة، فإن الله عز وجل لا يحاسب الإنسان على ما هم به ولم يفعله، ويكون الحساب على ما كسب الإنسان.

وقد وردت الأحاديث التي تفيد ذلك، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم يتكلموا أو يعملوا**».

---

(١) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٦٥ .

وروى البخاري ومسلم - واللفظ له - عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ، فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بَيَّنَ ذلك، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**».

وهذه الأحاديث تبين تخفيف الله على عباده ورحمته بهم يوم القيامة، وأنه لا يحاسبهم إلا على ما اقترفوه من السيئات، أما الهم بالأعمال السيئة وعدم اقترافها فإن الله عز وجل يكتبها لهم بحسنة، وإنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة؛ لأن إرادة الخير سبب إلى العمل، وإرادة الخير خير. ولا يجوز أن يقال: ما دامت إرادة الخير خيرًا فلماذا لا تضاعف الحسنة التي يأخذها الإنسان على إرادة الخير، مع أن الله تعالى يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ويحاسبُ على ذلك؟ فإن الآية تعني عمل الجوارح؛ فالحسنة التي يأتيها الإنسان بجوارحه هي التي تضاعف، وأما الحسنة التي لا تضاعف والتي أخبر عنها الحديث فهي مأخوذة على النية للفعل الحسن، أو الترك للفعل السيء، واستشكل بأن عمل القلب إذا اعتبر في حصول الحسنة فكيف لم يعتبر في حصول السيئة؟ وأجيب بأن يترك عمل السيئة التي وقع الهم بها يكفرها لأنه قد نسخ قصده السيئة وخالف هواه.

وقد ورد في حديث النجوى أن الله عز وجل يعرض على المؤمن سيئاته، ويذكره بها، ثم يعفو عنها.

روى البخاري بسنده عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذا بيده؛ إذ عرض رجلٌ، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ فقال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي ربِّ. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك. قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها**

لك اليوم. فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨][١] ». وهذا من فضل الله العظيم على هذه الأمة؛ لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحدٌ الجنة؛ لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم للحسنات [٢].

ثانيًا: الكافرون:

يسأل الله عز وجل الكافر يوم القيامة محاسبًا إياه، فيتنصل الكافر من كفره ومن ذنوبه. يقول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢٢-٢٤] ويقول تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس:٦٥] وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور:٢٤].

وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**سيجاء بالكافرِ يومَ القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا، أكنتَ تفتدي به؟ فيقول نعم. فيقال له: قد سئلتَ ما هو أيسرُ من ذلك**» [٣] والذي طلبه الله من الكافر هو أن يوحده ولا يشرك به شيئًا يقول ابن حجر: «**فمراد الحديث: أردت منك حين أخذتُ الميثاق، فأبيتَ - إذ أخرجتك إلى الدنيا - إلا الشرك. ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلب، والمعنى أمرتك فلم تفعل، لأنه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد**» [٤].

وروى الترمذي بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**سيجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَجٌ فيوقف بين يدَي الله تعالى فيقول الله: أعطيتك وخولتك وأنعمتُ عليك، فماذا**

---

(١) صحيح البخاري جـ ١ ص ٦٦.
(٢) انظر فتح الباري جـ ٨ ص ٢٧٢، ٢٧٦.
(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٣٩، ٣٤٠.
(٤) نفسه ص ٣٤٠.

صنعت؟ فيقولُ جمعتُه وثمرته وتركته أكثرَ ما كان، فارجعني آتك به كله. فيقول له: أرني ما قدمتَ فيقولُ: رب، جمعتُه فتركتُه أكثرَ ما كان، فارجعني آتك به كله. فإذا عبد لم يقدم خيرًا، فيُمضي به إلى النار»[١]. والبذج بفتح الباء هو ولد الضأن، وتشبيه ابن آدم بهذا كناية عن صغره وذلته وحقارته بين يدي رب العزة، وقول ابن آدم: «فارجعني آتك به كله» موافق لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠] وبعد أن يسأله الله عز وجل يجده عبدًا لم يقدم خيرًا فيمضى به إلى النار[٢].

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يومَ القيامة، فيقول له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتُك ترأسُ وتربَعُ، فكنتَ تظن أنك ملاقٍ يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني»[٣]. وهذا الحديث لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١].

ومعنى «وتركتك ترأس وتربع» أي ترأس قومَك وتكون رئيسًا عليهم، وتربَعُ أي تأخذ رُبَعَ الغنيمة، وكانت العادة أن الأمراء يأخذون من الغنائم الربع، ويسمونه المرباع، وكان ذلك في الجاهلية[٤].

من يدخلون الجنة بغير حساب:

لقد ذكر الله تعالى الحساب في القرآن الكريم على نحو ما ذكرنا، وجاءت الأحاديثُ بذلك، وجاء في كتبِ السنةِ أحاديثُ تفيدُ أن كثيرًا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، وعلى هذا فالناس يوم والقيامة ثلاث فرق، فرقة

---

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١١٣ أ١١٤ .

(٢) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي جـ ٧ ص ١١٤، ١١٥ .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ١١٥ .

(٤) انظر تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١١٥، والتذكرة جـ ١ ص ٣٤٢، ٣٤٣ .

تحاسب حسابًا يسيرًا، وفرقة لا تحاسب أصلًا، وفرقة تحاسب حسابًا عسيرًا، منهم المؤمن والكافر [١] وقد تحدثنا عن حساب المؤمنين والكافرين، ونتحدث هنا عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

روى البخاري بسنده عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: **«عُرِضَتْ عليَّ الأمم فأجِدُ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده. فنظرت فإذا سوادٌ كثير. قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي! قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»**. فقام إليه عُكَاشة بن مِحْصَن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **«اللهم اجعله منهم»**. ثم قام رجل آخر، قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **«سبقك بها عُكَاشَة»** [٢].

وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: **«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا، أو سبعمائة ألف - شك في أحدهما - متماسكين، آخذ بعضهم ببعض، حتى يدخلَ أولهم وآخرهم الجنة، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر»** [٣].

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا زمرة واحدة منهم على صورة القمر»** [٤]. وهذه الأحاديث تدل على دخول طائفة من أمة محمد ﷺ الجنةَ بغير حساب، وتدل أيضًا على أن هناك وراء التقسيم المذكور في سورة الانشقاق أصنافًا أخرى من أمة محمد ﷺ تدخل الجنة بغير حساب، ولا يحاسبون أصلًا، والعدد المذكور في تلك الأحاديث مختلفٌ حولَه، هل هو على ظاهره، أو أريد به مجرد التكثير؟.

---

(١) انظر التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٣٤٣ .
(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٢، ٣٧٤ .
(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٨، ٣٤٩ .
(٤) رواه مسلم جـ ١ ص ١١١ .

فذهب بعض العلماء إلى أن المقصود العدد على ظاهره. وحجتهم في ذلك أن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، قد ورد بهم الخبر من أكثر من طريق وذهب آخرون إلى أن العدد في الأحاديث مراد به التكثير، لأن هناك أحاديث أخرى تدل على الزيادة على العدد المذكور، منها ما رواه الترمذي بسنده عن أبي أُمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألفٍ سبعون ألفا، وثلاث حثيات من حثيات ربي**»[1].

يقول ابن حجر في التوفيق بين الرأيين: «**إن أول من يدخل الجنة هؤلاء السبعون الذين بالصفة المذكورة، ومعنى المعية في قوله في الروايات الماضية مع كل ألف سبعون ألفا أو مع كل واحد منهم سبعون ألفا يحتمل أن يدخلوا بدخولهم، تبعًا لهم، وإن لم يكن لهم مثل أعمالهم، ويحتمل أن يراد بالمعية مجرد دخولهم الجنة بغير حساب، وإن دخلوها في الزمرة الثانية أو ما بعدها، وهذا أولى**» [2] ولا شك أن السبعينَ ألفا - إذا استثنينا الأنبياء - أفضل من غيرهم، من الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، وحوسبوا حسابًا يسيرًا، ولعلهم من السابقين الأولين على الأقل[3].

والأحاديث التي وردت في دخول طائفة من أمة محمد ﷺ الجنة بغير حساب تخص عموم الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي برزة «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن عمله فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه**». فهذا الحديث عام وهو مخصوص بمن يدخل الجنة بغير حساب.

يقول ابن حجر: «**في سياق حديث أبي برزة إشارة إلى الخصوص، وذلك أنه ليس كل أحد عنده علم يسأل عنه، وكذا المال فهو مخصوص بمن له علم وبمن له مال؛ دون من لا**

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١٢٩، وانظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٦ .

(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٨ .

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٦٠١ - الدكتور موسى لاشين - الطبعة الثانية - دار التراث العربي.

مال له ومن لا علم له، وأما السؤال عن الجسد، والعمر فعام ويخص من المسئولين من ذكر - أي من يدخل الجنة بغير حساب، ومن يدخل النار بغير حساب -» [١].

ثانيا: الحساب عند النصارى

يعتقد النصارى في الحساب والجزاء لكل البشر ويطلقون على موقف البشر للحساب والجزاء الدينونة. ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة دان - دين - دينونة ما نصه: **«تطلق هذه الكلمات على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم»**[٢]. وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد خيرًا كانت أم شرًا[٣] وهذه الدينونة عامة وشاملة [٤] وحكم هذه الدينونة نهائي ولا يقبل النقض ولا الاستئناف وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها. ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي» [٥].

تولى المسيح الحساب:

يعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب والجزاء. ورد في علم اللاهوت النظامي **«أن المسيح هو الديان كما قال الآب. لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن** [٦]، **وقال بطرس: «المسيح هو المعيَّنُ من الله ديانًا للأحياء والأموات»**[٧]، وقال بولس: **«إن الله قد أقام يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، برجل قد عينَه**

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٩ بتصرف.

(٢) متى: ١: ١٥، متى: ٢٦/١٢، أعمال الرسل: ٣١/١٧، وعبرانيين ٢٧/٩، رسالة بطرس الثانية ٩/٢، ٣.

(٣) متى: ٢٥: ٣٢/٣١، ٦٤/٢٦، يوحنا: ٢٢/٥، أعمال الرسل ٣١/١٧، وجد: ١٦/٢، كورنثوس الثانية ١٠/٥.

(٤) يوحنا ٥: ٢٩/٢٨، رومية ٤: ٢٢/١٠، وكورنثوس الثانية ٥: ١٠، رومية ١٣/١٢/٢٠ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٢.

(٦) يوحنا ٥٠/ ٢٢ / ٢٣ إلى ٢٧.

(٧) أعمال الرسل ٣٤/١٠ - ٤٤ .

مقدمًا للجميع إيمانًا، إذ أقامه من الأموات» [١] والنص يشير إلى أن الله قد عيَّن يومًا للحساب، قد عيَّن الله له رجلًا ليدين المسكونة أي الأرض كلها بالعدل. ونلاحظ أن علم اللاهوت يطلق على مهمة الديَّان بأنه رجل. وسنلاحظ أن هنا تناقضًا صريحًا في كون المسيح ديانًا. ورد في إنجيل يوحنا **«لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، وكذلك الابن أيضًا يحيي من يشاء، لأن الآب لا يدينُ أحدًا، بل قد أعطي كل الدينونة للابن»** [٢] وردَ في نفس الإنجيل **«لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا لأنه ابن الإنسان** [٣]. هذان النصان اللذان يثبتان أن المسيح هو الذي يتولى الحساب يتناقضان مع نص ثالث في إنجيل يوحنا **«أما أنا فلست أدين أحدًا، وإن كنت أدين فدينونتي حق، لأني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني»** [٤]. وكما نرى فإن النص الأول ينفي عن الآب الدينونة لأحد، ولكن المسيحَ وحده هو الذي يدين؛ لأن الآب أعطى كل الدينونة للابن والنص الثاني يقرر ما ذكره النص الأول.

أما النص الثالث فينفي في بدايته الدينونة عن المسيح، ثم بعد ذلك يثبتها له، ولكنه يدينُ مع الآب الذي أرسله. وهذا تناقض واضحٌ وصريحٌ بيْنَ نصين في إنجيل واحدٍ، ويحاول القديس تُوما اللاهوتي أن يحل التعارض بين نسبة الدينونة للمسيح ونفيها عنه تارة أخرى، فيقول **«إن وظيفة الدينونة وإن نسبت للثالوث الأقدس إلا أنها تنسب للابن بوجه أخص، وذلك لأن الدينونة لكي يكون قضاؤها عادلا لا بد لها من ثلاثة أمور: أولها السلطان، ثانيها الاستقامة، ثالثها الحكمة، وعن الحكمة على وجه الخصوص يصدر فعل الحكم، ولأن الابن هو حكمة الآب فمن ثم ينسب للابن سلطان الحكم نسبة خصوصية»** [٥] والنص يثبت أن المسيح لكونه استجمع خصالًا ليست

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص ١٢٠٥ .

(٢) يوحنا ٥: ٢٣/٢١ .

(٣) يوحنا ٢٥: ٢٨/٢٧ .

(٤) يوحنا ١٨: ١٦/١٥ .

(٥) نقلًا عن علم اللاهوت لميخائيل مينا ص ١٤٦ - ٤٧ .

عند غيره وخاصة الحكم فهو الذي يدين الناس يوم القيامة. ومعنى هذا النص أن المسيح عنده من الحكمة أكثر من الآب. ولذلك أخذ سلطان الحكم. وسيكون أكثر عطفا ورحمة من الله على الخلق يوم القيامة. هكذا يقول النصارى **«إن اتحاد الأقنوم الثاني تبارك اسمه بطبيعة الإنسان مع كونه ابن الله الأزلي يؤهله لأن يكون ديانا للبشر، كما أن اختبار ضعفاتهم مما يملأ قلوبهم ثقة واطمئنانًا بأن دينونتهم سوف تكون في أقصى حدود العطف والرحمة»** (١) وهذا يتناقض مع ما ورد في نص إنجيل يوحنا، والذي فيه أن المسيح يقول: **«لست أدين أحدًا»**، ويقول: **«إن كنت أدين مع أبي»**، ويتناقض مع ما ورد في رسالة بولس إلى رومية **«في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس»** (٢).

الحساب لكل البشر:

يعتقد النصارى أن الحساب لكل البشر ورد في علم اللاهوت النظامي **«أما الذين يقومون في الدين فهم كل أفراد الجنس البشري بلا استثناء، وليس كما زعم بعض المبتدعين في أوائل الديانة المسيحية أن الصالحين وحدهم هم الذين يقومون في يوم الدين لينالوا جزاء طوبانية أجسادهم»** ويفيد زعم من قال إن ذلك ما ورد من أن الحساب سيكون بصورة عامة وليست خاصة، بل تشمل الجميع شرارًا كانوا أم أخيارًا، هؤلاء للحياة الدائمة سعادتها، وأولئك للدينونة المؤدية تعاستها».

أما قول صاحب المزمور: **«إن الأشرار لا يقومون في الدين»** فمعناه أنهم لا يقومون قيامة الحياة، لكونهم لم يماثلوا الصديقين بالإحادة عن الشر واصطناع الخير الناتج من قبلهما هذه السعادة، فهم يقومون للمحاكمة والدينونة، لا للتبرئة والمكافأة».

* * *

(١) نفسه ص ١٤٦ .
(٢) رسالة بولس إلى رومية ٢-١٦ .

أقسام البشر عند الحساب:

يعتقد النصارى أن البشر طبقات يوم الحساب. يقول القديس غريقريوس الكبير: «إن البشر في القيامة على أربعة أقسام – وتدعى هذه الأقسام: طبقات القائمين في ذلك اليوم من الأبرار والأشرار – فالطبقة الأولى: طبقة الذين يدينون ولا يدانون – والطبقة الثانية: طبقة الذين يدانون ويخلصون. والطبقة الثالثة: الذين يدانون ويهلكون. والطبقة الرابعة: طبقة الذين لا يدانون ويهلكون» ويشرح ميخائيل مينا حقيقة كل طبقة، فالطبقة الأولى هم كبار القديسين كالرسل وهم الذين يختص بهم قول المسيح «متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا وتدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر». والطبقة الثانية يبين حقيقتهم ميخائيل مينا بقوله: «هم الذين غسلوا ثيابهم التي تدنست بالخطايا بدم حمل الله الذي بلا عيب، ورخصوها بدموع التوبة الحارة، فأصلحوا فساد أعمالهم بأفعالهم الصحيحة ولا سيما أعمال الرحمة فظفروا برحمة الديّان» «وأصحاب الطبقة الثالثة هم المؤمنون الخطاة. الذين دنسوا قداسة إيمانهم برجاسة أفعالهم أولئك الذين يقرون بأنهم يعرفون الله، وهم بمقتضى أعمالهم به كافرون. وأصحاب الطبقة الرابعة فهم الذين لم يؤمنوا، كالوثنيين، فهؤلاء لا يحتاجون إلى دينونة وحساب، يظهر به حق هلاكهم، موسومٌ في جباههم، بسبب عدم الإيمان وقبولهم ناموس الرب» (١).

ونلاحظ أن هناك شبه اتفاق بين هذه الطبقات يوم الحساب في التصور الإسلامي والتصور النصراني، إذا استثنينا الطبقة الأولى، الذين يعتقد النصارى أنهم يُحَاسِبُونَ ولا يُحَاسَبُون، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية ينفيان عن أي أحدٍ القيام بمحاسبة الخلق يوم القيامة؛ لأن حساب الناس يوم القيامة يختص بالله وحده، الذي خلقهم ورزقهم وأماتهم وأحياهم، ثم يحاسبهم ويجازيهم. أما الطبقة الثانية عند النصارى وهم الذين يدانون ويخلصون فهم كمن يحاسب

(١) متى ص ١٤٩/ ١٥٠ .

حسابًا يسيرًا. والطبقة الثالثة، وهم الذين يحاسبون ويهلكون، فهم كمن يحاسب حسابًا عسيرًا، ويدخلون النار من المؤمنين والكفار. وأما الطبقة الرابعة، وهم الذين لا يدانون ويهلكون، وهم الكفار، فهم كالذين قال الله عنهم في القرآن الكريم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمٰن :٤١].

وإن القول بأن المسيح هو الديَّان قال به **«البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينة، بمحضر من ملكهم، وكانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً»** (١) وجاء في اتفاقهم أن المسيح **«وُلدَ من مريم البتول، وصُلِبَ أيام بيلاطس، ودُفنَ ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعدّ للمجيء تارة أخرى؛ للقضاء بين الأموات والأحياء»** (٢). ومن عجيب الأمر أن القس إبراهيم لوقا يستدل على أن المسيحَ هو الديَّان يوم القيامة بما رواه الإمام البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد»** (٣).

يقول القس: روى البخاري قال: **«لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا»** ويعلق القس على الحديث بقوله: فهذا الحديث ناطق بأن المسيح سيأتي ديَّانًا عادلًا، وهذا ما يعلنه الوحي الإلهي في الإنجيل المقدس. قال المسيح **«لأن الآب لا يدينُ، بل أعطى كل الدينونة للابن»** (٤) وفي ختام سفر الرؤيا **«وهـا أنا آتي سريعًا وأجرتي معي، لأجازي كل واحدٍ كما يكونُ عمله»** (٥).

ويستنتج من حديث البخاري أن **«الإسلام كما يُرى في الحديث السابق قد تكلم عن**

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٥٢ بهامش الفصل.
(٢) نفسه وانظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ١٦٨ .
(٣) رواه الإمام البخاري جـ ٤ ص ٢٧، ومسلم جـ ١ ص ١٣٥ .
(٤) يوحنا: ٥ - ٢٢ .
(٥) رؤيا يوحنا: ٢٢ / ١٢ .

المسيح كديانٍ عادل رهيب، فصادق بذلك على صحة المعتقد المسيحي فيه، ووافق قول الإنجيل الطاهر» (١) ويستنتج القس من حديث البخاري الدلالة على لاهوت المسيح، فيقول «فالإسلام قد نسب للمسيح هذا الحق. فما هو إلا شهادة منه على صدق العقيدة المسيحية عن لاهوت المسيح» (٢). ومع وضوح بطلان هذا الاستنتاج وكون الحديث هادمًا لعقيدة النصارى أصلًا؛ فإننا سوف نناقش القس فيما ذهب إليه عند التعقيب على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية مناقشة مفصَّلَة.

ثالثًا: الحساب عند اليهود

ورد في سفر الجامعة: «افرح أيها الشاب في حداثتك، وليسرك قلبك في أيام شبابك واسلك في طريق قلبك وبمرأى عينيك، واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة، فانزع الغم من قلبك، وابعد الشر عن لحمك، لأن الحداثة والشباب باطلان» (٣). وورد فيها: «فلتسمع ختام الأمر كله، اتق الله، واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله؛ لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي وإن كان خيرًا أو شرًا» (٤). وعلماء اليهود يقررون أن الله هو الديَّان والمحاسب يوم القيامة. ورد في التلمود ما نصه «إن كل معصية يرتكبها الإنسان في دنياه توجد شيطانًا يصعدُ أمام كرسي الديَّان ويهتف دائمًا: أنا خلقت من معصية فلان ابن فلان، ارتكبها في اليوم الفلاني» (٥).

وكما سبق عند الحديث عن البعث عند اليهود، فهناك نص في سفر التثنية من التوراة العبرية يشير إلى أن الله هو المجازي، ولكنه مختلف حوله، هل الجزاء في الدنيا أم في الآخرة، ولقد رجحنا ما رأيناه هناك (٦).

ولكن التوراة السامرية فيها نص صريحٌ على أن الله هو الذي يتولى الحساب

---

(١) المسيحية في الإسلام - القس إبراهيم لوقا ص ١٤٧ - الطبعة الثانية دار النشر القبطية.
(٢) نفسه ص ١٤٧ .
(٣) سفر الجامعة ١١: ٩/١٠ . (٤) سفر الجامعة ١٢: ١٣/١٤ .
(٥) التلمود أصله وتسلسله وآدابه.
(٦) انظر ص ١٤٢، وما بعدها من هذا البحث.

والجزاء وهذا النص هو: «**أليس هو مجموعًا عندي في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل أقدامهم، إذ قريب يوم تعنتهم، وتسرع المستعدات إليهم، إذ يدين الله وعن عبده يصفح**» (١).

ويعلق اليهود على النص السابق بقولهم: إن قوله: «**إلى يوم الانتقام والمكافأة**» يدل بوضوح وصراحة على قيامة الناس من القبور للقاء الله، فيجزيهم على أعمالهم في الحياة الآخرة» (٢).

وأسجل العذر عن عدم عثوري على نصوص كافية عن تفصيلات الآخرة بوجه عام – ومن ضمنها الحساب – في المصادر اليهودية المتاحة.

تعقيب على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية:

بعد استعراض النصوص الدالة على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية تبين أن:

أولاً: يقرر القرآن الكريم أن الله هو الذي يتولى الحساب والجزاء يوم القيامة وأن الله سريع الحساب، كما يرزق الخلق جميعًا في وقت واحد يحاسبهم في وقت واحد، وأن حساب الله للإنسان يتم على أساس ما هو مسطور في كتاب الإنسان من قول أو فعل أما ما يهم به الإنسان من السوء فإن الله لا يحاسبه عليه، بل يثيبه إذا لم يترجم هذا الهم السيء إلى فعل.

ثانيًا: ينفي القرآن الكريم عن الرسول ﷺ حسابه لأحد من الناس يوم القيامة، إذ لا سلطان على الخلق إلى الله.

ثالثًا: أن القرآن الكريم أشار إلى بعض أصناف الناس حين الحساب، فمن الناس من يحاسب حسابًا يسيرًا، ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرًا، وبقية الأصناف تحدثت عنها السنة النبوية، فبينت أن هناك أناسًا يدخلون الجنة

(١) سفر التثنية من التوراة السامرية ٣٤/٣٦ .
(٢) التوراة السامرية ص ٣٩٢/٣٩٣ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا.

بغير حساب، وأن أعمالهم في الدنيا هي التي جعلتهم يستحقون فضل الله، ويتميزون عن بقية الخلق بدخول الجنة بغير حساب.

رابعًا: أثناء عرضنا للحساب عند النصارى تبين لنا أن تصورهم للحساب يوم القيامة يتفق مع التصور الإسلامي في بعض النقاط، ويختلف في البعض الآخر، فيتفق التصور النصراني مع التصور الإسلامي في أن جميع البشر سيقفون أمام الله ساعة الحساب، ويتفقان أيضًا في الذين يُحاسَبُونَ ويَنْجُونَ، وفي الذين يُحَاسَبُونَ فَيَهْلَكُونَ، وفي الذين يدخلون النار بغير حساب.

ولكن التصور الإسلامي يختلف تمامًا مع التصور النصراني فيمن يحاسبون الخلق يوم القيامة، فبينما ينفي القرآن الكريم الحساب عن أي مخلوق مع الله يوم القيامة - يعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب لحكمته ولعطفه ورحمته. ولا يكتفون بذلك بل يجعلون تلاميذ المسيح الاثنى عشر يجلسون معه ليدينوا أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر. وما ذهب إليه النصارى يتعارض مع نصوصهم، كما رأينا في نصوص إنجيل يوحنا التي تثبت الحساب تارة للمسيح وحده، وتارة تنفي على لسان المسيح كونه ديَّانًا، ومرة ثالثة تثبت أنه يدين مع الآب. ومرة رابعة تثبت أنه يدين مع التلاميذ، ومرة خامسة يثبت بولس أن الله هو الذي يدين فقط[1] وهذا الاضطراب مرجعه في نظري يرجع إلى أمرين: الأول: التحريف الذي لحق بالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام. الثاني: اعتقاد النصارى في ألوهية المسيح وبنوته لله مع ما في ذلك من الاضطراب.

خامسًا: خطأ ما ذهب إليه القس إبراهيم لوقا، من استشهاده بالسنة على كون المسيح هو الذي سيحاسب الناس في الآخرة، والحديث الذي استدل به القس حجة على النصارى لا لهم، ونص الحديث الذي حرفه القس هو **«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب،**

---

(١) انظر ص ١٨٨ : ١٩٠ .

ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» (١).

والقس المذكور قد استدل بفقرة واحدة من الحديث، واستنبط منها أن المسيح هو الذي سيدين الناس يوم القيامة، مع أن ذلك الحكم الذي سيعطيه الله للمسيح سيكون في الدنيا لا الآخرة. ونحن نعتقد أن المسيح سينزل في آخر الزمان ليدين الخارجين عن الإسلام، ويحكم بشريعة محمد ﷺ، ويقضي على كل مظاهر الوثنية التي من بينها تقديس الصليب الذي يعظمه النصارى. والحديث صريحٌ في كسر ذلك الصليب الذي يقول عنه القس المذكور **«إن المسيحية منذ نشأتها كانت ولا تزال كقائد المئة لا ترى في الصليب ما يدعو إلى الخجل، بل على العكس كانت ترى فيه موضع الافتخار، ولذلك اتخذته شعارًا وعلامة لها»** (٢).

ولو أن القس المذكور عرض حديث البخاري وناقش ما فيه، لكان له عذر. أما أن يجد الحديث صريحًا في هدم أهم معتقدات النصارى، ثم يحرف الكلم عن مواضعه - ليستدل على أن الحديث فيه دلالة على اعتقاد النصارى في أنه هو الذي يحاسب الناس ويجازيهم في الآخرة -، فهذه مخالفة لأبسط قواعد البحث العلمي والأمانة العلمية.

سادسًا: إن الإشارات التي ذكرت في العهد القديم يستدل منها على أن الله هو الذي يتولى الحساب والجزاء، وهذا ما يتفق مع التصور الإسلامي، ولكن الإشارات التي وردت عن الحساب في العهد القديم عابرة، ولا تعطي صورة تفصيلية عن الحساب وطبقات الناس، كما في الإسلام أو في النصرانية.

* * *

(١) صحيح البخاري جـ ٢ ص ٢٧، ومسلم جـ ١ ص ١٣٥ .
(٢) المسيحية في الإسلام ص ٢١٧ .

المبحث الثامن

الصراط في التصور الإسلامي

الصراط لغة: الطريق الواضح، مأخوذ من صرطه يصرطه إذ ابتلعه، لأنه يبتلع المارة [١].

وفي الشرع: «جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون» [٢].

والصراط ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

أولا: القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس :٦٦].

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم :٧١] روى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: **«الورود المرور على الصراط»** رواه السدي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ [٣]. وعن أبي الأحوص عن عبد الله قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم :٧١] قال: **«الصراط على جهنم مثل حد السيف»** [٤].

ويقول صاحب المقاصد **«ويشبه أن يكون المرور عليه»** أي الصراط **«هو المراد بورود كل أحد النار في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم :٧١] »** [٥].

* * *

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٦ .
(٢) نفسه.
(٣) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ١٠٤ .
(٤) ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٢، وأبو السعود جـ ٣ ص ٤٣٨ .
(٥) وانظر المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

ثانيًا: السنة النبوية:

روى الإمام «البخاري» بسنده عن «أبي هريرة» حديثًا جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال: **«فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحدٌ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان. هل رأيتم شوك السعدان؟»** قالوا: نعم. قال: **«فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو»** [1].

وهذا الحديث يبين أن **«عصاة المؤمنين يسقطون في النار، ولا خلاف بين العلماء في سقوط من لم تشملهم رحمة الله من مرتكبي الكبائر. اللهم إلا ما قيل عن غلاة المرجئة، من أنه لا يضر مع الإيمان شيء، وأنه لا يدخل النار أحد من الموحدين. وهو قول واضح البطلان»** [2].

روى «الشيخان» بسندهما عن أبي «سعيد الخدري» حديثًا طويلًا جاء فيه: **«ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم»** قلنا: يا رسول الله. وما الجسر؟ قال: **«مدحضة مَزِلَّةٌ عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا. فيقول الله تعالى: «اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه. . .»** الحديث [3].

(١) صحيح البخاري جـ ١ ص ١٤٦ .

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٣) صحيح البخاري جـ ٤ ص٢٨٥ - ٢٨٦، وانظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٦٧ - ١٦٨ واللفظ للبخاري.

ثالثًا: الإجماع:

والصراط أجمعت عليه الأمة. يقول صاحب الجوهرة: «**اتفقت الكلمة عليه في الجملة، أي بقطع النظر على إبقائه على ظاهره كما هو مذهب أهل السنة**» [(١)].

رأي المعتزلة في الصراط:

يتهم صاحب المقاصد المعتزلة بوجه عام والقاضي «عبد الجبار» بوجه خاص أنه ينكر الصراط. يقول «السعد». «**وأنكره القاضي عبد الجبار وكثير من المعتزلة، زعمًا منهم أنه لا يمكن الخطو عليه، ولو أمكن ففيه تعذيب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة**»[(٢)].

والحق أن ما ذهب إليه صاحب المقاصد فيه تجاوز للحقيقة، لأن القاضي عبد الجبار يثبت الصراط، ويعترض على ما ذهب إليه بعض مشايخ المعتزلة من أنه عبارة عن الأدلة الدالة على الطاعات. يقول القاضي عبد الجبار: «**من جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده الصراط، وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه. وقد دل عليه القرآن الكريم قال الله تعالى:**

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧][(٣)] ويعرض القاضي عبد الجبار رأي بعض مشايخ المعتزلة في الصراط ولا يقرهم عليه. يقول: «**وقد حكى الكتاب عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ارتكبها هلك واستحق من الله تعالى النار. وذلك مما لا وجه له، لأن فيه حملاً لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره، وقد كررنا القول في أن كلام الله تعالى**

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٧، وانظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٧٣٧، ٧٣٨، وانظر المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤، وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٢) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٣) وانظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٧.

مهما أمكن حمله على حقيقته فذلك هو الواجب دون أن يصرف عنه إلى المجاز» [١].

هذا هو رأي القاضي عبد الجبار في الصراط. رأينا كيف أنه يثبته ويأخذ على بعض مشايخ المعتزلة تأويله. وهذا ما دعانا إلى أن نقول إن صاحب المقاصد كان متجاوزًا للحقيقة حينما زعم أن القاضي عبد الجبار ينكر الصراط.

* * *

(١) انظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٨ .

المبحث التاسع

الميزان في التصور الإسلامي

من مشاهد يوم القيامة الميزان، ويكون بعد الحساب يقول القرطبي في التذكرة: «**قال العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فيكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، لكون الجزاء بحسبها. قال الله تعالى:** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء :٤٧] »[١].

والميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف :٨-٩].

وقول الرسول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»[٢] يقول السعد: «**ذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان، عملا بالحقيقة لإمكانها، وقد ورد في الحديث تفسيره بذلك**»[٣].

ويقول ابن تيمية حين سئل عن الميزان: «**الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى:** ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف :٨] وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء :٤٧] وفي

---

(١) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٣٧٣ .
(٢) رواه الإمام مسلم جـ ١ص ٢ - ٣ .
(٣) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان»**(١). والميزان كما يقول الإمام الغزالي **«حق، وقد دلت عليه قواطع السمع، وهو ممكن فوجب التصديق به»** (٢).

والقاضي عبد الجبار من المعتزلة يثبت الميزان، ويرد على ما يذهب إلى المقصود بالميزان العدل. يقول: **«أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى به في محكم كتابه، قال الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]** ويقول: لم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول من المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره، على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز» (٣)، ويرد بذلك القاضي عبد الجبار على بعض علماء المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها، فكيف إذا زالت وتلاشت، بل المراد به العدل الثابت في كل شيء (٤). وإذا كان الأمر على ما ذهب إليه هؤلاء المعتزلة من أن الميزان المقصود به العدل؛ لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى فدلّ على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا (٥). يقول ابن حزم: **«نقطع على أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد»** (٦).

وقد وردت آيات في القرآن الكريم بصيغة الجمع للميزان يوم القيامة وآيات أخرى بالإفراد، ولا تعارض في ذلك؛ لأنه من الممكن أن يقال: إن لكل عاقل

---

(١) فتاوى ابن تيمية الكبرى جـ ٤ ص ٣٠٢ .
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٨٢، ١٨٣ .
(٣) الأصول الخمسة ص ٧٣٥ بتصرف.
(٤) انظر المقاصد جـ ٢ ص ١٦٤ .
(٥) الأصول الخمسة ص ٧٣٥ .
(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٤ ص ٥٤ .

موازين يوزن بكل منها صنف من عمله. وجاء القرآن الكريم بالوزن تارة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف :٨] وبالموازين تارة في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء :٤٧][١] وقيل: لفظ الجمع للتعظيم، وإنما الميزان الكبير واحد إظهارًا لجلالة الأمر وعظمة المقام[٢].

كيفية الميزان:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الموزون الكتب التي اشتملت على أعمال العباد، بناءً على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر. وقيل بل تُجْعَل الحسنات أجسامًا نورانية والسيئات أجسامًا ظلمانية [٣].

وهناك بعض الأحاديث التي تبين أن الرجلَ يوزنُ مع عمله، وأخرى تفيدُ أن العملَ نفسَهُ هو الذي يوزن.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا إن شئتم** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف :١٠٥][٤].

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«توضعُ الموازينُ يوم القيامة، فيؤتى بالرجلِ فيوضع في كفة فيوضع ما أحصى عليه فتمايل به الميزان» قال: «فيبعث به إلى النار» قال: «فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان»** [٥]، ويعلق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: **«فيه فائدة جليلة وهو أن العامل يوزن مع عمله»** [٦].

---

(١) وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٤ .

(٢) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٣) نفسه، وانظر تحفة المريد ص ٢٢٥ .

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم جـ ٤ ص ٢١٤٧، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) رواه الإمام أحمد جـ ٢ ص ٢٢١، ٢٢٢ .

(٦) النهاية في الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٢٤ .

وروى الإمام مسلم بسند عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطرُ الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»** (١) فقوله: **«الحمد لله تملأ الميزان» فيه** دلالة على أن الأعمال تجسد يومَ القيامة، وتجعلُ ذاتًا يوضع في الميزان (٢).

ويمكن أن نجمع بين تلك الروايات بأن الموازين تثقل بالكتب. قال ابن عمر: **«توزن صحائف الأعمال»** وإذًا فالصحف أجسام، فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليل على كثرة أعماله بإدخاله الجنة (٣).

ويكون وزن الكافر يوم القيامة على سبيل التحقير له والذلة، بأنه لا يساوي شيئًا، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد الذي استنبط منه ابن كثير أن العاقل يوزن مع عمله فهذا خاص بأحد المؤمنين يوم القيامة إظهارًا لفضل **«لا إله إلا الله»** يوم القيامة عند الله.

من توزن أعمالهم يوم القيامة؟:

الميزان يكون للمؤمنين والكفار يوم القيامة، ويستثنى من المؤمنين من يدخلون الجنة بغير حساب. يقول القرطبي: **«الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام: «فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه»** (٤)، ويؤخذ من هذا أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا توزن لهم أعمال؛ لعلم الله عز وجل بصلاحهم وثقل أعمالهم. أما ما جاء عن الكفار في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف :١٠٥]. فيقول ابن حزم بعد أن أورد الآية السابقة: **«وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم بل توزن، لكن أعمالهم شائلة، وموازينهم خفاف، فقد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول:** ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٣] إلى

---

(١) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٢٠٣ .
(٢) انظر النهاية في الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٢٦ .
(٣) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٣٧٧، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٨٢ .
(٤) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٣٧٥ .

قوله ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٥]. فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم، والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك»[١] والذي ذهب إليه ابن حزم هو الحق ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف :٩] فهذا إخبار من الله تعالى بأن الكفار تخف موازينهم؛ لأنهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة، أي لا ينفعهم شيء في ميزانهم.

فائدة الميزان:

إن وزن الأعمال يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين والكفار أن تجعل علامة لأهل السعادة إذا كانت موازينهم ثقيلة، وتكون علامة لأهل الشقاوة الذين خفت موازينهم. وفي الميزان تعريف للعباد بما لهم وما عليهم وإقامة للحجة عليهم. وإظهار لعدل الله عز وجل يوم القيامة، وفيه بيان للطف الله ببعض الناس يوم القيامة حين يتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته.

والميزان له فائدة تتعلق بالمكلفين، وهذه الفائدة هي تنبيه المكلفين إلى أداء الواجبات وترك المنكرات، إذا علموا أن أعمالهم ستعرض عليه وتوزن على رؤوس الأشهاد يوم القيامة[٢].

عدم وجود الميزان والصراط في التصور النصراني واليهودي:

لم يتحدث العهد القديم وأيضًا العهد الجديد عن الميزان أو الصراط. وفي المصادر التي رجعت إليها لم أعثر على أي إشارة عن الميزان أو الصراط، لا عند اليهود[٣]، ولا عند النصارى[٤].

(١) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٥٤، والتذكرة جـ ٢ ص ٣٧٣، وتحفة المريد ٢٢٥ .

(٢) انظر الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٨٢، والأصول الخمسة ص ٧٣٦، وتحفة المريد ص ٢٢٦ .

(٣) انظر على سبيل المثال: الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومي. وانظر تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث وانظر التلمود تاريخه وتعاليمه وانظر السنن القويم في تفسير العهد القديم، وانظر التلمود تسلسله وآدابه.

(٤) في لقاء للباحث مع الأنبا غريقريوس - أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي..=

ويبين القرافي ذلك بقوله: «كثر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيء في القرآن الكريم أكثر من ذكر البعث» [١].

يقول: «فلذلك لا نجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان وأحوال أهل الجنان والنيران وما يتفق في المحشر من الوقائع وما يكون في القبور قبل ذلك وما علم منه فإنه عُلِمَ من أخبار هذه الأمة» [٢].

* * *

=والثقافة القبطية أكد عدم وجود الميزان والصراط عند النصارى - انظر على سبيل المثال: قاموس الكتاب المقدس، علم اللاهوت النظامي، علم اللاهوت الكتابي، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية.

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٠٦ بهامش الفارق بين المخلوق والخالق.

(٢) نفسه ص ١٠٨ .

المبحث العاشر

الحوض في التصور الإسلامي

من الأشياء التي ينفرد بها الإسلام عن النصرانية واليهودية: الحوض الذي يشرب منه المؤمنون الذين عملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ.

والحوض ثابت بالكتاب والسنة.

فمن الأمور السمعية الحوض [١] قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر :١-٢] وفي سبب نزول سورة الكوثر أورد الإمام ابن كثير حديثًا عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءةً فرفع رأسه مبتسمًا. إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إنه أنزلت عليّ آنفًا سورة»** فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر :١] حتى ختمها فقال: **«هل تدرون ما الكوثر؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خيرٌ كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول يا رب إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»** هكذا رواه الإمام أحمد [٢].

يقول الأشعري في الإبانة: **«وأنكرت المعتزلة الحوض، وروى عن النبي ﷺ من** وجوهٍ كثيرة، وروى عن أصحابه بلا خلاف» [٣].

والإمام الجويني في «لمع الأدلة» يذكر أن كل ما جوزه العقل وورد به الشرع

---

(١) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٥٦ .

(٣) الإبانة للأشعري ص ٧٥ .

وجب القضاء بثبوته، فمما ورد به الشرع الصراط والميزان والحوض [١].

ولقد وردت الأحاديث الصحيحة عن الحوض وعظم قدره. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي حازم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»** قال أبو حازم: فسمع النعمانُ بن أبي عيَّاش وأنا أحدثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلًا يقول؟ قال: فقلت نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: **«إنهم مني. فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك. فأقول سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي»** [٢].

والحديث يدل على أن رسول الله ﷺ يقف على الحوض، وسيرد عليه أقوام من أمته، ولا يستطيعون أن يقتربوا من الحوض أو يشربوا منه، فيسأل رسول الله ﷺ عنهم، فيقال له إنهم بدلوا وغيروا بعدك فوافق رسول الله ﷺ على بعدهم. وقد وردت أحاديث أخرى تبين عظم قدر الحوض.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ: **«حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الوَرق [٣]، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا»** [٤].

وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»** [٥]. ويقول كمال الدين بن الهمام: **«ومن السمعيات الكوثر. وهو حوض الرسول ﷺ، يكون له يوم القيامة، يرده الأخيار، ويذاد عنه الأشرار: وردت به الأخبار**

---

(١) لمع الأدلة لإمام الحرمين عبد الملك الجويني. تحقيق الدكتور حسين محمود ص ١١٢، ١١٣ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٣١٦ طبعة عيسى البابي الحلبي.

(٣) الفضة.

(٤) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٢١٧ .

(٥) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٩٩ .

الصحاح فوجب قبوله والإيمان به» [١]. وحول ورود الأحاديث الصحيحة عن الحوض فإن ابن حجر ينقل عن القرطبي قوله: **«مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبينا محمدًا ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك، مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف»** [٢].

وقد اختلف العلماء حول الحوض. هل هو قبل الصراط أو بعده فيرى القرطبي في التذكرة أن الحوض قبل الصراط والميزان. وذهب آخرون إلى أنه بعد الصراط والميزان. وحجة القرطبي أن كون الحوض قبل الصراط مما يقتضيه الموقف يوم القيامة؛ لأن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم [٣]. وذهب القاضي عياض إلى أن الحوض بعد الصراط؛ لأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار؛ لأن ظاهر حال من لا يظمأ ألا يعذب بالنار [٤]. وأميل إلى أن الحوض بعد الصراط. لما رواه الإمام أحمد والترمذي عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي. فقال: **«أنا فاعل»** فقلت: أين أطلبك؟ قال: **«اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»** قلت: فإن لم ألقك؟ قال: **«أنا عند الميزان»** قلت: فإن لم ألقك؟ قال: **«أنا عند الحوض»** [٥]. فهذا الترتيب من النبي ﷺ هو الذي نميل إليه؛ لأنه ما دام أن الذي يشرب منه لا يظمأ أبدًا فلا بد وأن يكون من المؤمنين الناجين من النار.

---

(١) المسايرة في علم الكلام ص ١٥٠ .
(٢) فتح الباري جـ ١١ص ٣٩٣.
(٣) التذكرة جـ ٢ ص ٣٦٢ .
(٤) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٩٢، ٣٩٣ .
(٥) نفسه جـ ١١ ص ٣٩٢ .

عدم وجود الحوض في التصور النصراني واليهودي:

في المصادر التي رجعت إليها لم أعثر على ذكر الحوض في التصور النصراني أو اليهودي، وهذا مما جعلني أكتب في بداية البحث: الحوض مما اختصت به أمة محمد ﷺ.

* * *

المبحث الحادي عشر

الشفاعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: الشفاعة في التصور الإسلامي

عرف البيجوري الشفاعة بأنها «**الوسيلة والطلب**» (١) وفي العرف بأنها «**سؤال الخير من الغير للغير**» (٢). ويدل على ثبوتها كما يقول صاحب المقاصد: النص والإجماع (٣). والدليل عليها قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة :٢٥٥]، وقوله عز وجل: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم :٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء :٢٨] يقول ابن كثير: «**وهذا من عظمته وكبريائه عز وجل، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة**» (٤).

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه :١٠٩] ويستدل ابن حزم بهذه الآية على أن الله تعالى نص على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له الرحمن فيها ورضي له قولًا. ويقرر أنه لا أحد أولى بذلك من محمد ﷺ لأنه أفضل ولدِ آدم عليه السلام (٥).

ويوفق ابن حزم بين الآيات التي تثبت الشفاعة في القرآن الكريم والآيات التي تنفيها بقوله: «**صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،**

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٣٦ .

(٢) نفسه.

(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٧٥ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٠٩ .

(٥) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٥٣ .

فصح يقينًا أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل، وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل الله عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار» [(١)] ويوفق القرطبي بين الآيات التي تبين خزي من دخل النارَ يومَ القيامة وبين الآيات التي تثبت الشفاعة والأحاديث التي تدل على الشفاعة للعصاة لإخراجهم من النار بقوله: «**إن قال قائل: كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى بقول:** ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران :١٩٢] ويقول: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [التحريم :٨][(٢)] ويجيب بأن الآية الأولى معناها - كما قال أنس بن مالك - أن معنى ﴿مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران :١٩٢] من يخلد، وبهذا قال سعيد بن المسيب فإن الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار، بدليل قوله تعالى في آخر الآية ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران :١٩٢] أي الكفار. ويبين القرطبي الوجه الثاني للآية بأننا إذا قدرنا أن الآية في العصاة من الموحدين فيحتمل أن يكون الخزي بمعنى الحياء، ولهذا الاحتمال وجه عند أهل المعاني، ويكون خزي المؤمنين في استحيائهم في دخول النار من بين سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها، أما خزي الكافرين فهو هلاكهم في النار من غير موت، أما المؤمنون العصاة فيموتون في النار. فافترقوا في الخزي والهوان عن الكفار؛ لأن عصاة المؤمنين يخرجون من النار بشفاعة من أذن الله له في الشفاعة، والآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم :٨] فيذهب القرطبي إلى أن معناها - أن الله لا يعذب رسوله ولا يعذب الذين آمنوا وإن عذب الله عصاة المؤمنين فإن الله يخرجهم من النار بشفاعة الرسول ﷺ [(٣)].

وقد وردت الأحاديث التي تبين شفاعة الرسول ﷺ في عصاة المؤمنين،

---

(١) نفسه.

(٢) وانظر التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ١٤٤.

(٣) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٤١٤، ٤١٥ .

وأجمع المسلمون على تلك الشفاعة [(١)] لرسول الله ﷺ يوم القيامة. ومن الأحاديث التي وردت في الشفاعة ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة فقال: **«أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمسُ فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم عليه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم فيأتون آدم. فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله - وذكر كذباته - [(٢)] نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ،**

---

(١) الإبانة للأشعري ص ٧٤ .

(٢) الكذبات الثلاث، التي وردت في الأحاديث من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث مرات، اثنتين في ذات الله قوله: إني سقيم وقوله: بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة حين قدم مصر وقال لملكها: إنها أختي وليست زوجتي. هذه الكذبات تحدث عنها العلماء كثيرًا وخلاصة ما قيل فيها أن تلك الأحاديث إن كانت منقولة بطريق الآحاد فمردودة، لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره إن أمكن وإلا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة. انظر في هذا الموضوع بالتفصيل كتاب قصص الأنبياء للنجار. ص ١٠٩، ١٢٣ ففيه عرض لكل الآراء في هذه القضية.

فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي. اذهبوا إلى عيسى ﷺ فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر له ذنبًا - نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد. فيأتون فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده والثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحدٍ قبلي، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصري» [(١)].

وهذا الحديث يدل على الشفاعة العظمى للإراحة من هول الموقف، والشفاعة للذين يدخلون الجنة بغير حساب. وصاحب هذه الشفاعة محمد ﷺ لا يشاركه فيها أحد من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الصالحين والشهداء. وكيفيتها كما مر في حديث أبي هريرة أن ينطلق محمد ﷺ تحت العرش فيقع ساجدًا يثني ويحمد الله، حتى يأذن له في الشفاعة لإراحة الناس من الموقف [(٢)] وحديث أبي هريرة السابق يدل على نوعين من أنواع الشفاعة.

النوع الأول: الشفاعة من هول الموقف.

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٣، ١٠٤ طبعة الحلبي.

(٢) انظر فتح المنعم - شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٤٢ .

النوع الثاني: إدخال قوم الجنة بغير حساب.

ويؤيد حديث أبي هريرة السابق في الشفاعة لمن يدخلون الجنة بغير حساب. ما رواه الترمذي بسنده عن محمد بن زيادة الألهاني قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربي**» (١) والحثيات جمع حثية بفتح الحاء، وهي تستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير (٢) وحديث الترمذي مبين لمن يشفع فيهم رسول الله ﷺ فيدخلون الجنة بغير حساب.

وهناك أنواع أخرى من الشفاعة يشترك فيها الأنبياء، والملائكة، وعباد الله الصالحون، فقد روى الإمام مسلم بسنده في حديث طويل، عن شفاعة المؤمنين للعصاة يوم القيامة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مُنَاشَدَةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فَيُخْرِجُون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به. فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا**». وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] «**فيقول الله عز وجل: شفِعَ الملائكة شفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا، لم يعملوا خيرًا قط،**

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي جـ ٧ ص ١٢٩ الطبعة الثامنة ١٣٨٧ - ١٩٦٧.

(٢) نفسه.

قد عادوا حمما، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل» [(١)].

وهذا الحديث يبين أن المؤمنين يشفعون لإخوانهم العصاة يوم القيامة، ويأذن الله لهم بأن يخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من خير. ويبين الحديث أن الله عز وجل يأذن للملائكة والأنبياء والمؤمنين في الشفاعة، إلى حد أنهم لا يجدون أحدًا فيه خير قد بقي في النار. وهنا يقول الله تبارك وتعالى: شَفِع الملائكة وشَفِع النبيون وشَفِع المؤمنون ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا.

وهنا قد يثار هذا التساؤل. كيف يخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط؟ ويجيب القاضي عياض عن هذا التساؤل فيقول: **«هؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان، وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم. وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله عليهم دليلاً عليه، وتفرد الله عز وجل بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان، وضرب بمثال الذرة المثل لأقل الخير، فإنها أقل المقادير»** [(٢)].

والذي ذهب إليه القاضي عياض موافق لما رواه الإمام مسلم في حديث طويل عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ يقول: **«يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. قال: ليس ذاك، أو قال: ليس ذاك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله»** [(٣)] ومعنى ذلك أن الله يتفضل على من قال لا إله إلا الله فيخرجه من النار من غير شفاعة أحد [(٤)].

* * *

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٤ طبعة الحلبي.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٣ ص ٢٢ .
(٣) نفسه جـ ٣ ص ٦٤ .
(٤) نفسه ص ٦٥ .

وهناك أحاديث أخرى تبين شفاعة المؤمنين للعصاة يوم القيامة:

روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع لعصبة، ومنهم من يشفعُ للرجلِ حتى يدخلوا الجنة**» (١).

والحديث يبين أن بعضَ أفراد من أمة محمد ﷺ كالعلماء والشهداء والصالحين من يشفع للفئام أي الجماعة من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة والعصبة للرجل حتى يدخلوا الجنة جميعًا (٢).

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ يتميز عن جميع الأنبياء والمرسلين بالمقام المحمود عند الله يوم القيامة.

روى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمعُ النداءَ اللهمّ ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**» (٣).

وفسر بعض الصحابة المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى لإراحة الناس من هول الموقف يوم القيامة. روى البخاري بسنده عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «**إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا، كل أمة تتبع نبيهَا، يقولون: يا فلان اشفع. حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ**، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» (٤).

وذهب الجمهورُ إلى أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة. وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع (٥) ولا يستشكل بأن هناك غيره ﷺ ممن يأذن الله لهم بالشفاعة، كالأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين كما مر، لأن شفاعة هؤلاء جميعًا تأتي

---

(١) تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي جـ ٧ ص ١٣١، ١٣٢ .
(٢) نفسه ص ١٢٩، ١٣٠ .
(٣) فتح الباري جـ ٨ ص ٣٢٢ .
(٤) نفسه.
(٥) نفسه جـ ١١ ص ٣٥٧ .

بعد شفاعة النبي ﷺ في إراحة الناس من كرب الموقف؛ والتي لم ينلها أحدٌ غيره ﷺ. أما الشفاعة للمذنبين في الخروج من النار ورفع درجات المؤمنين في الجنة وإدخال قوم الجنة بغير حساب فهذا مما يشترك فيه ﷺ مع غيره. يقول ابن حجر في الفتح بعد أن يعرض آراء العلماء في المقصود بالمقام المحمود: «**ويمكن رد الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة، فإن إعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه، وكلامه بين يديه، وجلوسه على كرسيه، وقيامه أقرب من جبريل، كل ذلك صفات للمقام المحمود، الذي يشفع فيه ليقضى بين الخلق، وأما شفاعته في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك**»[(١)].

وإذا كانت أمة الإسلام قد أجمعت على الشفاعة لرسول الله ﷺ عند الله يوم القيامة في إسقاط العقاب عن المذنبين وازدياد النعيم لأهل الجنة [(٢)]، فإن المعتزلة قد خالفت الأمة في كون الشفاعة لإسقاط العقاب عن المذنبين، وأثبتوها في زيادة النعيم لأهل الجنة.

يقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة: «**لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟**» [(٣)]. فهو يقرر أنه لا خلاف بين الأمة في ثبوت الشفاعة للمذنبين بإسقاط العقابِ عنهم وللمؤمنين برفع درجاتهم. أما عند المعتزلة فهي قاصرة على التائبين من المؤمنين. يقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة: «**فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين**» [(٤)]. وفائدة الشفاعة إذن هي رفع مرتبة الشفيع، والدلالة على منزلته من المشفوع [(٥)] وينفي القاضي عبد الجبار الشفاعة عن مرتكب الكبيرة من المسلمين بقوله: «**دلت الدلالة على أن العقوبة**

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٥٨، ٣٥٩ .
(٢) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص ٧٤ - الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ والأربعين في أصول الدين ص ٤١٩ للإمام الرازي.
(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨.
(٤) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨ .
(٥) نفسه ص ٦٨٩ .

تستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي عليه السلام والحال ما تقدم؟ ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة :٤٨] وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر :١٨] فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع ألبتة» [١].

ويفند أهل السنة ما ذهب إليه المعتزلة من أن الشفاعة لا تكون للعصاة، وإنما لرفع درجات المؤمنين في الجنة، بأن المؤمنين إذا كانوا بالجنة موعودين، وبها مبشرين، والله عز وجل لا يخلف وعده، فإن الشفاعة لا تكون لها معنى؛ لأن هؤلاء المؤمنين لا يجوز عند المعتزلة ألا يدخلهم الله الجنة - طبقًا لأصولهم التي تقرر أن المؤمنين استحقوها بأعمالهم واستوجبوها على الله - وإذا كان الله لا يظلم مثقال ذرة كان تأخيرهم عن الجنة ظلمًا على حسب اعتقادهم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وإن كانت الشفاعة في رفع درجات المؤمنين في الجنة؛ فإن الله قد وعدهم ذلك والله يقول: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فاطر :٣٠] والله عز وجل لا يخلف وعده، فإذا كانت الشفاعة قاصرة على رفع درجات المؤمنين في الجنة فيكون معنى ذلك أنه إنما يشفع إلى الله عز وجل عندهم في أن لا يخلفَ وعدَه، وهذا مغايرٌ لما يقررونه في أصولهم [٢] ويخلص الأشعري إلى أن الشفاعة المقبولة تكون **«فيمن استحق عقابًا أن يوضع عنه عقابه، أو فيمن لم يعده شيئًا أن يتفضل به عليه»** [٣].

أما الآيات التي يستدل بها القاضي عبد الجبار على نفي الشفاعة عن مرتكب الكبيرة من مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة :٤٨] وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر :١٨].

فالجواب: أن الآية الأولى إذا صح الاستدلال بها على نفي الشفاعة، فإنها تنفي الشفاعة بوجه عام، مع أن المعتزلة يقررون ثبوت الشفاعة لرفع درجات

(١) الأصول الخمسة ص ٦٨٩ .
(٢) انظر الإبانة للأشعري ص ٧٤ .
(٣) نفسه.

المؤمنين [١] والمقصود نفي الشفاعة عن الكفار.

أما الآية الثانية فإن الإمام الرازي يجيب عليها من وجهين:

الأول: أن كل عاقل يعلم أنه ليس في الوجود أحدٌ يطيعه الله تعالى، فلا يكون في حمل الآية على ما ذكرتم فائدة.

الثاني: أن الشفيع دون المشفوع إليه، لأنه لو كان فوقه يسمى آمرًا أو حاكمًا ولا يسمى شفيعًا، فلفظ الشفيع أفاد كونه دون الله تعالى، فلم يكن حمل قوله «**يطاع**» على من فوقه، فكان المراد أنه ليس لهم شفيع يجاب [٢].

وإن ما ذهب إليه المعتزلة من عدم الشفاعة للمذنبين مخالف لما ورد عن رسول الله ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» [٣]. أي «**الشفاعة التي وعد بها الله محمدًا ﷺ** لأهل الكبائر، وذلك بوضع السيئات عنهم والعفو عن الكبائر» [٤].

ثانيًا: الشفاعة في التصور النصراني

يقول الأنبا يؤانس: «**هناك شركة عامة بين الأحياء على الأرض والمنتقلين إلى السماء وعلى رأسهم القديسون والشهداء، شركة كاملة، فنحن نتشفع بهم ونتصل بهم بطرق ووسائل شتى، ونَتَلَقى على أثر ذلك معوناتهم**» [٥] ونلاحظ أن الشفاعة التي يتحدث عنها النصارى تكون في الدنيا وليست في الآخرة وعلماؤهم يقررون ذلك.

وورد في علم اللاهوت النظامي «**ليس في الدهر الآتي توبة ولا غفران ولا تغيير حال، وقد ورد في مَثَلِ مخلصِنا في الغنى ولعاذر** [٦]، **الذي علم استحالة العبور من جهنم**

---

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٤٢٢ .
(٢) نفسه.
(٣) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٢١٣ .
(٤) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي جـ ٧ ص ١٢٧ .
(٥) السماء للأنبا يؤانس ص ١٦ .
(٦) لوقا ١٦-٩/٣١ .

إلى السماء» [١]. ويذكر ميخائيل مينا أن «**خطيئة الخاطئ دائمة إلى الأبد؛ لأنه يستحيل أن تمحى وتغفر متى ولج صاحبها جهنم وهو مثقل بها، حيث إن خطيئته تستمر معه إلى الأبد**» [٢].

وورد في كتاب «الكهنوت» تحت عنوان «الوقت الذي يمارس فيه المسيح خدمة الشفاعة» ما نصه: «**إن المسيح لا يمارس هذه الخدمة «الشفاعة» بعد انتقال المؤمنين الحقيقيين إلى العالم الآخر، حتى كان يجوز الظن أنه يمكن أن يكون الغرض منها نقل أرواح الذين أخطئوا على الأرض من كل عذاب الآخرة أو بعضه، بل إنه - له المجد - يمارس شفاعته لأجلهم وهم لا يزالون على الأرض، لأنه ليس هناك مجال لتغيير مصير الناس بأية وسيلة من الوسائل بعد انتقالهم من العالم الحاضر، لأنه ليس هناك مجال للتوبة والشركة مع الله إلا في هذا العالم**» [٣].

كل هذه الأقوال تؤكد أن الشفاعة عند النصارى تكون في الدنيا لا في الآخرة، وهذا ما أكده لنا الأنبا غريقريوس أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية في مقابلة شفوية. والشفاعة التي يعتقدها النصارى تكون بالمسيح، وبأمه، وبالملائكة، والقديسين. ومما يثبت شفاعة المسيح في الدنيا ما ورد في رسالة بولس للعبرانيين: «**فمن ثمَّ يقدر أن يخلص إلى التمام الذي يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين يشفع فيهم**» [٤]. ويعلق القس إبراهيم لوقا على النص السابق بقوله: «**فشكرًا لله لأجل المسيح الشفيع العظيم، الذي بشفاعة ذبيحته المقدسة يستطيع كل خاطئ أثيم يرجع إلى الله ويؤمن به من كل قلبه أن ينال تطهير خطاياه**» [٥].

ويرجع اعتقاد النصارى في شفاعة المسيح لأنه كما يزعمون «**قدم ذاته كفارة عن خطايا العالم أجمع بذبيحته نفسه**» [٦].

وأما شفاعة مريم العذراء فإن النصارى متفقون على شفاعتها لهم، وتكفيرها

---

(١) علم اللاهوت النظامي ١٢١٥. (٢) علم اللاهوت ميخائيل مينا جـ ٢ ص ١٥٤ .
(٣) الكهنوت ص ١٢٠، ١٢١ تأليف عوض سمعان - الناشر دار الثقافة - الطبعة الثانية.
(٤) رسالة بولس إلى العبرانيين ٧/٢٥، رؤيا يوحنا ٢/٢ .
(٥) المسيحية في الإسلام ص ١٤٧. (٦) نفسه.

للخطايا والذنوب عنهم، وهم يرددون في صلواتهم الدعاء لها وطلب شفاعتها، ومن أدعيتهم في الصلوات: «**أيتها العذراء القديسة والدة الله أمي وشفيعتي، إني أضع ذاتي تحت ذيل حمايتك، وأنطرح بكل اتكال في حضن رحمتك، فكوني يا أم الجود مَلْجَئي في احتياجي، وتعزيتي أتعابي، وشفيعتي عند ابنك المجد اليوم، وفي كل أيام حياتي، ولا سيما عند ساعة موتي آمين**» [١] وهذا نص صريح عن النصارى في أنهم يتشفعون بالعذراء مريم عند ابنها الإله كما يزعمون، وابنها يشفع للنصارى عند الله. وهذا يبين إلى أي حد يتناقض النصارى في عقائدهم، فهم يتشفعون بالمسيح عند من؟ عند الله! ويتشفعون بأمه عند من؟ عند ابنها الإله. يا له من تناقض مع بدهيات العقل حين يشفع إله عند إله. يقول القمص تادرس يعقوب بأننا نهتم بالعذراء ونطلب شفاعتها [٢].

والذي ذهب إليه النصارى من شفاعة العذراء مريم يؤكد ما ذكره ابن القيم من أن النصارى يتشفعون بالعذراء، ويسألونها الشفاعة إذ «**يقولون في دعائهم: يا والدة الإله اشفعي لنا. وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة**» [٣].

ويعتقد النصارى أيضًا في شفاعة القديسين في الدنيا لغفران الخطايا ونجدة المتعثرين منهم. يقول الأنبا يؤانس: «**إن الاتصال بالسماء ومن فيها سهل وميسور، وما عليك إلا أن تنادي القديس: يا ست يا عذراء، يا أم النور، يا ملاك ميخائيل، يا مارجرجس، يا مارمينا** [٤] **وفي التو واللحظة يصل نداؤنا إلى أسماعهم ويهبون لنجدتنا**» [٥].

(١) علم اللاهوت النظامي - ص ٧٩٧ نقلًا عن كتاب صلوات ص ١٨، ٢٤٦ طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٨٨٢ - نشر كنيسة مارجرجس بالإسكندرية.

(٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ١٤ .

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٦٢ .

(٤) أسماء لبعض القديسين عند النصارى.

(٥) السماء للأنبا يؤانس ص ١٥، ١٦ .

وفي الرسالة التي بعث بها أحد القساوسة إلى أبي عبيدة الخزرجي، يذكر هذا القسيس سلطان المطارنة عند الله بقوله: **«جعل الله في أيدي المطارين ما لم يجعله في يد أحد وذلك أن كل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في السماء، فإذا أذنبنا فهم الذين يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات، وبأيديهم صلاح الأحياء والأموات»**[(١)].

ولنا عدة ملاحظات على الشفاعة عند النصارى منها:

أولاً: أنها في الدنيا لا في الآخرة. وهي تجعل للبشر سلطانًا كبيرًا مع الله، إذ إن القديسين يكون لهم ما لله من قضاء الحاجات، وذلك واضح تمامًا من نص الأنبا يؤانس الذي يذكر أن القديسين هم الذين يفعلون كل شيء بدلًا عن الله - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. ونص الرسالة التي بعث بها أحد القساوسة لأبي عبيدة الخزرجي بَيَّنَ أن الله تابع للمطارنة والقساوسة في أفعالهم، فكل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في السماء، وفضلًا عن ذلك فإنهم يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات، وبيدهم صلاح الأحياء والأموات. وهذه سلطة كاملة للقساوسة والقديسين، وليست من الشفاعة في شيء، إذ إن هؤلاء يتحولون من كونهم واسطة إلى كونهم مصدر الإجابة، وقضاء الحاجات. يبدأ النصراني بالسؤال وينتهي الأمر عند هذا الحد، ليجيب القديس على ما يطلبه النصراني من غفران الخطايا والفوز بالجنة والنجاة من النار. فالقديس هنا ليس شفيعًا ولكنه واسطة حائلة بين العبد وربه.

أما في الإسلام فإن الله عز وجل يأمر الجميع أن يتجهوا إليه، ويبين الله عز وجل أن غفران الخطايا والعفو عن الذنوب بيده وحده، ولا يملك أحد سواه هذا

---

(١) بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي ص ٧٧ تحقيق الدكتور عبد الغني شامة - الناشر مكتبة وهبة - الطبعة الثانية.

الأمر، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى :٢٥] فهذه الآية تبين أن الله وحده هو الذي يقبل التوبة عن عباده، وأنه وحده الذي يعفو عن السيئات. ونبّه الله عباده أن من فعل منهم معصية فعليه أن يتوجه إليه بالتوبة، والاستغفار وينفي عن أي كائن غفران الخطايا والذنوب، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران :١٣٥] وهذه الآية صريحة في عدم غفران الذنوب لأحد إلا الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: وضح لنا من خلال عرضنا لنصوص علماء النصارى أنهم لا يعتقدون بالشفاعة في الآخرة، لأنهم لا يفرقون بين الذنوب كبيرها وصغيرها، فعندهم أن «**المؤمنين الخطاة الذين دنسوا قداسة إيمانهم برجاسة أفعالهم كافرون**»(١).

وهؤلاء الخطاة يعتقد النصارى أنهم يدانون فيهلكون، لأن الذي يدخل النار في اعتقادهم لا يخرج منها أبدًا. ورد في علم اللاهوت النظامي «**أنه في الدينونة يتعين نصيب الأبرار والأشرار تعينا لا يتغير، ويحكم بمكانهم الأبدي، وهذا واضح من كلمات مخلصنا الرهيبة في قوله: «فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية**»(٢)، وورد في «متى» أن أبدية العذاب وأبدية النعيم يتمسك به النصارى حرفيًا، ولا يفرقون بين الخطايا الكبيرة والذنوب الصغيرة لأن «**خطيئة الخاطئ دائمة إلى الأبد، لأنه يستحيل أن تمحى وتخرج متى ولج صاحبها جهنم وهو مثقل بها، وحيث إن خطيئة الخاطئ تستمر معه إلى الأبد فالجودة الإلهية تقضى باستمرار عذابها إلى الأبد**»(٣). **وهم يرون أن استمرار العذاب الأبدي للخاطئ ليس فيه منافاة للعدالة الإلهية ويقررون أنه ليس هناك «من ظلم أو جور بل هو عين العدل والإنصاف»**(٤) وإذا كان هذا هو العدل

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٤٩، ١٥٠ بتصرف يسير.
(٢) علم اللاهوت النظامي ص ١٢١٢، متى ٤٦/٢٥ .
(٣) علم اللاهوت ميخائيل مينا جـ ٢ ص ١٥٤، ١٥٥ .
(٤) نفسه.

فإننا نقول: وأين الرحمة التي سبقت عدل الله؟ إذ إن الرحمة التي خص الله بها نفسه في الآخرة تقتضي أن يرحم الله العصاة الذين ارتكبوا بعض الذنوب في الدنيا وعُذبوا بسببها، بأن يخرجوا من النار ليدخلوا الجنة بالشفاعة لهم، ولكن النصارى يصرون على أن من مات بخطيئة فهو في النار خالدًا فيها، ولذلك لا قيمة للشفاعة يوم القيامة عندهم، وكل ما يفعله المسيح **«أن يبكي على آخرة الأشرار غير التائبين، ومع ذلك يتركهم لنصيبهم العادل»** (١).

أما عن كيفية غفران الخطيئة لمن أخطأ من النصارى فتكون في الدنيا بالتوبة وتقديم الدعوات والصلوات والصدقات، وتكون بالاعتراف أمام الكاهن، والاعتراف كما عرفه علماء الكنيسة هو **«الإقرار بما قاله الإنسان وفعله فيما مضى والآن، وبحسب الوضع الشرعي هو اعتراف الإنسان للكاهن المسلم له الاعتراف بخطاياه وذنوبه وجرائره وكبائره ومعاصيه وقبح شهواته وسهواته وغفلاته، وما اعتمده من ذلك جميعه بأفكاره الردية وأمانيه الكاذبة وأقواله المباينة للبيعة والمعاندة للشريعة»** (٢) وفائدة هذه الاعترافات هي **«الحصول على غفران الخطايا والسلام الداخلي، لأنه كم يوجد قبل الاعتراف في نفس الخاطئ من الضيقة وانحصار القلب والغم الشديد، وتشويش الضمير والنقل غير المحتمل، وأما بعد الاعتراف فكم يوجد في نفسه من السكون والراحة والسلامة والتعزية العظيمة والسرور الباطن»** (٣) ونلاحظ أن الاعتراف يتجاوز الظاهر إلى الباطن، حتى السهو، حتى الغفلة، حتى الأماني الكاذبة، وبعد الاعتراف نلاحظ أن للكاهن سلطة كاملة إذ بيد هذا الكاهن قبول التوبات وصلاح الأحياء والأموات. وهذه السلطة فيما أعتقد هي التي دفعت النصارى إلى الاكتفاء باللجوء إلى الكهنة والأحبار والرهبان. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة :٣١].

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص ١٢١٢ .
(٢) علم اللاهوت. ميخائيل مينا جـ ٢ ص ٢٨٧، ٢٨٨ .
(٣) علم اللاهوت. ميخائيل مينا جـ ٢ ص ٢٨٩ .

ولقد روى الإمام أحمد والترمذي، أن عديَّ بن حاتم الطائي دخل على رسول الله ﷺ - وفي عنق عدي صليب من فضة - وهو يقرأ هذه الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣١] قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»(١).

وهنا نرى إلى أي حد تغفر الخطايا والذنوب للعصاة من النصارى في الدنيا، وأن ما عند النصارى ليس من الشفاعة في شيء، لأن المشفوع له والشفيع إنما يتجه إلى الله في جميع الحالات، وهذا هو المقرر في الإسلام، أما عند النصارى فإن المشفوع له يتجه إلى الكاهن بالاعتراف وطلب المغفرة. ويزعم النصارى أن الكاهن يجيبه ويكفر عنه خطاياه، وليس في الإسلام شيء من هذا القبيل.

ثالثًا: الشفاعة في التصور اليهودي

في المصادر اليهودية التي أتيح لنا الرجوع إليها لم نعثر على التصور اليهودي للشفاعة يوم القيامة... وكنا نأمل أن نصور الشفاعة من واقع ما كتبوه، أو ما هو مسطور في العهد القديم، ولكن لم نجد شيئًا في المصادر التي رجعنا إليها. وإن كنا نجد إشارات في القرآن الكريم تبين أن اليهود يعتقدون - وهم في الدنيا - أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودات. ويعتقدون أيضًا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فهم ليسوا كبقية الناس يوم القيامة. ومن خلال الآيات القرآنية يمكن أن نعطي تصورًا ما عن ادعائهم عدم المكث في النار إلا فترة قليلة، وتكذيب الله لهم في ذلك. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة :٨٠-٨١] ويقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ص ١٣٧ جـ ٢ .

مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨] وهذا الزعم من قبيح أقوالهم وأفعالهم، وهو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم إلا أيامًا قليلة، وهذا الجزم لا سبيل إليه بالعقل ألبتة، لأن الله يفعل ما يريد، ولا طريق إليه من جهة النص، لأن الله لا يحابي قومًا لجنسهم ولا لنسبهم، ولذلك كذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٨٠] ويروي عنهم أنهم يعذبون أربعين يومًا، عدد عبادتهم العجل، ثم ينادي: أخرجوا كل مختون من بني إسرائيل.

وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنهم زعموا أنهم وجدوا مكتوبًا في التوراة أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم، وأنهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملُونها، ولقد كذبهم الله تعالى بقوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١].

فأبطل الله حجتهم على وجه أعم شامل لهم ولسائر الكفار، كأنه قال بل تمسكم وغيركم دهرًا طويلًا، وزمانًا مديدًا لا كما تزعمون» [١].

وأما أقوالهم نحن أبناء الله وأحباؤه فهذا محض افتراء منهم، لأنه إن صح ما زعموا فلأي شيء يعذبهم الله يوم القيامة بالنار أيامًا معدودات، كما كذبوا وقالوا ذلك، وهذا ينافي دعوى القرب التي يدعيها اليهود والنصارى.

وعن ابن عباس: أتى رسول الله ﷺ نعما بن آصي وبحري بن عمرو وشاش ابن عدي - وهم من اليهود - فخوفهم رسول الله من الله، وحذرهم من نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟ والله نحن أبناء الله وأحباؤه. وقالت النصارى ذلك قبلهم، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية[٢].

---

(١) انظر الفخر الرازي جـ ٣ ص ١٥٨، ١٦٠، وروح المعاني جـ ٢ ص ٣٠٤، ٣٠٥، والكشاف جـ ١ ص ٢٩٣، ٢٩٣ ، والمنار جـ ٣ ص ٢١٩، ٢٢٠ .

(٢) روح المعاني للألوسي جـ ٦ ص ١٠٠، ١٠١ .

المبحث الثاني عشر

الجنة والنار بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: في التصور الإسلامي

أ- الجنة:

نتحدث عن الجنة كواقعة من واقعات يوم القيامة، والنعيم الذي يلاقيه المؤمنون فيها. والحديث عن الجنة يشمل عدة حقائق عن الجنة منها:

أنها مخلوقة الآن ومعدة للمؤمنين:

يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣] ويقول عز وجل ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد :٢١] وهاتان الآيتان - وغيرهما في القرآن الكريم - يدلان على أن الجنة مخلوقة الآن، وأنها معدة للمتقين، وأيضًا على سعة الجنة. والمراد من أن عرضها كعرض السماء والأرض أنها كناية عن السعة، إذ لو جعلت السماوات والأُرضون طبقًا طبقًا، بحيث تكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحًا مؤلفا من أجزاء، ثم وُصِلَ بعضُها ببعضٍ طبقًا واحدًا لكان ذلك مثل عرض الجنة، وهذا غاية في السعة، وخص العرض بالذكر دون الطول لأنه إذا كان العرض على تلك السعة؛ فالظاهر أن الطول يكون أعظم. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الرحمٰن :٥٤] فإذا كانت البطائن من إستبراق - وهي عادة أقل من الظهارة - فكيف تكون الظهارة! قال القفال: ليس

المراد بالعرض ههنا ما هو خلاف الطول، ولكن هو عبارة عن السعة، كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة، والأصل فيها أن ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق، فجعل العرض كناية عن السعة على حد قول العرب: أعرض في المكارم إذا توسع فيها. والمراد من السماوات، السماوات السبع والأرضون السبع. فعن ابن عباس من طريق السدي أنه قال: تقرن السماوات السبع والأرضون السبع، كما تقرن الثياب بعضُها ببعض، فذاك عرض الجنة، ولا يقال أين هي، ما دام عرضُها السماوات والأرض؟ لأنه قد ورد في الخبر أنها فوق السماوات وتحت العرش. حين سئل أنس بن مالك عن مكانها [١].

وهذه الآية كانت مثارًا للتساؤل عند بعض أهل الكتاب. يقول ابن كثير: **وقد روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ، إنك دعوتني إلى جنة عرضها السماوات والأرض. فأين النار؟ فقال النبي ﷺ: «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار»** [٢].

ويعلق الرازي على هذا بقوله: «**والمعنى والله أعلم أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب، فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل**» [٣]. وكلام الرازي على سبيل الاستئناس، والأولى من ذلك أن نفوض العلم لله لأنها من الغيبيات التي يجب أن نؤمن بها على ما ورد في السمع.

وأما دلالة الآيتين على خلق الجنة. فقد ذهب أهل السنة إلى أن الجنة مخلوقة لأن قوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. إخبار عن الماضي، فلا بد أن يكون ذلك قد دخل في الشيء الموجود [٤]. يقول شارح المواقف مستدلًا على خلق الجنة: لنا وجهان:

الأول: قصة آدم وحواء وإسكانهما في الجنة، وإخراجهما عنها بالزلة على ما نطق به الكتاب.

---

(١) انظر الفخر الرازي جـ ٩ ص٥، ٧، وروح المعاني للألوسي جـ ٤ ص ٥٦، ٥٧ .
(٢) ابن كثير جـ ١ ص ٤٠٤ .
(٣) الفخر الرازي جـ ٩ ص ٦ .
(٤) الرازي جـ ٩ ص ٤ .

الثاني: قوله تعالى في صفتها - أي الجنة - ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣]. ويستدل بالسنة على خلقهما الآن فيقول: ومن تتبع الأحاديث الصحيحة وجد فيها شيئًا كثيرًا مما يدل على وجودها دلالة ظاهرة[١].

ومن الأحاديث التي أشار إليها شارح المواقف ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرا بَلْهَ ما أطلعكم الله عليه» ثم قرأ:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة :١٧][٢].

ومعنى «بله ما أطلعكم الله عليه» أي دع عنك ما أطلعكم الله عليه، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم، وكأنه أضرب عنه استقلالا في جنب ما لم يطلع عليه» [٣].

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي»** [٤] وبهذا الحديث وغيره استدل ابن كثير على أن الجنة والنار مخلوقتان معدتان لأصحابهما. كما نطق بذلك القرآن: وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ.. ويُرجع ابن كثير السبب في زعم بعض العلماء أن الجنة والنار لم تخلق بعد إلى أنهم لم يطلعوا على الأحاديث المتفق على صحتها في الصحيحين، وذكر منها الحديث السابق، والأحاديث الدالة على رؤية الرسول ﷺ للجنة ليلة الإسراء والمعراج» [٥].

---

(١) شرح المواقف بتصرف جـ ٢ ص ٤٤٥ .

(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥٣٠ .

(٣) انظر مسلم بشرح النووي جـ ١٧ ص ١٦٦ .

(٤) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٨٦، ٢١٨٧ .

(٥) النهاية في الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٣٩٢، ٣٩٣ .

ويذكر صاحب المقاصد إجماع المسلمين على خلق الجنة قبل ظهور المخالفين، وذلك للآيات الصريحة التي وردت في ذلك. مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم :١٣-١٥] وكقوله في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣] ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد :٢١] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء :٩٠][١] وهذه دلائل ثابتة من الكتاب والسنة، دلائلها واضحة على أن الجنة مخلوقة الآن ومعدة للمتقين [٢]. وما عرضناه هو مذهب أهل السنة الذين أجمعوا على أن الجنة مخلوقة الآن.

رأي المعتزلة في خلق الجنة:

يذهب علماء المعتزلة إلى أن الجنة لم تخلق بعد، إذ لو كانت مخلوقة لفنيت؛ لقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] يقول القاضي عبد الجبار: «**ربما قيل في قوله تعالى**: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ﴾ [**الرعد** :٣٥]: أليس فيه الدلالة على أن الجنة مخلوقة الآن، وذلك بخلاف ما تقولون؟ وجوابنا أن جنة الخلد والثواب ليست بمخلوقة الآن، لفنيت [٣] إذا أفنى الله تعالى العالم، فكان لا يكون أكلها دائمًا. فدل ذلك على أنه تعالى يخلقها في الآخرة فيدوم أكلها [٤].

والذي ذهب إليه القاضي عبد الجبار يفنده صاحب المواقف بقوله: «**إن المراد بالآية**: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] أي: بدلًا، أي كلما فنى منه شيء جيء ببدله فإن دوام أكلٍ بعينه غير متصور، لأن الإنسان إذا أكل شيئًا من الجنة فقد فنى ذلك الشيء، ودوام أكله على سبيل البدل لا ينافي هلاكه» [٥]. ويمكن أيضًا تخصيص

---

(١) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦١ ، وانظر الإرشاد للجويني ص ٣٧٨ .

(٢) شرح الطحاوية ص ٣٧١ .

(٣) لعلها لو كانت مخلوقة لفنيت حتى تستقيم العبارة.

(٤) تنزيه القرآن عن الظالمين للقاضي عبد الجبار ص ٢٠٤ .

(٥) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٥ .

الجنة من الفناء والهلاك، والمراد من قول الله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن :٢٦] أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك، والجنة خلقت للبقاء لا للفناء [١] وذلك جمعًا بين الأدلة التي تثبت الفناء والتي تثبت خلق الجنة [٢] ووجودها الآن؛ ويرد صاحب مطالع الأنظار على القاضي عبد الجبار ومن ذهب مذهبه من المعتزلة القائلين بعدم خلق الجنة الآن؛ بأنه لا يلزم من كون الجنة مخلوقة الآن عدم دوامها، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؛ لأن معنى الآية أن ما سوى الله معدوم في حد ذاته، وبالنظر إلى ذاته من حيث هو مع قطع النظر عن موجده، لأن كل ما سواه ممكن، والممكن بالنظر إلى ذاته لا يستحق الوجود، فلا يكون بالنظر إلى ذاته موجودًا، وليس معنى الآية أن ما سوى الله تعالى يطرأ عليه العدم، ولذلك فلا يلزم من كون الجنة مخلوقة الآن طريان العدم عليها [٣].

ومما يستدل به القاضي عبد الجبار أيضًا على عدم خلق الجنة قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف :٤٤] يقول: «**كيف يصح ذلك، والجنة ما خلقت بعد ولا دخلوها**». ويجيب بقوله: «**جوابنا أن التقرير في ذلك، أنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ أني سأكلف الناس، فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار، فعند ذلك ينادي أهلُ الجنة أهلَ النارِ. وليس كلُ ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ ينزله الله تعالى إلى الرسول ﷺ**» [٤].

ونلاحظ أن القاضي عبد الجبار يؤول النصوص الواردة في خلق الجنة والنار مخالفًا بذلك الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على خلق الجنة ونعيمها الآن وإعدادها للمتقين من عباده عز وجل.

---

(١) شرح الطحاوية ص ٣٧٣ .

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري جـ ٢ ص ١٦٧، ١٦٨، والمسايرة في علم الكلام ص ١٥٣ .

(٣) انظر مطالع الأنظار لأبي الثناء شمس الدين الأصفهاني مع متنه طوالع الأنوار للقاضي البيضاوي ص ٤٤٩، ٤٥٠ بدون تاريخ ولا ناشر.

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن بتصرف ص ١٤٧ .

وتبقى هنا جزئية أخرى وهي: هل الجنة التي أعدها الله للمتقين هي الجنة التي أسكن الله آدم فيها، أو هي جنة في الأرض كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء؟ يقول الله عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥] والذين يذهبون إلى أنها الجنة التي أعدها الله للمتقين في الآخرة يستدلون بما رواه الإمام مسلم بسنده عن طاوس قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خَيَّبْتَنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: فحج آدم موسى فحج آدم موسى»** (١).

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«تحاج آدم وموسى، فحج آدمُ موسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة. فقال آدم: أنت الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: فتلومني على أمر قدر عليَّ قبل أن أخلق؟»** (٢). ووجه الاستدلال أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم لو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من البساتين، فلم يخرجوا من الجنة (٣). ولو كانت جنة آدم بستانًا في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه (٤).

واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف:٢٤].

ووجه الاستدلال بالآية من وجهين:

الوجه الأول: من لفظه: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة:٣٦] فإنه نزول من علو إلى سفل.

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٠٤٢، ٢٠٤٣، طبعة الحلبي.
(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٤ ص ٢٠٤٣ ، طبعة الحلبي.
(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢١ الناشر مكتبة المتنبي القاهرة.
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٣٤٩ الناشر مكتبة ابن تيمية – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.

الوجه الثاني: قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [البقرة :٣٦] عقب قوله: ﴿اهْبِطُوا﴾ [البقرة :٣٦] فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض. ثم أكد بعد ذلك هذا بقوله في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف :٢٥].

ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج [(١)]. وذلك يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة [(٢)] ويستدلون أيضًا على أن فيها الخلد من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه :١١٨-١١٩] وهذا لا يكون في الدنيا أصلًا. يقول ابن قيم الجوزية **«إن الرجل لو كان في أطيب منازل الدنيا لا بد وأن يعرض له شيء من ذلك»**. وقابل الله بين الجوع والظمأ والعرى والضحى، فإن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر. والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الباطن والظاهر، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى، وهذا شأن ساكن جنة الخلد» [(٣)].

ومن أدلتهم على أن جنة آدم هي جنة الخلد: أنها تأتي في القرآن الكريم على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب، والبيت ونحوها، ولا يطلق ذلك إلا على معهود، ولا تطلق الجنة هكذا إلى على جنة الخلد [(٤)]. والجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة :٣٥] وغير ذلك في القرآن كثير. ولا جنة يعهدها المخاطبون يعرفونها إلا جنة الخلد، التي وعد الرحمن عباده بالغيب. وإذا أريد التعبير عن جنة غير جنة الخلد، فإنها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة أو مقيدة من السياق بما يدل

---

(١) حادي الأرواح ص ٢٢ . (٢) مجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٣٤٨ .

(٣) حادي الأرواح ص ٢٢ .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩.

على أنها جنة في الأرض. كقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ [الكهف :٣٢] فإنها هنا نكرة: وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف :٣٩] فإنها هنا مقيدة بالإضافة. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم :١٧] فإنها هنا مقيدة بأنها جنة في الأرض، ويفهم هذا من السياق [١]. كانت هذه أدلة الذين ذهبوا إلى أن الجنة التي أسكنها الله لآدم هي جنة الخلد.

وهناك فريقٌ آخر من العلماء يذهب إلى أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم وزوجه ليست جنة الخلد. وأدلتهم باختصار في:

أن الله عز وجل قد أخبر على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها الله عز وجل بصفات عديدة، ومحال أن يصف الله شيئًا بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة، مثل وصف الجنة بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها وخلد فيها، وآدم لم يقم بها ولا خلد فيها، وجنة الخلد لا تكليف فيها ولا أمر ولا نهي فيها، وهي دار سلامة لا محل ابتلاء، والله عز وجل أخبر عن جنة الخلد بأنها لا لغوٌ فيها ولا تأثيم، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغوًا ولا كذابًا, وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس، وسماها الله تعالى مقعد صدق، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه. قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف :٢١][٢].

ويفند أهل السنة حجج من ذهبوا إلى أنها ليست جنة الخلد، بالرد على كل حجة أثاروها:

فبالنسبة للذين يزعمون أن جنة آدم ليست جنة الخلد لأنها لو كانت لما جاز

(١) الفصل لابن حزم جـ ٣ ص ٦٩ وحادي الأرواح ص ٢٤ .

(٢) وانظر الفخر الرازي جـ ٣ ص ٤، وحادي الأرواح ص ٢٥، ٢٩، وفي الأخير عرض كامل للأدلة كلها.

دخولها قبل يوم القيامة. فيجاب بأن المراد بدخولها يوم القيامة الدخول المطلق والاستقرار الدائم فيها، أما الدخول العارض فيمكن أن يقع قبل يوم القيامة. والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ دخل الجنة ليلة الإسراء والمعراج، وأن أرواح المؤمنين الشهداء في البرزخ في الجنة.

وأما الاحتجاج بسائر الوجوه من النصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا حق لا شك فيه. ولكن هذا يكون إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة. كما يدل عليه سياق الآيات، وهذا لا ينفي أن تلك الأمور حدثت لآدم، ولكنها تصير إلى ما أخبر الله عنها من عدم وجود النصب واللغو وغير ذلك فلا تنافي بين الأمرين.

وأما ما ذهبتم إليه من أن جنة الخلد لا تكليف فيها ولا ابتلاء. وجنة آدم أمره الله فيها ونهاه وابتلاه فجوابه من وجهين:

الأول: أنها لن تكون دار تكليف حين يدخلها المؤمنون يوم القيامة.

الثاني: أن التكليف فيها ليس بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من صلاة وصيام وجهاد، وإنما كان نهيًا عن شجرة إما بنوعها، وإما بعينها وهذا لا يمتنع وقوعه في دار الخلد. كما أن كل واحد محجورٌ عليه أن يقرب أهل غيره فيها، فإن أردتم بكونها ليست دار التكليف بامتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات، فلا دليل عليه، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم [١].

والحق ما ذهب إليه أهل السنة في أن جنة الخلد هي الجنة التي أسكن الله فيها آدم لذكرها في القرآن الكريم معرفة، ولدلالة الأحاديث على ذلك، مثل حديث احتجاج موسى على آدم عليه السلام. وإلى هذا ذهب جمع من العلماء [٢] وهذا هو الذي فطر الله عليه الناس، صغيرهم وكبيرهم، ولم

---

(١) انظر بالتفصيل حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٣٢ ،٣٣، ٣٤ .

(٢) انظر شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٥، والفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩، وحادي الأرواح ص ٢٥، ومجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٣٧٤ .

يخطرْ بقلوبهم سواه، وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعًا [١].

عدد الجنة ودرجاتها:

الجنة: البستان ومنه الجنات. والجنة: اسم لدار الخلد، وهي مشتملة على جنان كثيرة، مرتبة حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان [٢]. وعدد الجنات التي يتمتع فيها المؤمنون يوم القيامة أربع، وهذا العدد هو الذي ورد في القرآن الكريم ونطقت به السنة. يقول الله عز وجل في سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن :٤٦] وعدَّدَ الله صفات هاتين الجنتين فذكر أنهما ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن :٤٨-٥٢] وذكر أن المؤمنين فيها ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن :٥٤] وذكر الله عز وجل أن ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن :٥٦] وبعد أن ذكر الله هاتين الجنتين وعدد صفاتهما قال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن :٦٢] وعدد أوصافهما بقوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن :٦٤] وقال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن :٦٦] وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن :٦٨] وقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن :٧٠] وقال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن :٧٢] وقال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن :٥٦] وقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن :٧٦] والجنتان الأوليان تختلفان عن الأخريين، إذ إن الله عز وجل قال عن الأوليين ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ [الرحمن :٦٢] ودون تستخدم في اللغة نقيض فوق وهو تقصيرٌ عن الغاية [٣]. وهي إما أن تكون دونًا في الشرف والمنزلة، وأما أن تكون دونًا في المكان.

---

(١) مختار الصحاح ص ١١٤ .

(٢) الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٢٥٧ .

(٣) مختار الصحاح ٢١٦ .

وذهب الزمخشري إلى أن الأخريين دون الأوليين في الشرف والمنزلة: يقول عن الجنتين الأخريين: فإن قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما؟ قلت: مدهامتان دون ذواتا أفنان، ونضاختان دون تجريان، وفاكهة دون من كل فاكهة، وكذلك صفة الحور والمتكأ (١).

والرازي يذهب إلى أن الجنتين الأخريين دون الأوليين في المكان، كأنهم في جنتين ويطلعون من فوق على جنتين أخريين دونهما، واستدل بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر :٢٠](٢) ونرجح أن الجنتين الأخريين دون الأوليين في المنزلة والشرف وذلك لأمرين:

الأمر الأول: لأن أوصاف الجنتين الأخريين تختلف عن صفات الأوليين، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم وفهم الزمخشري ذلك.

الأمر الثاني: ما ورد في الصحيح أن في الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، وسيأتي الحديث عن ذلك.

وقد رجح ابن قيم الجوزية أن الجنتين يمتازان عن الأخريين بعشر صفات:

الأولى: أنه ذكر في الأوليين بأنهما ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمٰن :٤٨] ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثانية: أنه في الأوليين قال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمٰن :٥٠]، وفي الأخريين قال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٦] والنضاخة هي الفوارة. والجارية أفضل من النضاخة؛ لأنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالثة: أنه وصف الأوليين بأن فيهما ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمٰن :٥٢] وقال في الأخريين ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمٰن :٦٨] ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل وأفضل.

---

(١) الكشاف للزمخشري جـ ٤ ص ٥٠ .

(٢) تفسير الرازي جـ ٢٩ .

الرابعة: أنه قال في الأوليين ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ [الرحمٰن :٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها. وقال في الأخريين ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمٰن :٧٦] وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وعلى كل قول لم يصف الأخريين بما وصف فرش الأوليين.

الخامسة: أنه قال في الأوليين ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن :٥٤] أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك في الأخريين.

السادسة: أنه قال في صفة نساء الأوليين ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمٰن :٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن أيضًا قصر نظر أزواجهن عليهن، وقال في الأخريين ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن :٧٢] ومن قصرت طرفَها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرتْ بغيرها.

السابعة: أنه في الأوليين وصف نساءَهن بالياقوتِ والمرجان في صفاءِ اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامنة: أنه قال سبحانه في الجنتين الأوليين ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن :٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابَهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسعة: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقام ربه وهذا يدل على أنهما أعلى، فرتب الجزاءَ المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم بعد ذلك جنتي أصحاب اليمين.

العاشرة: أنه قال عن الأوليين ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق. فإن قيل كيف انقسمت هذه الجنان الأُربع على

من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين - كما ذكرنا - كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما(١).

ودلت السنةُ أيضًا على أن عدد الجنات أربع، لا أكثر من ذلك؛ لما رواه الشيخان والترمذي واللفظ لمسلم عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: **«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»** (٢) وهذا يدل دلالة واضحة على أنهم أربع، أما ما جاء عن أسماء الجنات في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: جنات المأوى نزلًا - جنات الفردوس - وجنات عدن - ودار السلام - ودار المقامة - ودار الخلد - وجنات النعيم - المقام الأمين - مقعد صدق. فتلك كلها أسماء لها باعتبار صفاتها ومسماها واحد (٣). يقول الحليمي في منهاج الدين: **«إنما منعنا أن نجعل كل واحدة من العَدْنِ، والمأوى، والنعيم جنة سوى الأخرى؛ لأن الله تعالى إن كان سمى شيئًا من هذه الأسماء جنة في موضع، فقد سمى الجنات كلها بذلك الاسم في موضع آخر. فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة عن جنة، ولكنها للجنان أجمع، وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعًا»** (٤). وقد اتضح لنا من الكتاب والسنة أن عدد الجنات أربع؛ لما ذكره الله عز وجل في سورة الرحمن؛ ولما ورد عن رسول الله ﷺ من أنهما أربع: جنتان من فضة وجنتان من ذهب.

درجات الجنة:

ونعنى بالدرجات هنا المنازل التي ينزلها الله لعباده المتقين في الجنة، فكما أن الناس يتفاوتون في الإيمان والعمل الصالح فهم يتفاوتون أيضًا في منازلهم عند الله

---

(١) انظر حادي الأرواح لابن قيم الجوزية ص ٧١، ٧٢، والفخر الرازي جـ ٢٩ ص ١٣٠ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٩١ طبعة الحلبي - وتحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٣٢ .
(٣) حادي الأرواح ص ٦٥ .
(٤) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٩٧ .

عز وجل. ولقد تحدث القرآن الكريم عن درجات الناس ومنازلهم في الآخرة. يقول الله عز وجل ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء :٩٥-٩٦] ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال :٢-٤].

ويقول تعالى ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء :٢١] وأغلب المفسرين على أن تلك الدرجات مقصودٌ بها منازل الآخرة, ودرجات الجنة [١]. ومما يدل على أن الجنة درجات والمؤمنون يتفاضلون فيها حسب إيمانهم وأعمالهم، ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُريَّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**». قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «**بلى: والذي نفسي بيده. رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[٢].

ويستدل ابن حجر بهذا الحديث على أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، إلى حد أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم، ومعنى ذلك أنهم في العلو كدرجة النجم في السماء حين يراه الناس على الأرض.

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٤٧٦، والفخر الرازي جـ ١٥ ص ١٢٤، والآلوسي جـ ٩ ص ١٦٨ .

(٢) البخاري، ومسلم جـ ٢ ص ٥٣١ .

ويدل أيضًا على درجات الجنة ما رواه الترمذي بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وفيها تفجر أنهارُ الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون عرشُ الرحمن، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس**»(١).

والحديث صريح في أن الجنة درجات وأن في الجنة مائة درجة، وهذه الدرجات متباعدة جدًّا لدرجة أن ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، وأن الفردوس أعلى تلك الدرجات لأنها تحت عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة. وهذا الحديث الذي بيَّن درجات الجنة موافق تمامًا لقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء :٢١].

وقوله ﷺ «**ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**» موافق للحديث السابق والذي فيه أن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق.

أبواب الجنة وخزنتها:

يقول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر :٧٣].

ويقول تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص :٤٩-٥٠] والأبواب المفتحة في الجنة تدل على التكريم والحفاوة من خزنة الجنة. وفي الآية الأخيرة وجوه تدل على التكريم كما يقول الرازي:

الأول: أن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام، فيدخل محفوفًا بالملائكة على أعز حالٍ وأجملِ هيئة.

---

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٣٧ .

الثاني: أن هذه الأبواب كلما أرادوا فتحها فتحتْ لهم، وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم.

الثالث: أن المراد من فتح الأبواب وصف تلك المساكن بالسعة ومسافرة العيون فيها ومشاهدة الأحوال الطيبة [(١)]، وفيه أن أهل الجنة إذا دخلوا ظلت أبواب الجنة مفتحة عليهم، وأما النار فإن أهلها إذا دخلوها أغلقت عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة :٨-٩][(٢)] وقوله تعالى﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] يقول القرطبي: قال جماعة من أهل العلم هذه واو الثمانية، فللجنة ثمانية أبواب [(٣)]. ويدل على أن أبواب الجنة ثمانية، ما رواه الإمام البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»**. وقال النبي ﷺ: **«من أنفق زوجين دُعِي من باب الجنة»**[(٤)].

وروى الإمام مسلم بسنده عن عقبة بن عامر قال: أدركت رسول الله ﷺ قائمًا يحدث الناس فأدركت من قوله: **«ما من مسلم يتوضأ فيُحسِنُ وضوءه إلا وجبت له الجنة»**. قال: فقلت: ما أجودَ هذه. فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قال: إني قد رأيتك جئتَ آنفًا قال: **«ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسولُه؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»** [(٥)] فهذه الأحاديث تدل على أن للجنة أبوابًا، وأن بعض الأعمال تسوغ الدخولَ من بابٍ بعينه كالريان، وبعض الأعمال تسوغ للمؤمن أن يدخلَ من أي الأبواب أراد. وعن اتساع أبواب الجنة روى

---

(١) الفخر الرازي جـ ٢٦ ص ٢١٨، ٢١٩ .

(٢) وانظر حادي الأرواح ص ٣٩ .

(٣) نفسه ص ٣٨، وانظر التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٤٨ .

(٤) فتح الباري جـ ٦ ص ٢٥٣ .

(٥) صحيح مسلم جـ ١ ص ١١٨ .

الترمذي بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثًا . ثم إنهم يضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»** (١).

ووجه الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث الأخرى التي تثبت أن للجنة ثمانية أبواب أن سائر الأمة سوف تدخل من هذا الباب، وأن بقية الأبواب هي للممتازين بالأعمال الصالحة كالصدقة والجهاد، والصوم، والحج، وغير ذلك من الأعمال.

ومما يدل على سعة أبواب الجنة ما رواه مسلم في حديث الشفاعة الطويل وفيه: **«فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمدٍ بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصري»** (٢) ودلالة الحديث على أن أبواب الجنة في منتهى الاتساع، فإن الراكبَ المُجِد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلًا ولا نهارًا يقطع هذه المسافة في زمن ليس باليسير (٣).

خزنة الجنة:

إن للجنة خزنة أي مؤتمنين على الجنة، لا يدخلها أحدٌ، إلا بعد أن يفتح خزنتها أبوابَها. والخزنة جَمْعُ خازن كحافِظ وحَفَظَة. والخازن هو المؤتمن على الشيء(٤).

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الخزنة في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ

---

(١) تحفة الأحوذي جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٣، ١٠٤ طبعة الحلبي.

(٣) حادي الأرواح ص ٤٣ .

(٤) نفسه ص ٧٥ .

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر :٧٣] وورد ذكر الخازن فيما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرتُ، لا أفتح لأحدٍ قبلك»** (١).

الجنة جزاء للمؤمنين:

تكثر الإشارة في القرآن الكريم إلى أن الله عز وجل أعد الجنة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، وأشار رسول الله ﷺ إلى ذلك في أحاديث كثيرة. يقول الله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة :٨٢] ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود :٢٣] ومعظم آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة. ووردت الأحاديث التي تفيد ذلك.

فقد روى الإمام مسلمٌ عن موسى بن طلحة عن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار. قال: **«تعبدُ الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك»**. فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: **«إن تَمَسَّكَ به دخل الجنة»** (٢).

وروى مسلم بسنده أيضًا عن أبي هريرة أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلتُ الجنة. قال: **«تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»**. قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا أبدًا ولا أنقص منه. فلما ولي قال النبي ﷺ: **«من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»** (٣) وهذه الأحاديث مع

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٥ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٥، ٢٦ .
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٦ .

آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة.

وقد وردت أحاديث أخرى تبين أن مطلق الإيمان فقط يدخل الإنسان الجنة. من تلك الأحاديث ما رواه الإمام مسلم بسنده عن المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل عليه السلام. فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. قلت: وإن زني وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»(١).

وروى مسلم أيضًا عن أبي ذر قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو نائمٌ عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه، فقال: «ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ ثلاثًا ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر» قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر(٢).

وهذه الأحاديث تبين أن الشهادتين تدخلان الإنسان الجنة، حتى وإن زنى وإن سرق. والعلماء مختلفون في ذلك، وسوف نعرض للآراء بالتفصيل عند الحديث عن الخلود في النار، ومذاهب العلماء في هذا، والذي يهمنا هنا أن نثبت رأي أهل السنة في أن من آمن وعَمِلَ صالحًا، أدخله الله الجنة, ليس على سبيل الاستحقاق والوجوب، وإنما على سبيل الفضل والرحمة، وأن من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ومات على كبيرة من غير توبة؛ فهو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه. إلا أن أهل السنة يقطعون بأن من شهد الشهادتين ومات على كبيرة ولم يتب؛ فإن الله لن يخلده في النار، بل يخرج من النار ويدخل الجنة، لا بطريق الوجوب، وإنما بمقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالدليل كتخليد أهل الجنة. ويستدلُ أهل السنة على ذلك بوجوه منها: الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة، وليس ذلك قبل دخول النار وفاقًا، فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب، أو بدونه وهو مسألة العفو التام. فإن الله عز وجل

---

(١) نفسه جـ ١ ص ٥٢ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٢ .

قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة :٧] وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [غافر : ٤٠].

واستدلوا بالأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ - مثل: **«من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»** ومثل قوله ﷺ: **«من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق»** (١).

وأيضًا النصوص المشعرة بالخروج من النار كقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام :١٢٨] وكقوله تعالى ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران :١٨٥](٢).

أطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة:

ما دمنا قد تحدثنا عن أن الجنة مأوى للمؤمنين الذين عملوا الصالحات، وللمؤمنين الذين نطقوا بالشهادتين، فلنكمل حديثنا ببيان حكم أطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة.

أولًا: أطفال المسلمين:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم :٣٠].

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: **«ما من**

---

(١) مسلم.

(٢) انظر في رأي أهل السنة المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٧، ١٦٨، وشرح المواقف للإيجي جـ ٢ ص ٤٤٥ - ٤٤٧، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ٢١٨: ٢٢٠، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٩٢، ٤٩٥- وسنتعرض بالتفصيل لرأي المعتزلة وأهل السنة في الخلود في النار.

مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» [١] ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم :٣٠] يقول النووي: **«أجمع من يعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، لأنه ليس مكلفًا، وتوقف فيه البعض»** [٢] والفطرة المذكورة في الآية والحديث مراد بها الإسلام. وهذا هو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم :٣٠] مراد بها الإسلام [٣] وما دام الطفل قد مات على الفطرة، أي على الإسلام، فقد أصبح من أهل الجنة. وبالغ ابن كثير فنقل الإجماع ورفع الخلاف بين العلماء في كون أطفال المسلمين في الجنة. يقول: **«لا خلاف بين العلماء أنهم من أهل الجنة، وهذا هو المشهورُ بين الناس ونقطع به»** [٤] ونحن مع ابن كثير في أن كونهم في الجنة هو المشهورُ بين الناس، ولسنا معه في أنه لا خلاف بين العلماء في ذلك، فقد توقف بعض العلماء في ذلك وحجتهُم في ذلك، ما رواه مسلم بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت: توفي صبيٌّ، فقلت: طوبى له! عصفورٌ من عصافير الجنة. فقال رسول الله ﷺ: **«أولا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا»** [٥].

وقد أجاب العلماء على من توقف في كونهم من أهل الجنة بناء على هذا الحديث بأن الرسول ﷺ لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع [٦] ويذكر البيهقي في الاعتقاد وابن حزم في الفِصَل أن الرسول

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٥٨ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢٠٧ .
(٣) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٢، ١٩٣ .
(٤) مختصر ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧١ .
(٥) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٥٩، ٤٦٠ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

ﷺ قال هذا قبل أن ينزل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور :٢١] فلما نزل ذلك وأكرم الله أمة محمد بإلحاق ذرية المؤمن به وإن لم يعملوا عمله، وجاءت الأخبار تدل على ذلك أي على دخولهم الجنة [١].

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي اثنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم **«صغارهم دعاميص الجنة»** أي صغارهم **«يتلقى أحدهم أباه - أو قال أبويه - فيأخذ بثوبه أو قال بيده، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا»** أي بطرف **«فلا يتناهى - أو قال لا ينتهي - حتى يدخله الله وإياه الجنة»** [٢].

وهذا نص صريح في أن أطفال المسلمين في الجنة. أما الحديث الذي احتج به من توقف فيهم وهو حديث عائشة **«عصفور من عصافير الجنة»** [٣]. فلا حجة لهم فيه، كما يقول ابن حزم؛ لأن الرسول ﷺ قال ذلك قبل أن يوحى إليه فلما أوحي إليه بأنهم في الجنة ذكر أنهم دعاميص الجنة - أي صغارهم - وهناك بعض الأشياء التي قالها الرسول ﷺ قبل أن يُعلمه الوحيُ بغيرها. منها ما قاله لعثمان بن مظعُون: **«وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»**. وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النار من شهد بدرًا [٤] وهذا ما نميل إليه، لأن أطفال المسلمين ماتوا على الفطرة، ولم يفعلوا شرًا حتى يجازوا عليه، ولدلالة الأحاديث على ذلك.

ثانيًا: أطفال المشركين

إذا كان هناك شبه اتفاق بين العلماء على أن أطفال المسلمين إذا ماتوا فهم في الجنة؛ فإن العلماء اختلفوا في أطفال المشركين. فذهبت طائفة إلى أنهم في النار، وطائفة ثانية إلى التوقف في حكمهم، وطائفة ثالثة إلى امتحانهم يوم القيامة،

(١) الاعتقاد والهداية إلى طريق الرشاد ص ١٦٦، ١٦٧ للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي - تحقيق أحمد عصام الكاتب - منشورات دار الآفاق الجديدة - الطبعة الأولى ١٩٨١ .

(٢) مسلم جـ ٢ ص ٤٤٨ .

(٣) انظر ص ٢٣٨ من هذا البحث.

(٤) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٣، ٦٤ .

وطائفة رابعة إلى أنهم في الجنة. وسنعرض لآراء العلماء ونرجح ما نراه على ضوء النصوص الواردة في القرآن الكريم والراجحة من أحاديث الرسول ﷺ.

الطائفة الأولى:

ذهبوا [(١)] إلى أنهم في النار تبعًا لآبائهم. واستدلوا بقول الله تعالى حاكيًا على لسان نوح ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح :٢٦-٢٧] واستدلوا أيضًا بما روى عن أم المؤمنين خديجة أنها سألت رسول الله ﷺ عن أولادها منه ﷺ فقال: **«هم في الجنة»** وسألته عن أطفالها من غيره ﷺ فقال: **«في النار»** فأعادت السؤال فقال ﷺ: **«إن شئت أسمعتك تضاغيهم»** [(٢)] ويفند ابن حزم حجة هؤلاء فيذكر أن قول نوح عليه السلام ليس على إطلاقه، فإنه لم يقل ذلك على كل كافر، بل قال ذلك على كفار قومه خاصة؛ لأن الله تعالى أخبره بأنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود :٣٦] فعندئذ أيقن نوح أنه لن يؤمن من قومه أحد فدعا عليهم. ولو كان الكفار لا يلدون إلا الكفار فماذا يقال في كبار الصحابة. فمع كون آبائهم كفارًا إلا أنهم كانوا من السابقين الأولين. ويفند ابن حزم قول الذين استدلوا بحديث أم المؤمنين خديجة، فيقول: إنه خبر ساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير [(٣)].

الطائفة الثانية:

توقفوا في حكمهم ولم يقطعوا بدخولهم الجنة أو النار. واستدلوا بما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين، من يموت منهم صغيرًا. فقال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»** [(٤)].

---

(١) منهم الأزارقة أتباع نافع من الخوارج. انظر الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل لابن حزم جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٢) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٨ .

(٣) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦١، ٦٣ .

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٥٩ .

وبما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين**» [١] ومعنى الحديث كما قال ابن قتيبة: الله أعلم بما كانوا عاملين لو أبقاهم، فلا تحكموا عليهم بشيء[٢]. ومال البيهقي إلى ذلك، يقول عن حكمِ أولاد المشركين: إن حكمهم في الآخرة موكول إلى علم الله عز وجل [٣] ويرد ابن حزم على هذه الطائفة، بأن قوله ﷺ الله أعلم بما كانوا عاملين قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة [٤].

الطائفة الثالثة:

ذهبت إلى أن أولاد المشركين سوف يمتحنون يوم القيامة [٥] بمعنى أن يكلفهم الله بأمر وينهاهم، فإذا أطاعوه أدخلهم الجنة، وإذا عصوه أدخلهم النار. واستدلوا بخبر عن رسول الله ﷺ: «**إذا كانَ يومُ القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولاً في عرصَة القيامة فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار**».

فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه ويجزيهم على ما ظهر من العلم - وهو إيمانهم أو كفرهم - وذهب إلى ذلك ابن تيمية واعتبر أن هذا «**أجود ما قيل في أطفال المشركين وعليه تتنزل جميع الأحاديث**» [٦]. ويُردُّ على ابن تيمية ومن ذهب مذهبه بأن الحديث الذي يستدلون به على الامتحان للأطفال في الآخرة صح في حق المجانين وأهل الفترة.

يقول ابن حزم: «**هذا القول باطل ؛ لأن الأثر الذي فيه هذه القصة إنما جاء في المجانين وفيمن لا يبلغه ذكر الإسلام**» [٧] وذكر ابن حجر في الفتح أنه «**قد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة**» [٨].

---

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٠ .
(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩١ .
(٣) الاعتقاد للبيهقي ص ١٦٥ .
(٤) ابن حزم جـ ٤ ص ٦٤ .
(٥) المقاصد للسعد جـ ٦ ص ١٦٨ .
(٦) مجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٢٤٦، ٢٤٧ .
(٧) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٤ .
(٨) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩١ .

الطائفة الرابعة:

ذهبت إلى أن أطفال المشركين في الجنة، واستدلوا على ذلك بقول الله عز وجل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء :١٥].

ومعلوم أن الأطفال لم يبعث الله إليهم رسولا. ويستدلون بقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر :٣٨]والطفل لم يكتسب إثمًا حتى يعذب [١].

ويُستدل على أن أطفال المشركين في الجنة بما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«كل مولودٍ يولدُ على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء»** [٢]. وذهب البخاري إلى أن أطفال المشركين في الجنة يقول ابن حجر: **«وقد جزم في تفسير سورة الروم بما يدل على اختيار القول الصائر إلى أنهم في الجنة»** [٣] ورجح النووي ما ذهب إليه البخاري، وذكر أن الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة [٤]، واستدل بقول الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء :١٥].

وبما رواه البخاري بسنده عن سمرة بن جندب وفيه قول الرسول ﷺ: **«فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان»** وفي نهاية الحديث **«والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان من حوله أولاد الناس»**[٥] ودلالة الحديث أن أولادَ الناس - وهو اسم جنس يشمل المؤمن والكافر - حول إبراهيم عليه السلام في الجنة، والفطرة في الحديث معناها الإسلام كما هو معروف عند السلف [٦].

---

(١) انظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٣٧٧، ٣٧٨ .
(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤ .
(٣) نفسه جـ ٣ ص ١٩٠ .
(٤) مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢٠٨ .
(٥) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٥، ١٩٦ .
(٦) انظر فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٢، ١٩٣، ومسلم بشرح النووي ١٦ ص ٢٠٨ .

وانتصر ابن حزم للرأي القائل بأن أطفال المشركين في الجنة، وفند أدلة الذين توقفوا في أمرهم، والذين ذهبوا إلى أنهم في النار، والذين قالوا بامتحانهم يوم القيامة. يقول: وجدنا الله تعالى قد قال ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم :٣٠] وقال ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة :١٣٨] نص الله تعالى على أنه فطر الناس على الإيمان، وأن الإيمان هو صبغة الله تعالى، وقال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف :١٧٢].

وقال تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر :٤٢] يقول ابن حزم: فصح يقينا أن الغواية داخلة على الإيمان، وأن الأصل في كل واحد هو الإيمان، وكل مؤمن فهو في الجنة.

وقال تعالى ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل :١٤-١٦] وليست هذه صفة الصبيان، فصح أنهم لا يدخلون النار. ولا دار إلا الجنة، ويقول: صح بالثابت من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففي الجنة، ولا يحل لأحد تعدي ما صح بالقرآن والسنن[1]. والحق ما ذهب إليه ابن حزم، فهو الذي تعضده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو الذي يتفق مع روح الإسلام.

* * *

(١) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٤، ٦٥ .

أهل الفترة:

ونقصد بأهل الفترة الذين لم تبلغهم رسالة الإسلام سواء قبل بعثة الرسول ﷺ، أو بعد بعثته ﷺ، والمشهور أنهم لا يعذبون لعموم قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء :١٥] وهذا ما عليه أهل الكلام من الأشاعرة، وأصحابُ الأصول والشافعيون من الفقهاء، أن أهل الفترة لا يعذبون. وأطلقوا القول في ذلك. فإن قيل: قد صح عذاب جماعة من أهل الفترة فقد أجيب بأن أحاديثهم آحاد، لا تعارض القطع بعدم التعذيب قبل البعثة، أو يجوز أن يكون التعذيب مقصورًا على من غيَّر وبدل من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع. كما فعل عمرو بن لحي [١] وهو أول من أطلق السائبة.

وذهب بعض العلماء إلى أنهم يُمتَحنون، بمعنى أن يكلفهم الله يوم القيامة ويأمرهم وينهاهم، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، واستدلوا ببعض الأخبار التي وردت عن رسول الله ﷺ في ذلك. منها ما رواه البزار عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ **«الهالك في الفترة والمعتوه والمولود. يقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب. ويقول المعتوه: رب لم تجعل لي عقلا أعقِلُ به خيرًا ولا شرًا. ويقول المولود: رب لم أدرِكْ العقل. فترفع لهم النار فيقال لهم: ردوها. قال: فيردها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل، فيقول: إياي عصيتم، فكيف لو أن رسلي أتتكم»** [٢].

وما رواه معاذ بن جبل؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيرًا. فيقول الممسوخ: يا رب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيته عقلا بأسعد مني. وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الربُ عز**

---

(١) روح المعاني للألوسي جـ ١٥ ص ٣٦، ٤٠ .

(٢) ابن كثير جـ ٣ ص ٣٠ .

وجل: إني آمركم بأمر فتطيعوني؟ فيقولون: نعم. فيقول: اذهبوا فادخلوا النار. قال: ولو دخلوها ما ضرتهم، فتخرج عليهم قوابض، فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء، فيرجعون سراعًا، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك. فيقول الربُّ عز وجل: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون، وعلى علمي خلقتكم، وعلى علمي تصيرون. فتأخذهم النار» (١) وهذه الأخبار وردت من طرق متعددة (٢) كما جاء في الإصابة.

يقول ابن حجر: «**قد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الجاهلية من طرق صحيحة**» (٣)، وحكى البيهقي في الاعتقاد بأن ذلك هو الصحيح والبعض رد هذه الأخبار بناء على أن الامتحان في الآخرة لا يجوز؟ لأن الآخرة دار جزاء ولا تكليف فيها. ويفند ابن كثير هذا الرأي بقوله: لا شك أن الآخرة دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة والنار، وقد قال تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم :٤٢] وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة، وأن المنافقين لا يستطيعون ذلك، ولا تُرَدّ هذه الأخبار بحجة أنهم كيف يدخلون النار وليس ذلك في وسعهم؟ فليس هذا يمنع صحة الحديث، فإن الله يأمر عباده بالمرور على الصراط، وليس دخولهم النار بأعظم من المرور على الصراط.

وقد ثبت في السنة أن الدجّال الذي يأتي قبل قيام الساعة معه جنة ونار، وقد أمر الشارع الذين يدركونه أن يشرب أحدُهم من الذي يرى أنه نار، فإنه يكون عليه بردًا وسلامًا، فهذا نظير ذاك(٤).

ونرجح الرأي القائل بأن أهل الفترة يمتحنون في الآخرة لصحة الأحاديث الواردة في ذلك. وهذا أفضل ما يجبُ أن تُحَمَل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم كالذين لم تبلغهم دعوة الإسلام

---

(١) نفسه. (٢) روح المعاني للألوسي جـ ١٥ ص ٤١ .

(٣) فتح الباري جـ ١٣ص ١٩١.

(٤) ابن كثير جـ ٣ ص ٣١، والاعتقاد للبيهقي ص ١٧ وما بعدها.

إطلاقًا، ولم يسمعوا عن القرآن ولا عن الرسول ﷺ.

نعيم الجنة:

مما يذكره القرآن الكريم والسنة المطهرة النعيم الذي يتنعم به أهل الجنة، الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وفيها الأزواج المطهرة، وفيها رضوان الله الذي يحله على المؤمنين في الجنة. بقول الله تعالى ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران :١٥].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥] وهذه الآية وما قبلها دلت على كمال النعيم والسرور، لأن مجامع اللذات تكون في المسكن، والمطعم، والمنكح، فذكر الله عز وجل المسكن بقوله ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة :٢٥] والمطعم بقوله ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة :٢٥]، والمنكح بقوله ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة :٢٥] ثم أكمل الله هذا النعيم على عباده في الجنة برفع الخوف، والحزن من زوال هذه الملذات [١] فقال ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة :٢٥] وأكمل النعيم بالبقاء والخلود، ثم بإحلال الرضوان على المؤمنين في الجنة. ويشرح رسول الله ﷺ نعيم أهل الجنة في الطعام والشراب فيما رواه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله. قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك، يُلْهَمُونَ التسبيحَ والحَمْدَ كما تُلْهَمُون النَّفس»** [٢].

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥٣٣ .

ولا غرابة في طعام أهل الجنة وشرابهم مع عدم بولهم وتغوطهم. ويذكر القرآن الكريم أيضًا عن طعامهم أن لهم: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١] وأخبر رسول الله ﷺ عن طير الجنة ولذتها. روى الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ فقال: **«ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر»** قال عمر: إن هذه لناعمة. فقال رسول الله ﷺ **«أَكَلَتُها أنعمُ منه»** (١) قال الترمذي هذا حديث حسن. ومعنى أنها ناعمة أي سمان مترفة. وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن أول طعام أهل الجنة فقال فيما رواه مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن يهوديا سأل الرسول ﷺ عن أول الناس إجازة. قال: **«فقراء المهاجرين»** قال اليهودي: وما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: **«زيادة كبد النون»** قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: **«ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»** (٢).

وأما شراب أهل الجنة. فإن القرآن الكريم عدَّدَ أصنافًا شتى من الشراب لأهل الجنة، فهم يشربون: ﴿مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦] والأبرار يوم القيامة ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين :٢٥-٢٨]. ومعنى الرحيق المختوم أن الأبرار يشربون من شراب مختوم عليه، تكريمًا له بالصيانة، وعلى ما جرت العادة من ختم ما يكرم أو يصان، وهناك خمر آخر منه الأنهار التي ورد ذكرها في قوله تعالى ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد :١٥] إلا أن هذا الرحيق المختوم أشرف وأطيب وألذ من أنهار الخمر المشار إليها، والمعنى لذاذة المقطع وذكاء الرائحة مع طيب الطعم. والتسنيم علمٌ لعين في الجنة، إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما أنها تأتي للأبرار

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٥٠ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٢.

من فوقهم. قال ابن عباس أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم، لأنه يشربه المقربون صرفًا. ويمزج لأصحاب اليمين» [(١)].

وأما مساكن أهل الجنة فإن القرآن الكريم يذكر عن تلك المساكن أنها طيبة. يقول الله تعالى ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الصف :١٢].

وتحديث الرسول ﷺ عن تلك المساكن الطيبة - فيما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ - قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولُها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوفُ عليهم المؤمن فلا يرى بعضُهم بعضًا**» [(٢)].

وروى الترمذي بسنده عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لغرفًا يُرى ظهورُها من بطونِها وبطونُها من ظهورِها**». فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا نبي الله؟ قال: «**هي لمن أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وأدامَ الصيامَ، وصلىٰ لله بالليل والناس نيام**» [(٣)].

وعن زوجات أهل الجنة ذكر الله عز وجل أن للمؤمنين أزواجًا مطهرة - من الحيض والاستحاضة وجميع الأقذار - يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الدخان :٥١-٥٤] ويقول عز وجل عن تلك الحور ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن :٧٢].

عن ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض. وكذا قال قتادة، وقال مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبدِ إحداهن من رقة الجلْدِ وصفاءِ اللون [(٤)] ومعنى مقصورات في

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ٣١ ص ٩٩، ١٠٠، وحادي الأرواح ص ١٢٩، ١٣٠ .
(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٤ .
(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٣١ .
(٤) حادي الأرواح ص ١٥٠ .

الخيام أي وصفهن الله بصفات النساء المخدرات المصونات، وذلك أجمل في الوصف. ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، كما أن نساء الملوك وغيرهن من النساء المصونات لا يُمْنَعْنَ أن يخرجن إلى البساتين وغيرها، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت، ويعرض لهن الخروج مع الخدم للتنزه [١].

وعن صفة الحور العين ورد قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة: **«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوإِ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»** [٢].

وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«الروحة والغدوة في سبيل الله أفضلُ من الدنيا وما فيها. الحورُ العين وصفتهن يحارُ فيها الطَرْفُ، شديدةُ سوادِ العين، شديدة بياض العين، وزوجناهم بحور أنكحناهم»** [٣] ومعنى يحار فيها الطرف: أي يتحير. ومعنى زوجناهم بحور أنكحناهم: أي جعلناهم أزواجًا أي اثنين اثنين؛ كما تقول زوجت النعل بالنعل، والمعنى جعلنا ذكران أهل الجنة أزواجًا بحور من النساء [٤].

وقد وردّ عن رسول الله ﷺ أن المؤمن يعطى قوة مائة رجل من الرجال في الجماع. روى الترمذي بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع»**. قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة» [٥] والقوة هنا كناية عن الجماع كعشرين أو ثلاثين أو مائة.

---

(١) نفسه ص ١٥٤ .
(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٧٨، ٢١٧٩ .
(٣) فتح الباري جـ ٦ ص ١١ .
(٤) نفسه.
(٥) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٤١ .

والمعنى أن المؤمن لو أراد ذلك لأعطى القوة[١].

التزاور بين أهل الجنة:

من ألوان النعيم في الجنة التزاور الذي يكون بين المؤمنين في الجنة ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك التزاور وتحدث عنه الرسول ﷺ مبينا أن هذا التزاور من تمام النعمة والمتعة على المؤمنين في الجنة. يقول الله تعالى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور :٢٤-٢٨].

وهذا التزاور بين المؤمنين إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه، فتزداد لذة المؤمنين، حيث يرون أنفسهم قد انتقلوا من سجن الدنيا إلى جنة الآخرة، وهذا أعظم نعيم بالقياس إلى الدنيا وشقائها [٢]. وروى الترمذي حديثًا طويلًا عن رسول الله ﷺ يبين زيارة المؤمنين بعضهم لبعض وزيارتهم لربهم في الجنة، وما يعود عليهم من النعيم والمتع في ذلك.

روى الترمذي بسنده عن سعيد بن المسيب؛ أنه لقى أبا هريرة، فقال أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ **«أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دنئ - على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا»**. قال أبو هريرة. قلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا؟ قال: **«نعم. هل تتمارون في رؤية الشمس**

(١) نفسه.

(٢) الفخر الرازي جـ ٢٨ ص ٢٥٤، ٢٥٥ .

والقمر ليلة البدر؟» قلنا: لا. قال: «كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان. أتذكرُ يومَ قلت كذا وكذا. فيذكره ببعض غدراته في الدنيا. فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط. ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقًا، قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل إلينا ما اشتهينا، ليس يباع فيها ولا يشترى، وفي ذلك السوق، يلقى أهل الجنة بعضُهم بعضًا، قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه - وما فيهم دَنِيٌّ - فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يحزَن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجُنا، فيقلن: مرحبًا وأهلًا، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فيقول: إنا جالسنا اليومَ ربَّنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل، ما انقلبنا» [(١)].

والحديث يدلُّ على تزاور المؤمنين بعضهم ببعض في الجنة وزيارة ربهم لهم، وما يلاقونه من نعيم ولذة في هذا التزاور. ويدل أيضًا على نزع الغل والحَزَنِ من صدورهم في الجنة ورضا كل واحدٍ منهم بمنزله الذي أنزله الله فيه، وهذا الرضا من ألوان النعيم الذي ينعم الله به أولياءه في الجنة.

أدنى أهل الجنة منزلة:

من فضل الله عز وجل على المؤمنين في الجنة أن يوسع لهم في العطاء، وقد روت لنا السنة أحاديث عن أدنى أهل الجنة منزلة، وكيفَ أن له مثل ملك من ملوك الدنيا عشر مرات. روى الإمام مسلمٌ بسنده عن المغيرة بن شعبة رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربَّه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟

---

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٥٩، ٢٦٣ .

قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملكِ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ رب. فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين غرسْتُ كرامتهم بيدي. وختمت عليها فلم تر عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلب بشر. قال ومصداقه في كتاب الله عز وجل ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة :١٧][(١)] والحديث بيّن أدنى أهل الجنة منزلة. والملك الذي يعطيه الله له. ويبين أيضًا المكانة التي يصل إليها أعلى الناس منزلة يوم القيامة. فالنعيم وصل إلى درجة أنه لا يعبر عنه في الدنيا وإنما يعرفونه في الآخرة، ليزدادوا نعيمًا فوق نعيمهم.

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدنى أهل الجنة منزلة الذي كان له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء**» [(٢)] وهذا العدد للمبالغة في الكثرة ويقصد بالزوجة هنا من الحور العين، ولا تعارض بين حديث الترمذي والأحاديث الأخرى التي تثبت أن لكل مؤمن زوجتين من الحور العين، لأنه إما أن يراد لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين هذا العدد، وإما أن يراد أن يعطى قوة من يجامع هذا العدد. والأحاديث الصحيحة ورد فيها أن لكل من أهل الجنة زوجتين وليس في الصحيح من الأحاديث زيادة على ذلك [(٣)] ومعنى تنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء. الجابية قرية بالشام وصنعاء باليمن تشبه دمشق في كثرة الماء والشجر والمسافة بينهما طويلة والمعنى أن فسحة القبة وسعتها

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٨ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٨٤ .
(٣) حادي الأرواح ص ١٦٠ .

طولًا وعرضًا -وبعد ما بين طرفيها- كما بين الموضعين» [١].

رؤية الله في الجنة:

من أكبر ألوان النعيم الذي يمن الله به على عباده المؤمنين في الجنة: أن يرى المؤمنون ربهم في الجنة. وسنشير إلى ذلك سريعًا [٢]، يقول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣] ويقول تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس :٢٦].

يقول الإمام الأشعري **«الزيادة. النظر إلى الله عز وجل ولم يُنْعِم الله عز وجل أهل جناته بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له. وقال عز وجل ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾** [ق :٣٥] **قيل النظر إلى الله عز وجل. وقال ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب :٤٤] وإذا لقيه المؤمنون رأوه»** [٣].

وردت أحاديث متعددة عن الرسول ﷺ في إثبات الرؤية - يقول عنها الأشعري: إنها وردت من طرق مختلفة عدد رواتها أكثر من عدد رواة خبر الرجم، ومن عدد من روى عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا وصية لوارث»**، وأكثر من عدد رواة الحديث الذي فيه: **«لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها»** [٤] ويقصد الأشعري بذلك أننا كما نعتد بهذه الأحاديث في أحكام الدين والحلال والحرام فينبغي أن نعتد بأحاديث الرؤية في إثبات رؤية الله في الآخرة. وهو يرد بذلك على المعتزلة الذين ينفون الرؤية، ويؤولون الآيات القرآنية ويردون الأحاديث فيها.

ومن الأحاديث الصحيحة التي تثبت الرؤية للمؤمنين في الجنة ما رواه الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَنْ**

---

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٨٤ .

(٢) سنتحدث في مبحث خاص عن رؤية الله في الآخرة مبينين أدلة المجوزين وأدلة المانعين - بالتفصيل إن شاء الله.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص ١٩ .

(٤) نفسه.

ينظر إلى جناته وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣][1].

ورؤية المؤمنين لله عز وجل لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به المتقون يوم القيامة، ومن ألوان النعيم الذي يتنعم به المؤمنون: إحلال الرضوان عليهم يوم القيامة [2].

خلود الجنة ونعيمها وأهلها:

أجمع أهل السنة على أن الجنة باقية ونعيمها لا يزول وأهلها كذلك. يقول الإمام الأشعري: **«أجمع أهل الإسلام جميعًا - إلا الجهم -** [3] **أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له»** [4] وينقل صاحب المقاصد الإجماع على خلود أهل الجنة في الجنة [5].

والبغدادي في أصول الدين ينقل الإجماع عن أهل السنة وكل من سلف من أخيار الأمة على دوام بقاء الجنة [6]. ويستدل أهل السنة على ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تثبت بقاء الجنة ودوام نعيمها وخلود أهلها. من هذه الآيات قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة :٧-٨].

وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝

---

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٧٠ .
(٢) سنتحدث بالتفصيل في مبحث خاص عن النعيم المادي والروحاني لأهل الجنة إن شاء الله.
(٣) سنتعرض لحجته ومن ذهب مذهبه من أن نعيم أهل الجنة زائل.
(٤) مقالات الإسلاميين جـ ٢ ص ١٦٧، ١٦٨ .
(٥) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٧ .
(٦) أصول الدين للبغدادي ص ٢٣٩ .

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف :١٠٧-١٠٨]. ويستدلون بقوله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود :١٠٨].

والسلف مختلفون في هذا الاستثناء. فقيل: معناه إلا مدة مقامهم في الموقف، وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور. وقيل: إن هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله. وقيل في هذا الاستثناء: معناه أنهم باقون في الجنة مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه على مدة العالم. ومن المفسرين من ذهب إلى أنَّ «إلا» بمعنى لكن، فيكون الاستثناء منقطعًا، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده. ومنهم من ذهب إلى أن الاستثناء في الآية مراد به الإعلام للخلق جميعًا بأن خلود المؤمنين في الجنة في مشيئته لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، ونظائره في القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء :٨٦] ومثل قوله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ [الشورى :٢٤] وهذا معناه أن الأمور كلها بمشيئة الله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكنْ. ومن العلماء من ذهب إلى أن قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود :١٠٨] آية محكمة (١).

نلاحظ أن الآراء كلها – التي اختلفت في معنى الاستثناء – اتفقت على أن أهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وأن الاستثناء إما في الفترة قبل أن يدخلوا الجنة، وتلك الفترة في الوقت وخلافه، ما شاء الله لهم ألا يكونوا فيها في الجنة، وإما أن يكون استثناء ذكره الله ولم يفعله ليعلم عباده أن الأمر كله بيد الله. كما قال للرسول ﷺ ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ [الشورى :٢٤].

(١) انظر شرح الطحاوية ٢٧٣، ٢٧٤، وحادي الأرواح ٢٤٢/ ٢٤٣/ ٢٤٤، وروح المعاني للألوسي جـ ١٢ ص ١٤٢، ١٤٦ .

ولم يختم الله على قلب رسوله ﷺ. ويؤيد أبدية أهل الجنة فيها في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

وقد دلت السنةُ على خلود أهل الجنة في الجنة، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صار أهلُ الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجْعَل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم. ويزدادُ أهلُ النار حزنًا إلى حزنهم»** [1].

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد يرفعه قال: **«إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح، فيوقف بين الجنة والنار فيُذْبح، وهم ينظرون، فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة، ولو أن أحدًا مات حزنًا لمات أهل النار»** [2].

وعلق القرطبي على الأحاديث التي تثبت ذبح الموت فيقول: **«إن الموت معنى وهو لا ينقلب حيوانًا، بل يخلق الله أشخاصًا من ثواب الأعمال، وكذلك الموتُ يخلق الله كبشًا يسميه الموت، ويلْقى في قلوب الفريقين أن هذا هو الموت، ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين»** [3] وذكر آخرون بأنه لا مانع أن ينشئ الله من الأعراض أجسادًا يجعلها مادة لها كما ثبت في الصحيح أن سورة البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان يوم القيامة [4]. والأولى في هذا أن نتوقف عن تفسير هذه الأشياء ولا نعترض عليها، ولكن نفوض الأمر لله في كيفية ذبح الموت وخلاف ذلك. قال الترمذي: **«والمذهب عند أهل العلم من الأئمة رضي الله عنهم - مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة ووكيع، وغيرهم - أنهم قدروا هذه الأشياء**

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٥١ .

(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٧٨ .

(٣) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٢٨ .

(٤) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٧٨، ٢٧٩ .

وقالوا: نروي هذه الأحاديث، ولا يقال كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروي هذه الأشياء ولا تفسر ولا تتوهم» (١).

ومن الأحاديث التي تثبت خلود أهل الجنة ما رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهل الجنة جردٌ، مُرْدٌ كحلى، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم»** (٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن المعتزلة يوافقون أهل السنة في بقاء الجنة ونعيمها وخلودِ أهلها، وجمهورهم يقولون بدوام النعيم لأهل الجنة.

ورد في كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار قوله: «ربما قيل في **قوله تعالى** ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] إن ذلك الاستثناء يدل على انقطاع العقاب. فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود؟ وجوابنا: أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة، قبل دخول النار، وعلى هذا الوجه ذكر الله تعالى في السعداء مثل ما ذكره في الأشقياء فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود:١٠٨](٣) وهذا يدل عل أن جمهور المعتزلة يقول بدوام الجنة ونعيم أهلها.. ولكن بعضًا منهم ذهب إلى فناء نعيم أهل الجنة.

يقول ابن حزم: **«اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار وعذابها، إلا الجهم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف»** (٤) ويذكر ابن قيم الجوزية أن ما ذهب إليه جهم بن صفوان ليس له فيه سلف قط من الصحابة، ولا من التابعين، ولا أحد من أئمة الإسلام، ولا قال به أحدٌ من أهل السنة (٥). ويعرض ابن حزم ما قاله أبو الهذيل من أن **«الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون**

---

(١) نقلًا عن التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٢٨ .

(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٤٦ .

(٣) وانظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص ١٨٤ .

(٤) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩، ٧٠ .

(٥) حادي الأرواح ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

بمنزلة الجماد لا يتحركون، وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون» [١] وبيِّن ابن تيمية السبب الذي جعله يقول بذلك لأنه يعتقد امتناع وجود ما لا يتناهى [٢].

والذي ذهبَ إليه الجهمُ وأبو الهذيل لا سند له من كتاب ولا سنة. ثم ما الفرق بين الحركة والسكون؟ لأنه وإن فر من الحركات لاعتقاده امتناع وجود ما لا يتناهى، فإنه لازم له في مُدَدِ سكونِ أهل الجنة وتنعمهم. لأنه مقر بأنهم يبقون ساكنين منَعمِّينَ بالضرورة، فإن للسكون والنعيم مددًا تعد كما تعد الحركة وغيرها.

ولو كان ما قاله أبو الهذيل صحيحًا لكان أهل الجنة في عذاب دائم، وهذا غاية النكد والشقاء بعكس ما أعده الله لأهل الجنة [٣].. ولن نتوسع في هذه المسألة لعدة أسباب منها:

أولاً: أن القائلين بذلك خالفوا إجماع المسلمين، وليس معهم سندٌ كافٍ من كتاب الله أو سنةِ رسوله.

ثانيًا: أن المعتزلة أنفسهم لا يقولون بما قاله أبو الهذيل. بل إن بعض علماء المعتزلة قد كفره بسبب هذه المقالة. يذكر البغدادي في **«الفَرْق بين الفِرَقْ»** أن لجعفر بن حرب - وهو المشهور في زعماء المعتزلة - كتابًا سماه توبيخ أبي الهذيل، وذكر فيه أن قوله يجر إلى قول الدهريين. فمن فضائح أبي الهذيل قوله بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادرًا على شيء. ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى أهل الجنة خامدين لا يقدرون على شيء [٤].

---

(١) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩، ٧٠، والملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٥٨، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٢، ١٠٣ .

(٢) نقلًا عن حادي الأرواح ص ٢٤٥ .

(٣) انظر الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٧٠، وحادي الأرواح ص ٢٤٦، ٢٤٧ .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٢، ١٠٣ .

ويذكر البغدادي أيضًا أن المعروف من المعتزلة «بالمردار» رد على أبي الهذيل في هذه المسألة فقال: يلزمه إذا كان ولي الله عز وجل قد تناول بإحدى يديه الكأس وبالأخرى بعض التحف ثم حضرَ وقت السكون الدائم أن يظل ولي الله عز وجل على هيئة المصلوب» [(١)] وهذا ينافي النعيمَ المقيمَ الذي أعده الله لأوليائه ووعدهم به.

ثالثًا: يرى الخياط في كتابه الانتصار - وهو من أصول المعتزلة - أن أبا الهذيل لم يقل بفناء نعيم أهل الجنة. وإنما الذي قال بذلك هو جهمُ بن صفوان - وحكى ابن الراوندي مقالته على أنها مقالة أبي الهذيل.

يقول صاحب كتاب الانتصار: «**وأبو الهذيل كان يزعم أن أكل أهل الجنة وشربهم وجماعهم وتزاورهم وجميع لذاتهم باقية مجتمعة فيهم لا تفنى ولا تنقص ولا تزول ولا تبيد، وإنما الذي حكاه صاحب الكتاب «يقصد ابن الراوندي» قول جهم، لأن جهما كان يزعم أن الله يفنى الجنةَ والنارَ وما فيهما ويبقى وحده**» [(٢)].

وينفي الخياط هذه المقالة عن أبي الهذيل قائلًا: «**وهذا كذب على أبي الهذيل - يقصد القول بفناء نعيم الجنة - وهو عنده كفر بالله تعالى، لأن الله جل ذكره يقول ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد :٣٥] ويقول ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ [المائدة: ١١٩]** [(٣)]» فإن كان ما ذكره الخياط صوابًا فنجزم بأن أحدًا لم يقل بفناء نعيم الجنة من المعتزلة. وإن كان دفاعًا عن أبي الهذيل، ونفيًا للتهم عنه؛ فإن جمهور المعتزلة قالوا بما قاله أهل السنة من بقاء الجنة ونعيمها وخلود أهلها.

* * *

---

(١) نفسه.

(٢) كتاب الانتصار ص ١٨ تأليف أبي الحسين بن عثمان الخياط المعتزلي المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧ .

(٣) وانظر الانتصار للخياط ص ١٨ .

ب - النار في التصور الإسلامي:

النار هي الجزاء الذي أعده الله تعالى للكافرين، والمنافقين، والعصاة من الجن والإنس على السواء، وقد أكثر الله عز وجل من ذكرها في القرآن الكريم وذكر صفاتها وعذابِ أهلِها؛ حتى يتقي الناسُ عذابها ومهانة أهلها. وهناك جملة حقائق يذكرها القرآن الكريم والرسولُ ﷺ عن النار وعذابها منها:

انها مخلوقة الآن ومعدة لأهلها:

يقول الله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] وهذه الآية وغيرها كثيرٌ في القرآن الكريم يدل على أن النار الموصوفة معدة للكافرين، ويدل على أنها مخلوقة، لأن قوله تعالى ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] صريح في أنها مخلوقة ومعدة الآن [١].

وينقل شارح المقاصد الإجماع على خلق الجنة والنار من جمهور المسلمين خلافًا للمعتزلة، ويستدل على أن النار مخلوقة ومعدة الآن بقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، وقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩١] والتعبيرُ عن المستقبل بلفظ الماضي لتحقق الوقوع كقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الكهف:٩٩]، وقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٤٤] خلاف الظاهر فلا يعدل إليه بدون قرينة [٢] ويفندُ شارح المقاصد حجة من تمسك بأنها لو كانت مخلوقة الآن لفنيت إذا أفنى الله العالم - أخذًا من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] - بتخصيص النار من الهلاك، جمعا بين الأدلة التي تثبت خلق الجنة والنار والأدلة التي تثبت هلاك كل شيء [٣].

ويُسْتَدَل بالسنةِ على خلقِ النار بما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال:

(١) الرازي جـ ٢ ص ١٤١، ١٤٦ .

(٢) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦١ .

(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦١.

قال رسول الله ﷺ: **«احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون. وقالت هذه: يدخلني الضعفاءُ والمساكين. فقال الله عز وجل لهذه أنتِ عذابي أعذبُ بكِ من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»** (١).

وإن خلق النار وإعدادها هي والجنة كما صرح بذلك القرآن، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢).

أما من يذهب إلى أن النار لم تخلق بعد - وهم المعتزلة - فإن حجتهم في عدم خلق النار الآن وإعدادها هي نفس حجتهم في عدم خلق الجنة وقد عرضنا شبهتهم والرد عليها (٣) عند الكلام عن خلق الجنة وإعدادها الآن للمتقين.

سعة جهنم وبُعْد مقرها:

يقول الله عز وجل ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف :٢٩].

ومعنى الآية أن الله عز وجل جعل للكفار نارًا هائلة وأحاط بهم سرادقها، وهو الحاجز الذي يكون حول الفسطاط، يحيط بهم من جميع الجوانب، فلا يستطيعون أن يتخلصوا منها؛ لأنها محيطة بهم من كل جانب (٤). ويوضح الرسول ﷺ سعتها وعظم قعرها، فيما يرويه مسلم عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: **«تدرون ما هذا؟»** قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **«هذا حجر رُمِيَ به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»** (٥). وهذا الحديث يدل على عمقها وبعْد قعرها.

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٦ .
(٢) النهاية في الفتن جـ ٢ ص ٣٩٣ .
(٣) لا مجال لتكرار شبهة المعتزلة في عدم خلق النار فقد عرضنا تفنيد شارح المقاصد والمواقف عليهم وأيضًا صاحب مطالع الأنظار عند الحديث عن خلق الجنة وإعدادها انظر ص ٢٢٢، ٢٢٤ .
(٤) التفسير الكبير للرازي جـ ٢١ ص ١٢٠ وروح المعاني للألوسي جـ ١٥ ص ٢٦٧، ٢٦٨ .
(٥) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٥ .

وروى الإمام مسلم بسنده عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»** [(١)].

وإذا كانت النار هكذا عظيمة فإن الله عز وجل يجعل أجساد أهلها كبيرة كذلك، حتى يذوقوا العذاب الأليم، وقد ذكر الله عز وجل أن جلودهم كلما نضجت بدلهم جلودًا غيرها يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء :٥٦].

ويذكرُ رسول الله ﷺ أن مقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام.

روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحدٍ، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة»** [(٢)] ومعنى الحديث أن الله يزيد في أعضاء الكافر زيادة في إيلامه وتعذيبه، والبيضاء اسم جبل، ومعنى مقعده أي مكان قعوده.

والربذة: مكان يبعد عن المدينة مسيرة ثلاث ليال [(٣)] ويؤيد هذا الحديث ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا قال: **«ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار كما بين قديد ومكة، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار»**.

قال المنذري: الجبار ملك باليمن له ذراع معروف [(٤)]. وإخبار الرسول ﷺ بهذه الأشياء دلالة على العذاب الأليم والمهين الذي أعده الله لأهلها.

* * *

(١) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٥ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٨٩، ٢٩٩ .
(٣) نفسه ص ٢٩٩ .
(٤) نفسه ص ٢٩٩ .

أبواب جهنم وخزنتها:

ورد في القرآن الكريم عدد أبواب جهنم، يقول الله تعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر :٤٣-٤٤] ويقول عز وجل ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر :٧٢] وحمل بعض العلماء بعض صفات جهنم على أنها أبواب لها، مثل لظى، والحطمة، والجحيم. والسعير، وسقر. يقول القرطبي ذُكِرَ عن بعض أهل العلم في قول الله تعالى ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر :٤٤] أيي من الكفار والمنافقين والشياطين، وبين الباب والباب خمسمائة عام.

والباب الأول: يسمى جهنم؛ لأنه يتجهم في وجه الرجال والنساء فيأكل لحومهم.

والباب الثاني: يُقال له لظى نزاعةً للشوى تدعو من أدبر وتولى عن التوحيد.

والباب الثالث: يقال له سقر لا يبقى ولا يذر من جسم الكافر شيئًا.

والباب الرابع: يقال له الحطمة، وهي تحطم العظام وتحرقُ الأفئدة. وهي ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر.

والباب الخامس: يقال له الجحيم.

والباب السادس: يقال له السعير، وإنما سمي السعير؛ لأنه يسعر بهم، وفيه جُب الحزن الذي تستعيذ الخلائق من حره.

الباب السابع: يقال له الهاوية: من وقع فيه لم يخرج منه أبدا [(١)].

وأما عن خزنة جهنم فإن القرآن الكريم أشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ

(١) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٤٦٣، ٤٦٤، ويقظة أولى الاعتبار ص ١٢٣، ١٢٤ .

هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر :٧١].

وذهب معظم المفسرين إلى أن التسعة عشر هم خزنة جهنم. وحكى الواحدي عن المفسرين أن خزنة جهنم تسعة عشر: مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق، وأنيابهم كالصياصي، وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرجُ لهبُ النارِ من أثوابهم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أحدِهم مثل ربيعة ومضر، نُزِعَتْ منهم الرأفة والرحمة، يأخذ أحدُهم سبعين ألفا في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم (١).

وينقل ابن كثير أثرًا مرويًّا عن رسول الله ﷺ: أن رهطًا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء رجل فأخبر النبي ﷺ، فأنزل الله ساعتئذ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر :٣٠] فأخبر أصحابه (٢). وما أخبر الله عز وجل من جعل عدتهم فتنة للذين كفروا؛ لأن الكفار حين سمعوا أن خزنة النار تسعة عشر قال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرةٍ منكم لواحدٍ منهم فتغلبونهم وقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة وكان شديد البطش، أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين. فلما سمع المسلمون ذلك قالوا للكفار: ويحكم لا تقاس الملائكة بالسجانين والحداد (٣).

وأما ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف :٧٧]. فإنه نداء لواحد وليس لمجموع الخزنة، ووجه الجمع بين عليها تسعة عشر وبين نداء أهل النار لمالك - فقط - أن مالكًا هو رئيس الخزنة، وهم ثمانية عشر، وهو التاسع عشر لهم. وفي ندائهم طلبٌ للراحة بالموت، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف :٧٧] قال ابن عباس: مكث

(١) الرازي جـ ٣٠ ص ٣٠٣ .
(٢) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٧٠، ٥٧١ .
(٣) الفخر الرازي جـ ٣٠ ص ٢٠٣، ٢٠٤، ومختصر ابن كثير ص ٥٧١ .

ألف سنة ثم قال لهم ذلك. أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها [١].

دركات جهنم:

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء :١٤٥] هذه الآية تدل على أن النار دركات سبعة، أي طبقات. كما أن الجنة درجات، ويقال للنار دركات، وللجنة درجات؛ لأن العرب تستعمل لكل ما سفل درك وكل ما علا وارتفع درج [٢]. وقد ذكر العلماء الطائفة المختصة بكل دركٍ من أدراكِ النار، قالوا: الأعلى لعصاةِ المسلمين، والثاني للنصارى، والثالث لليهود، والرابع للصابئة، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. ويعلق القرطبي على هذه التحديدات بقوله: «وقع في كتاب **الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح»** [٣] والأولى التفويض والتحديد لله رب العالمين، ما دام لم يذكر القرآن الكريم شيئًا عن تحديد دركاتها وأهلها، ولم يحدث الرسول ﷺ عن شيء من هذا.

صفة النار ووقودها:

يصف القرآن الكريم النار بصفات رهيبة مُخَوِّفَة، منها أنها نارٌ تلظى.

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل :١٤-١٦] ومعنى تلظى أي توهج كما قال مجاهد [٤]. وهي نار موقدة، يقول الله تعالى ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة :٤-٦] وإضافة النار هنا لله للتفخيم، أي هي نار لا كالنيران،

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٩٦، ٢٩٧ .

(٢) التذكرة للقرطبي جـ٢ ص ٤٦١.

(٣) نفسه.

(٤) ابن كثير جـ ٤ ص ٥٢٠ .

ولذلك فهي لا تخمد أبدا؛ لأنها موقدة بأمر الله وقدرته (١). ويذكر الرسول ﷺ أنها أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة (٢). بل ويذكر رسول الله ﷺ أن نار الدنيا جزءٌ من سبعين جزءًا من حر جهنم. روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزءٌ واحدٌ من سبعين جزءًا من حر جهنم»** قالوا: والله إن كانت كافية يا رسول الله. قال: **«فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها»** (٣). والمراد من الجمع هنا المبالغة في الكثرة لا العدد الخاص. ومعنى أنها لكافية أن نار الدنيا كافية في الآخرة لتعذيب أهل النار، ولكن الرسول ﷺ قال: **«ولكنها فضلت على نيران الدنيا كلهن»** أي حرارة كل جزء من تسعة وستين جزءا من نار جهنم. مثل حرها أي مثل حرارة ناركم في الدنيا (٤).

وهي نار حامية يقول تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة :٨-١١] يقول أبو السعود: الهاوية من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها. والنار الحامية دليل على أن سائر النيران بالنسبة إليها كأنها ليست حامية، وهذا القدر كافٍ في التنبيه على قوة سخونتها (٥).

وهذه أوصافٌ كلها تبين شدة العذاب الذي يتعذب به أهل النار يوم القيامة. أما عن وقودها، فإن القرآن الكريم يذكر أنها توقد بالناس والحجارة يقول الله عز وجـــل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة :٢٤] ويقول تعالى عن المشركين ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن

---

(١) الفخر الرازي جـ ٣٢ ص ٩٤ .
(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣١٦ .
(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣١٤، ٣١٥ .
(٤) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣١٤، ٣١٥ .
(٥) انظر: أبو السعود جـ ٤ ص ٨٩٩، والفخر الرازي جـ ٣٢ ص ٧٤ .

دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء :٩٨] ويحذر المؤمنين من النار وعذابها يقول تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم :٦] ومعنى وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن سائر النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة, وهي لإفراط حرها تتقد بالحجارة، وقرن الله عز وجل الناس بالحجارة لأنهم قرنوا أنفسهم بها في الدنيا، حيث نحتوها أصنامًا وجعلوها لله أندادًا وعبدوها من دون الله، فيكونون حطبًا للنار، وهو ما تذكى به، فيكونون وقودًا للنار ومعذبين بها في الوقت نفسه [١] ومعنى آخر تحتمله الآية وهو أن الناس في النار كالحجارة في مهانتها وفي رخصها وفي القذف بها دون اعتبار ولا عناية. يقول الأستاذ سيد قطب: «**وما أفظعها نارا هذه التي توقد بالحجارة! وما أشد عذابها هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة! وكل ما بها وما يلامسها فظيع رهيب**» [٢].

أصناف العذاب لأهلها

ثياب أهل النار وسلاسلهم:

يقول الله تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج :١٩-٢٢] ومعنى قطعت لهم ثيابٌ من نار: أي فُصِّلَتْ لهم مقطعات من النار، وعن سعيد بن جبير: هو النحاس، وهو من أشد الأشياء حرارة إذا حمى، ويصب من فوق رءوسهم الحميم، وهو الماءُ الحار في غاية الحرارة گ يذيب ما في بطونهم من الفم والأمعاء، ومع كل هذا يُضْرَبُون بمقامعَ من حديدٍ، كلما أرادوا الخروج

---

(١) الرازي جـ ٢ ص ١٤٠، ١٤٢، والتذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٤٩٢ .

(٢) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٨، ٣٦ .

منها من غم أعيدوا فيها، وعن الفضيل بن عياض: «**والله ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها**»(١).

وعن سلاسل وأغلال أهل النار قال الله تعالى عمَّن أوتي كتابه بشماله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [**الحاقة: ٣٠-٣٢**].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [**المزمل :١٢-١٣**] والسلسلة التي يُسْلَكُ فيها من لا يؤمن بالله العظيم، هذه السلسلة عظيمة القدر، وهذا ما جعل بعض المفسرين يحمل العدد فيها على الوصف بالطول البعيد، ولا لغرض التقدير بهذا المقدار.

وعن ابن عباس: تدخل السلسلة من دبره، وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه، وتقديم السلسلة على السلك معناه التهويل والتفظيع من شأنها، كأنه قال: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، لأنها أفظع من سائر السلاسل(٢).

وروى الترمذي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رصاصة مثل هذه**» وأشار إلى مثل الجمجمة «**أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها**»(٣) وهذا يؤيد أن العددَ المذكور في السلسلة للكثرة(٤) لا العدد فقط.

وعن أُبَيِّ بْن كَعْب قال: «**إن حلقة من السلسلة التي قال الله** ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [**الحاقة :٣٢**] إن حلقةً منها مثل جميع حديد الدنيا»(٥) والأنكال المذكورة في قوله تعالى ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [**المزمل :١٢**] هي القيود وَاحِدُهُ نكل وهو

(١) ابن كثير جـ ٣ ص ٢١٢، ٢١٣ .
(٢) الرازي جـ ٣٠ ص ١١٤، ١١٥ .
(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣١٣، ٣١٤، والرازي جـ ٣٠ ص ١١٤ .
(٤) نفسه ص ٣١٤، والرازي جـ ٣٠ ص ١١٤ .
(٥) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٤٨٢ .

القيد الثقيل [١].

طعام أهل النار وشرابهم:

يتحدث القرآن الكريم عن طعام أهل النار فيذكر أن الزقوم هو طعامهم.

يقول الله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات :٦٢-٦٧] ويقول عز وجل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان :٤٣-٤٩]. ويقول سبحانه وتعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة :٥١-٥٥]. ويقول سبحانه وتعالى ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ :٢٤-٢٥] ويقول تعالى ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية :٦-٧] وهذه الآيات تقرر أن طعام أهل النار الزقوم والضريع. يقول القرطبي: «**إن شجرة الزقوم أصلها في الباب السادس، وإنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء، فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منها**» [٢].

ويصف الرسولُ ﷺ الزقوم بقوله: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدتْ على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه**» [٣].

والضريعُ الذي جعلهُ الله لهُمْ طعامًا، نوع من الشوك اللاطئ بالأرض، ترعاه

---

(١) الرازي جـ ٣٠ ص ١٨١، والكشاف للزمخشري جـ ٤ ص ١٦٨ .
(٢) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٠٣ .
(٣) رواه الترمذي جـ ٧ ص ٣٠٧ .

الإبل وهو أخضر، ويسمى الشبرق، فإذا جنى صار اسمه الضريع ولم تستطع الإبل مذاقه فهو عندئذ سام (١).

وأما شراب الحميم فإن رسول الله ﷺ يقول عنه: **«إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرقه من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان»** (٢) ومعنى يسلت ما في جوفه أي يقطع ويمسح، من سلت القصعة إذا مسحها من الطعام. وهو المشار إليه في قوله تعالى ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج :٢٠] والغسَّاق الذي يشرب منه أهل النار هو ما يسيل من صديد أهلِ النار وغسالتهم. وقيل ما يسيل من دموعهم، وقال عنه النبي ﷺ فيما يرويه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: **«لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا»** (٣) والغساق هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ :٢٤-٢٥].

وفي قوله تعالى ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص :٥٧]. عن ابن عباس الغساق: صديدُ أهل النار (٤). وعن ابن عمر في معنى الغساق: لو أن قطرة منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، وقيل الغساق الذي لا يستطاع من شدة برده وهو الزمهرير (٥).

أكثر أهل النار:

وردت أحاديث تفيد أن أكثر أهل النار من النساء، وذلك لنقصان عقلهن ودينهن. روى البخاري بسنده عن عمران عن النبي ﷺ قال: **«اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»** (٦).

وإنما كان أكثر أهل النار النساء لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى الدنيا

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٨٦٩ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣٠٢، ٣٠٣ .
(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣٠٦ .
(٤) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣٠٦ .
(٥) يقظة أولى الاعتبار.
(٦) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٥٠، ٣٥١ .

والإعراض عن الآخرة، لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن (١).

وروى مسلم بسنده عن حارثة بن وهب أنه سمع النبي ﷺ قال: **«ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى. قال: كل عتلٍ جَوّاظٍ مستكبرٍ»** (٢).

وروى مسلمٌ أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«تحاجت النار والجنة. فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين»** (٣) ومعلوم أن الله عز وجل ينادي النار قائلًا: هل امتلأت؟ فتُرِيْدُ المزيد.

يقول الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] وهذه الآية بيان لقول الله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجده: ١٣].

يقول الرازي: قول الله تعالى ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] فيه وجهان:

الأول: أنه لبيان استكثارها الداخلين، كما أن من يضرب غيره ضربًا مبرحًا أو يشتمه شتمًا قبيحًا يقول المضروب: هل بقى شيء آخر، ويدل عليه قوله لأملأن؛ لأن الامتلاء لا بد أن يحصل فلا يبقى في جهنم موضعٌ خالٍ حتى تطلبَ المزيدَ.

الثاني: هو أنها تطلب الزيادة. ولو قال قائل: كيف يفهم هذا مع قوله تعالى لأملأن؟ فقد أجاب الرازي على ذلك من وجوه.

أحدها: أن كلام جهنم هل من مزيد قبل أن تملأ، وفيه أن جهنم تتغيظ على الكفار فتطلبهم، ثم يبقى فيها موضع لعصاة المؤمنين، فتطلب جهنم امتلاءها لظنها بقاء أحدٍ من الكفار خارجًا.

ثانيها: أن تطلب جهنم أولًا سعة في نفسها، ثم مزيدًا في الداخلين. لظنها بقاء أحدٍ من الكفار.

---

(١) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٨ .

(٢) نفسه.

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٢٨٦ ط. الحلبي.

ثالثها: أن الملء له درجات، فإن الكيل إذا ملئ من غير كبس صح أن يقال: ملئ وامتلأ فإذا كبس يسع غيره. فكذلك جهنم ملأها الله تنفيذًا لوعده ثم تطلب زيادة تضييقًا للمكان عليهم وزيادة في التعذيب» (١).

والرأي الثالث هو الذي تستريح إليه النفس فإنها تملأ أولا ثم تطلب المزيد؛ لتضيّق على الكفار مكانَهم فيزدادون ألمًا وعذابًا مع عذابهم. وهذا يتناسب مع قوله تعالى ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان :١٢-١٣].

وقد ورد في صحيح مسلم أن النار لن تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه عليها فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض (٢).

خلود الكفار فيها أبدًا:

يفرق القرآن الكريم والسنة النبوية بين صنفين من أهل النار:

الصنف الأول: هم الكفار الذين ماتوا على كفرهم، وهؤلاء مخلدون في النار أبدًا، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وهم الذين قال الله عنهم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء :٥٦]، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر :٣٦] ولا خلاف بين المسلمين في خلود الكفار في نار جهنم أبدًا، يقول شارح المقاصد «**أجمع المسلمون على خلود الكفار في النار**» (٣).

وعن التأبيد والخلود في النار يقول الله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ

(١) الفخر الرازي جـ ٢٨ ص ١٧٤ .

(٢) الحديث في صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٦ .

(٣) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٧ .

ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب :٦٤-٦٥]. ويقول تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء :١٦٨-١٦٩].

يقول ابن كثير بعد أن أورد الآيات الثلاث السابقة: «**فهذه ثلاث آيات فيهن الحكم عليهم بالخلود أبدًا، ليس لهن رابعة مثلهن في ذلك**» (١).

والصنف الأول كما قلت لا خلاف بين العلماء فيه إنما الخلاف في الصنف الثاني.

الصنف الثاني: عصاة المؤمنين، وقد اختلف المسلمون فيمن مات مرتكبًا كبيرة ولم يتب عنها.

أولاً: الأشاعرة: يرى علماء الأشاعرة أن من مات من المسلمين مرتكبًا كبيرة ولم يتب عنها فهو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، وهم لا يقطعون بالعفو ولا بالعقاب، ولكنهم يقطعون بعدم الخلود في النار على فرض العقاب. ويستدل علماء الأشاعرة بالآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة بعد أخذ نصيبهم من النار ثم الخروج منها للجنة، وهناك آيات كثيرة يستدلُّ بها الأشاعرة على ذلك منها قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة :٧-٨].

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر :٤٠] وقوله تعالى ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن :٦٠] ومعلومٌ أن صاحب الكبيرة بإيمانه وسائر ما يكون له من الحسنات مستحق للثواب(٢) على أصول المعتزلة - على طريقة

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٧ .

مجاراة الخصم من شارح المواقف - ويستدل الأشاعرة أيضًا بالأحاديث الدالة على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. روى الإمام مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه وأن الجنة حقٌ وأن النارَ حقٌ أدخله الله من أي أبوابِ الجنةِ الثمانية شاء»** (١).

ومثل قوله ﷺ: **«من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق»** ويستدل الأشاعرة أيضًا بالنصوص المشعرة بالخروج من النار، مثل قوله تعالى ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران :١٨٥] وقوله تعالى ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام :١٢٨].

ومثل قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقالَ حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجوه. فيخرجون منها حممًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية»** (٢).

ويعلق شارح المقاصد على هذه الأحاديث بقوله: **«وخبر الواحد وإن لم يكن حجة في الأصول. ولكن يفيد التأييد والتأكيد بتعاضد النصوص»**(٣).

ومما يستدل به الأشاعرة الإلزام على طريقة المعتزلة، ذلك أنه لو أن إنسانًا عبد الله مائة عام وواظب على الإيمان والعمل الصالح، وصدر عنه في أثناء ذلك أو بعده جريمة كشرب الخمر. فلا يحسن من الحكيم أن يعذبه على ذلك أبد الآبدين. ومن وجوه الاستدلال أن المعصية متناهية زمانًا وقدرًا وأما الكفر فغير متناهٍ، والخلود في النار عذابٌ على أشد الجنايات وهو الكفر، فيجب أن تتميز

(١) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٣٣ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٥ .

(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٨ .

التي هي دون الكفر بالخروج من النار (١).

ثانيًا المعتزلة: يرى المعتزلة أن الفاسقَ مخلدٌ في النار ويعذبُ فيها أبدَ الآبدين ودهر الداهرين (٢) ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء :١٤] وتقرير الدليل عندهم أن الله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعًا، فيجب عليهما، ولو أراد أحدهما دون الآخر لبينه (٣). ويفند شارح المقاصد حجتهم في هذه الآية؛ بأن العموم غير مراد في الآية للقطع بخروج التائب وأصحاب الصغائر وصاحب الكبيرة من النار (٤).

ويستدلون أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] وهذه الآية استدل جمهور المعتزلة بها على أن فساق أهل الصلاة مخلدون في النار، وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار ما داموا لم يتوبوا، وقالوا إن هذا العموم أقوى في الدلالة على المطلوب من سائر العمومات؛ لأن سائر العمومات ما جاء فيها لفظ أبدا. ويجيب الرازي على ما تعلق به المعتزلة من وجوه.

أحدهما: أن تخصيص العموم بالواقعة التي لأجلها ورد ذلك العموم عرف مشهور، فإن المرأة إذا أرادت أن تخرج من الدار ساعة فقال الزوج إن خرجت فأنت طالق فإن اليمين يقيد بتلك الساعة، حتى أنها لو خرجت في يوم آخر لم تطلق.

فهنا أجرى الحديث في التبليغ عن الله تعالى: ثم بعد ذلك قال: ومن يعص الله

---

(١) انظر شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٧، ١٦٨، وشرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٦٦ .

(٣) نفسه ص ٦٥٧ .

(٤) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٨ .

ورسوله، أي من يعص الله في تبليغ رسالاته وأداء وحيه فإن له نار جهنم خالدًا فيها أبدًا.

ثانيا: أن معنى **«يعص الله ورسوله»** لا بد وأن يعصيه في سائر الذنوب وبجميع أنواع المعاصي، والذي يفعل ذلك هو الكافر، فالآية مختصة بالكافر على هذا التقدير [١].

ومما يستدل به المعتزلة قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا﴾ [النساء :٩٣].

ويرد الأشاعرة على ذلك بأن المراد بالخلود المكث الطويل، وعلى فرض أنه الخلود الدائم فيكون المراد من القتل على وجه الاستحلال، أو بأن الوصف بالإيمان يكون خاصًا بمن قتل المؤمن لإيمانه [٢].

وبعد عرضنا لأدلة الأشاعرة والمعتزلة نرجح ما ذهب إليه الأشاعرة، من عدم الخلود في النار لعصاة المؤمنين الذين ارتكبوا بعض الذنوب أو حتى الكبائر ولم يتوبوا، وذلك لأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعًا ما عدا الشرك بالله.

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء :٤٨] ولدلالة الآيات القرآنية على أن من آمن وعمل صالحًا سيدخل الجنة، وأن آيات الوعد مؤكدة، وأما آيات الوعيد فغير مؤكدة.

يقول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء :١٢٢] فقوله وعد الله حقًا إنما ذكره للتأكيد، ولم يقل في شيء من القرآن وعيد الله حقًا، وأما قوله تعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق :٢٩].

---

(١) الفخر الرازي جـ ٣٠ ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٢) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٨، شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٧ .

فهذه الآية بإجماع المفسرين في حق الكفار[١].

والأحاديث كثيرة تلك التي تثبت الشفاعة لعصاة المؤمنين فيخرجون من النار روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**[٢].

ثانيًا: الجنة والنار عند النصارى

أ- الجنة عند النصارى:

ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جنة: أنه الفردوس الأُصلي الذي ربته الله للإنسان قبل سقوطه[٣]، ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك[٤]. ووردت أيضًا تحت كلمة جنات: أنها بساتين معدة للانشراح والملذات، وفيها جنات الملك سليمان[٥]، وفيها سواقي وينابيع[٦].

ونلاحظ أن قاموس الكتاب المقدس ربط شجرة الجنة بالبستان الذي يملكه الملوك وهي معدة للانشراح والملذات، وفيها جنات الملك سليمان وفيها سواقي وينابيع. كل هذه الصفات تطلق على البساتين في الأرض، ولكن قاموس الكتاب المقدس لم يشرْ من قريب أو بعيدٍ على أنها المكان الذي يتمتع فيه الصالحون من النصارى في الآخرة.

وبالرغم من عدم إشارة النصارى إلى الجنة ونعيمها الحسي في الآخرة إلا أننا سنعرض فيما يلي بعض النصوص التي تتحدث عن الجزاء في الآخرة، المتمثل في

---

(١) الأربعين في أصول الدين للرازي ص ٤٠١ .
(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٢١٣ .
(٣) سفر التكوين ٢: ١٠: ١٣: ١٠ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥ .
(٥) سفر الجامعة ٢: ٥، ونشيد الإنشاد ٤: ١٣ .
(٦) سفر العدد ٦/٢٤، وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٦ .

الطعام والشراب والنكاح في الجنة [١] وبالرغم من ادعاء النصارى بأن نعيم الأبرار يتمثل في «**اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله، ورؤية الله هي الخير الأعظم الفائق كل خير، الذي يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه، بل هي سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره والتي تتجه كل أشواق قلبه إليه**» [٢].

فعن الطعام والشراب:

ورد في إنجيل يوحنا ما نصه: «**اعملوا لا للطعام البائِد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن الله الآب قد ختمه**» [٣].

وورد فيه أيضًا قولهم للمسيح: «**آباؤنا أكلوا المنّ في البرية، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزًا من السماء ليأكلوا. فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء**» [٤].

فهذه النصوص تبين أن في الآخرة طعامًا باقيًا يعطيه المسيح للمؤمنين به.

والنص الثاني يبرز على لسان المسيح أن هناك خبزًا فانيًا أكله آباء من يتحدث معهم المسيح، ولكن من يطيعه ويؤمن به يأكل الخبز الحقيقي عند الله. ووعد المسيح لهم بالطعام في الآخرة مكافأة لهم بيّن كيف أن الإنجيل تحدث عن الطعام في الجنة. وهناك نص آخر في إنجيل لوقا يثبت الطعام والشراب في الآخرة. ورد في لوقا: «**وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتي، وتجلسوا على كراسي، تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر**» [٥].

والنصارى تعتقد أن هذا الملكوت في الآخرة، وأن الدينونة بعد انقضاء

---

(١) سنعرض هنا النصوص من الكتاب المقدس التي تثبت الجزاء المعد للصالحين من النصارى في الآخرة. ونترك مناقشة حسية هذه النصوص أو معنويتها للفصل الذي نتحدث فيه عن حسية النعيم والعذاب وروحانيتهما بين المسلمين والنصارى واليهود.

(٢) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٣) إنجيل يوحنا ٦: ٢٨/٢٧ .

(٤) إنجيل يوحنا ٦: ٣٢/٣١ .

(٥) إنجيل لوقا ٢٢-٣٠/٢٩ .

العالم [١]. والنص يثبت أن هناك طعامًا وشرابًا على مائدة المسيح للذين يؤمنون به.

وعن الشراب:

ورد في إنجيل متى: «**وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، وأقول لكم: إني من الآن لا أشربُ من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم الذي أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي**» [٢].

وهذا نص صريح في أن المسيح وعد تلاميذه أنه سيشرب معهم خمرًا من نتاج الكرمة في الآخرة، وهذا النص يبين أن في الجنة شربًا للخمر - كما صرح المسيح بذلك على ما في إنجيل متى الحالي.

وأيضًا نص لوقا «**وتشربوا على مائدتي في ملكوتي**» [٣] نص صريح أيضًا على أن هناك شرابًا في الجنة.

النكاح:

ومن بين ثنايا نصوص الأناجيل نستخرج بعض النصوص التي تثبت الزواج في الجنة، وملكية الصالح في الآخرة لأشياء كثيرة من البيوت والحقول.

ورد في متى: «**كل من ترك بيوتًا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية**» [٤].

وهذا نص صريح في أن نعيم الآخرة يشبه نعيم الجنة مع الاختلاف، وكان المسيح يرغبهم في ما عند الله، بأن من ترك منهم في الدنيا بيوتا فله بدلًا منها مائة ضعف، وله حياة أبدية، والمئة ضعف والحياة الأبدية لا تكون إلا في الجنة.

---

(١) انظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٤٦٤، جـ ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) إنجيل متى ٢٦-٢٧/٣٠ .

(٣) لوقا ٢٢- ٢٩ .

(٤) إنجيل متى ١٩: ٢٩ .

وأيضًا من ترك حقولًا في الدنيا فله بدلا منها مائة ضعف، ومن ترك زوجة، فله مائة زوجة - بنص الأناجيل مائة ضعف - وله الحياة الأبدية.

وكما ترى فإن النص صريح في النكاح والملكية في الآخرة، بالرغم من أن إنجيل متى يصرح بأنه لا زواج يوم القيامة يقول: **«لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء»** (١).

هذه النصوص التي تتحدث عن الطعام والشراب والقصور والزواج في الآخرة يؤولها النصارى إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقة حسية في الآخرة. وسنتعرض لأرائهم بالتفصيل عند الحديث عن روحانية النعيم وحسيته وكذا العذاب.

وعن كون الجنة مخلوقة ومعدة:

ورد في إنجيل متى: **«ثم يقول الملكُ للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا لملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم»** (٢) وهذا النص يوضح أن الجنة - التي يطلق عليها النصارى أحيانًا اسم الملكوت - معدة منذ خلْق الدنيا، ويدعوه المسيح ليرثوها - جزاءً على أعمالهم - ويعتقد النصارى أن النفوس الصالحة في الفردوس الآن مع المسيح ورد في أعمال الرسل قول بولس: **«لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا»** (٣) ونفس المعنى ورد في رسالة كورنثوس الثانية **«وَنُسَرّ بالأوْلى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب»** (٤).

إذا كنا قد عرضنا بعض النصوص التي تثبت النعيم الحسى في الجنة في الطعام والشراب والنكاح، فإن هذه النصوص وإن كانت ثابتة في الأناجيل إلا أن النصارى يؤولونها وعندهم أن النعيم المقيم يتمثل في الحياة الأبدية، وهذه الحياة

---

(١) متى ٢٢: ٣٠ .
(٢) متى ٢٥: ٣٤ .
(٣) أعمال الرسل ٢٠ - ٢٥ .
(٤) كورنثوس الثانية ٥: ١/١٠ .

في تصورهم «**مصرحٌ بها في الكتاب في غاية الوضوح فقيل والأبرار إلى حياة أبدية** [١]»، **ولكي لا يهلك كل من يؤمن تكون له الحياة الأبدية** [٢]، **وهذه الحياة الأبدية تكون بالمسيح كما يزعمون** «**لأن أجرة الخطيئة هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح ربنا يسوع**» [٣]، ويعتقدون أيضًا أن النعيم الكامل الذي لا شيء سواه في الجنة يكون برؤية وجه الله الكريم؛ لأن التمتع بمشاهدته تملأ النفوس سعادة وهناء وغبطة، فتبقى مسحورة ببهائه الرائع لا ترتوي مدى الأبدية [٤].

مصير الأطفال الذين يموتون صغارًا

يشير علماء النصرانية إلى مصير الأطفال الذين يموتون قبل أن يُتَنَصَّروا بالتعميد إشارات عابرة. فقد ورد في علم اللاهوت النظامي – وهو يمثل فرقة البروتستانت – أن «**جميع الأطفال الذين يموتون قبل سن التكليف والبُلْه أيضًا - أي الخارجين عن دائرة المسئولية الأدبية - ينالون الخلاص بالنعيم بالمسيح، بتخصيص فوائد كفارته به، فيتجددون ويدخلون في حال الخلاص حالاً بعد الموت** [٥]».

وإذا كان البروتستانت قد قطعوا بالخلاص بالنسبة للأطفال الصغار والبُلْه الذين لم يدركوا شيئًا، فإن الأرثوذكس يرون أن هناك اختلافًا بين العلماء في مصيرهم، ففريق من اللاهوتيين رأي «**أنهم يكونون في حال متوسط بين الراحة، أي أنهم لا يعذبون، لأنهم لم يفعلوا شيئًا يستحقون عليه العذاب، ولا يتنعمون التنعيم كله، لأنهم لم يقتبلوا العماد الذي هو شرط أساسي للنجاة من العقاب والحصول على مجد الخلود**» [٦].

هذا الفريق يرى أنهم لا ينعمون النعيم الكامل، ولا يعذبون، لعدم استحقاقهم العذاب وبعض اللاهوتيين نفي عنهم النعيم المتوسط، ونفي عنهم العذاب أيضًا،

(١) متى ٢٥ - ٤٦ .
(٢) علم اللاهوت النظامي ص ٢٢٥ .
(٣) نفسه وانظر رسالة روميه ٦ - ٢٣ .
(٤) شرح التعليم المسيحي جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٥) علم اللاهوت النظامي ص ١١٧ .
(٦) علم اللاهوت جـ ٢ ص ٢٢٤ .

قال الفريق الآخر: «**إنهم يُعْدَمُونَ حقًا مشاهدة الله إلى الأبد بسبب الخطيئة الأصلية، إلا أنهم لا يتعذبون في النيران الأبدية**» [١] ومراد هذا الفريق أنهم لا يشاهدون الله؛ لأن الخطيئة التي وُلِدُوا وارثين إياها من آدم لا تمكنهم من رؤية الله والتنعم بذلك. وفي ذات الوقت لا يعذبون لعدم اقترافهم - بالفعل- الآثام. وينقل صاحب علم اللاهوت عن القديس غريقريوس قوله: «**إن الأطفال غير المعمدين لا يمجدون ولا يعذبون، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدسين بالمعمودية لم يخطئوا خطيئة شخصية، ولا يستحقون كرامة ولا قصاصًا**» [٢].

ونلاحظ أن هذه الأقوال والآراء لا يستدل أصحابها بفقرات من الأناجيل وأعمال الرسل، وإنما هي عبارة عن اجتهادات واستنباطات» [٣].

خلود النعيم للأبرار:

يعتقد النصارى في أبدية النعيم بالنسبة للأبرار. ورد في علم اللاهوت النظامي «**أبدية تلك الحال مصرح بها في الكتاب في غاية الوضوح، فقيل: والأبرار إلى حياة أبدية**» [٤] ويستدل علم اللاهوت النظامي بما ورد في متى ويوحنا الذي ورد فيه «**الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية**» [٥].

وبما ورد في يوحنا أيضًا «**ولأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية**» [٦] وبما ورد في أعمال الرسل: «**وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية**» [٧] ويستدل بنصوص كثيرة جدًّا على أبدية حال الأبرار في النعيم [٨] ويتحدث ميخائيل مينا عن خلود النعيم للأبرار بقوله: «**إنه ثابت غير متناه؛**

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه. (٣) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ٢٢٤ .

(٤) علم اللاهوت النظامي ص ٢٢٤ .

(٥) يوحنا ٥: ٢٤ . (٦) يوحنا ٦: ٤٠، ٤٧، ٥١، ٥٤، ٥٨ .

(٧) أعمال الرسل ١٣ : ٤٨ .

(٨) رسالة تسالونيكي الثانية ٢: ١٠، وعبرانيين ٥: ٩، ١٢، ٢٥، رؤيا يوحنا ٥/٢٢ .

لأن ثبات السعادة هو شرط ضروري لكمالها؛ لأن السعادة متى حصلت مجهولة الثبات حصل في قلب مالكها خوف فقدها، ومن هذا الخوف يتولد الحزن الذي هو ضد السعادة الكاملة، ولن يكون هناك مرض ولا موت ولكن إشراق وبهاء غير منقطع» [١].

ب- النار في التصور النصراني:

ورد في قاموس الكتاب المقدس عن النار ما نصه «في العهد الجديد أعطيت الهاوية معنى جهنم، أي أرض اللعنات والرجاسات ومسكن العذاب الأبدي [٢]، ومسكن العقاب للخطاة [٣]، والهاوية كمركز لكل أنواع العقاب [٤] ونلاحظ أن جهنم كما هي عند المسلمين مكان للعذاب كذلك يعتقد النصارى. يقول القس كارل وليمز عن جهنم بأنها «المكان الذي يعذب فيه المخطئون من النصارى». وسواء كانت نيران جهنم حقيقية أو لم تكن فإن جهنم نفسها حقيقة واقعة، وإذا كانت النار تشبيهًا مناسبًا للعقاب في جهنم فما أشد هول ورعب هذا العقاب [٥] ويعتقد النصارى أيضًا أن الأشرار مصيرهم النار في الآخرة. ورد في متى «ثم يقول أيضًا للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين، إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» [٦] والعذاب في جهنم يكون بالنار والكبريت ورد في سفر الرؤيا «إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضًا سيشربُ من خمر غضب الله المصبوب صرفًا من كأس غضبه، ويعذب بنار وكبريت» [٧].

وهناك تألم من النار وبكاء وصرير للإنسان. ورد في متى «والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» [٨].

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١١٦ بتصرف.
(٢) متى ١٨: ٨٠ . (٣) رؤيا يوحنا ٩: ١١، ١١: ٧، ٢٠: ٣٠ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨ .
(٥) الأمور المتيقنة عندنا ص ١٩٦ كارل وليمز الكبير. الناشر المجمع العام لكنائس الله.
(٦) متى ٢٥: ٤١ .
(٧) رؤيا يوحنا ١٤: ١١/١٩ .
(٨) متى ٢٥ : ٣٠ .

وكما يكون العذاب بالنار والكبريت كما ورد في الأناجيل التي بأيدي النصارى فإن هناك عذابًا معنويًا يتمثل في غضب الله. ورد في رسالة بولس إلى أهل رومية ما نصه **«وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب شديد وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر»** (١) وواضح من النص أن النصارى تعتقد في أن غضب الله يُعْتَبَرُ عذابًا من ألوان العذاب الذي يؤلم الأشرار في الآخرة.

وورد في رؤيا يوحنا الجمع بين العذاب الحسي والمعنوي، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني (٢).

والنص يوضح أن الأشرار وفاعلي الإثم يعذبون في بحيرة من نار وكبريت، وما هم فيه من العذاب يعتبر موتًا ثانيًا معنويًا لا حسيًا، إذ يعتقد النصارى أن العذاب في النار يكون أبديًا. ونفس الجمع بين العذاب الحسي والمعنوي نجده في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي **«في نار ولهيب معطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب من مجد قوته»** (٣) النار واللهيب للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون الإنجيل والهلاك الأبدي من وجه الرب.

وإذا كانت نصوص الأناجيل تجمع بين العذاب الحسي والمعنوي؛ فإن كثيرًا من النصارى لا يقولون بالنار الحسية، ويغلبون العذاب المعنوي المتمثل في غضب الله والهلاك الأبدي والموت الثاني وخلافه (٤).

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ١ : ٨/٩ .

(٢) رؤيا يوحنا: ٢١: ٨/٩.

(٣) رسالة تسالونيكي الثانية ١: ٨/٩.

(٤) انظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٢٢٥، وانظر دراسات في علم الإسخاطولوجيا ص ٢٦/٢٧/٢٩/ ٣٠ سنزيد الأمر وضوحًا عند الحديث عن النعيم والعذاب بين الواقع المادي والتأويل الروحاني بين الإسلام والنصرانية واليهودية.

والبعض الآخر منهم يذهب إلى أنها نار حقيقية؛ لأن تكرار ذكر النار في النصوص الإلهية هو دليل واضح على حقيقة وجودها، وذكر النار لم يختلف وصفه في الأسفار الإلهية، فإذن يجب أن نفهمه على حرفه [١].

أبدية العذاب

يعتقد النصارى أن العذاب الذي يتعذب به الأشرار أبدي ولا نهاية له. وعندهم أن من دخل النار لا يخرج منها أبدًا إذ إن «**حال الأشرار لا تتغير** [٢]، **وأنه لا رجاء للهالكين مطلقًا**» [٣] ويستدل النصارى بنصوص كثيرة على أبدية العذاب بالنسبة لمن دخلوا النار إذ «**لا نهاية لقصاص الأشرار، وأنه لا توبة حقيقة ولا إصلاح في العالم الأخير**» [٤] ويستدل علم اللاهوت النظامي بأن تعبير المسيح بالعذاب الأبدي والهلاك الأبدي ست مرات تدل على أنه لا نهاية له، كما يتضح من استعمال لفظة أبدي نحو ستًّا وستين مرة في العهد الجديد، منها إحدى وخمسون إشارة إلى حياة الأبرار وغبطتهم، وفي اثنتين الإشارة إلى مجد الله، والباقي إلى أمور أخرى[٥] ويلفت علم اللاهوت النظامي النظر إلى نص في إنجيل متى، وهو عن مصير الأبرار والأشرار، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية [٦] ويعلق على هذا النص بقوله: «استعملت العبارة مرتين: الأولى للإشارة إلى عذاب الأشرار، والثانية إلى حياة الأبرار، فإذا قلنا إن المقصود من الإشارة إلى عذاب الأشرار كونه بلا نهاية، فكذلك أيضًا حياة الأبرار بلا نهاية [٧] وهناك عبارات أخرى تدل على ذلك [٨].

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٠٨/١٠٩ بتصرف.

(٢) علم اللاهوت النظامي ص ١٢٢.

(٣) نفسه وانظر متى ٢٦: ٢٤/٢٥ .

(٤) نفسه ١٢١٢ .

(٥) انظر علم اللاهوت النظامي ص ١٢١٨/١٢١٩ بتصرف.

(٦) متى ٢٥: ٤٦ .

(٧) علم اللاهوت النظامي ص ١٢١٩ .

(٨) انظر يوحنا ٣: ٢٦، متى ١٨: ٨، ٢٥ : ٤١، مرقص ٣: ٢٩، رسالة تسالونيكي الثانية ١/ ٩ .

وما ذهب إليه علم اللاهوت النظامي يؤكده ميخائيل مينا بقوله: «**لا يغرب عن الأذهان أن العذاب المخلد والهلاك الأبدي والعقوبات الدائمة والاستغراق في النيران الجهنمية لهي كغيرها من الأسرار العسيرة الفهم في الديانة المسيحية، ومع ذلك فنحن ملزمون بتصديقها، والإيمان بها؛ لأن نصوصًا إلهية كثيرة أيدتها وأثبتتها**»[١]. ومع اعتراف ميخائيل مينا بأن العذاب الأبدي من الأسرار العسيرة الفهم إلا أنه يحاول تعليل ذلك العذاب الأبدي، وكيف أن خلوده لا يضاد العدل الإلهي، بل يوافقه تمام الموافقة، فبالرغم من أن ارتكاب الخطيئة كان قصيرًا إلا أن حب الخطيئة غير متناه، لأن الخاطئ يتمنى أن يحيا بلا انتهاء، وحيث إنه مات في خطيئته فهو بالطبع كان يرغب فعلها إلى الأبد إن اتفق له أن يحيا إلى الأبد[٢] وقد أوضحنا في مبحث الشفاعة كيف إن النصارى لا يفرقون بين الكبائر والصغائر ما دام الإنسان لم يعترف على خطاياه، وكيف أنهم لا يعتقدون في الشفاعة في الآخرة.

ثالثًا: الجنة والنار في التصور اليهودي

أ- الجنة: ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة فردوس: «**الفردوس الأصلي الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه**[٣]**، ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك**»[٤].

وورد فيه تحت كلمة جنات: «**جنات بساتين معدة للانشراح واللذات، منها جنات الملك سليمان**[٥] **وفيها سواقي وينابيع**[٦]**، وكانت هذه الجنات مصونة لكي لا يدخلها الغريب**»[٧].

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٥٣، ١٥٤ .

(٢) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٥٤/١٥٥ .

(٣) سفر التكوين ٢: ١٠، ١٣: ١٠ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥ .

(٥) سفر الجامعة ٢: ٥ ونشيد الإنشاد ٤: ١٣ .

(٦) عدد ٢٤: ٦، وجامعة ٢: ٥ .

(٧) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

والملاحظة التي نسجلها هنا - كما سجلناها عند الحديث عن الجنة في تصور النصارى - هي أن العهد القديم عند الحديث عن الجنة لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذي يثاب فيه الصالحون يوم القيامة، واليهود يعترفون بذلك، ويعتبرون أن خلو التوراة من الحديث عن الثواب والعقاب لا يضرها [١].

وإذا كان العهد القديم لم يتحدث عن الثواب للصالحين في الآخرة فلدينا بعض النصوص في التلمود التي تتحدث عن جزاء الصالحين يوم القيامة.

فعن مساحة الجنة ورد في التلمود **«مساحة مصر أربعمائة ميل طولاً وعرضًا، وأرض الموريين تكبر مصر ستين مرة، والمعمورة تكبر أرض مصر ستين مرة، والجنة تكبر المعمورة ستين مرة»** [٢].

وعن نعيم الجنة جاء فيه **«الجنة ليست مثل هذه الأرض، لأنه لا أكل فيها ولا شرب ولا زواج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة ولا حسد بين النفوس، بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه تاج ويستمتع برونق السكينة»** [٣].

يقول سعديا الفيومي مؤكدًا النص السابق: «نقلوا لنا - أي الآباء - أن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور، وليس مع ذلك طعامٌ ولا شرابٌ ولا غشيان ولا تناسل ولا شرى ولا بيع ولا سائر الأمور التي في الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق عز وجل» [٤].

ويقول: **«دار الآخرة إذ لا غذاء فيها ولا تكسب، فلا معنى لرياض ولا لنبات ولا للأنهار ولا للجبال ولا للأودية ولا شيء من هذه»** [٥].

ولكن إذا كان علماء اليهود يقررون أن الجنة لا طعام فيها ولا شراب فقد كان

---

(١) انظر تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة ص ٤٠: ٤٢ .
(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ .
(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ .
(٤) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٣ .
(٥) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٣ .

اليهود على عهد رسول الله ﷺ يسألون عن طعام أهل الجنة وشرابهم ليروا مدى صدقه ﷺ.

روى الإمام مسلم بسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي» فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك» قال: أسمع بأذني. فنكث رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «سل» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر». قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين». قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون» قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال: صدقت [١].

ونحن نجدُ من خلال أسئلة اليهودي لرسول الله ﷺ أنه يسأل عن الجنة وطعام أهلها وشرابهم، وكلما أجاب الرسول ﷺ قال اليهودي صدقت؛ لأن إجابة الرسول كانت موافقة لما يعتقده، فهل كان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يعتقدون في النعيم الحسي في الجنة؟ من الجائز، ويكون حديث التلمود والأمانات والاعتقادات يصور اعتقاد فرق من اليهود غير الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ. هذا جائز أيضًا أو هو التبديل والتحريف الذي مارسه اليهود على اختلاف العصور للكتب التي أنزلها الله على أنبيائه؟

ونقرر هنا حقيقة هامة وهي أن حديث القرآن الكريم عن نعيم الجنة إنما هو

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٢ - طبعة عيسى البابي الحلبي.

خبر لا نسخ فيه ولا يحتمل إلا الصدق، وعليه فيكون نعيم الجنة الذي أخبر الله به موسى هو نفسه الذي أخبر به عيسى، وهو الذي صدق الرسول ﷺ فيه.

ولكن اليهود والنصارى حرَّفوا وبدَّلوا، وكان نعيم الجنة وعذاب النار مما حرفوا فيه، أوَلَمْ يقولوا ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

وقولهم هذا أكبر دليل على تحريفهم، ولذلك كذبهم الله وقال ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢].

وسوف نثبت من خلال التوراة والأناجيل وجود النعيم الحسي في الجنة، وذلك عند الحديث عن الجنة والنار بين الواقع الحسي والتأويل الروحاني عند النصارى واليهود.

ب- النار عند اليهود:

صور كُتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان مظلم تحت الأرض [(١)]، وله أبواب [(٢)]، وهو مكان مظلمٌ مخيف، سكانه يشعرون، ولكنهم في وجود بليد جامد [(٣)]، تذهب إليه نفوس الجميع [(٤)]، فيه القصاص [(٥)].

ومع أن التوراة قد خلت - كما سبق أن أوردنا- من الحديث عن الثواب والعقاب؛ فإن التلمود تحدث عن بعض أوصاف الجحيم الذي يعذب فيه العصاة.

فمن الحاخامات من يرى أن الجحيم له أبواب ثلاثة. باب في البرية، وباب في البحر، وباب في أورشليم، ويعلم التلمود أيضًا أن نار جهنم لا سلطان لها على

---

(١) سفر العدد ١٦: ٢٠ - ٣٣ .

(٢) أشعياء ٢٨: ١٠ .

(٣) صموئيل الثاني ٢٢: ٦، مزامير ٦: ٥ .

(٤) تكوين ٣٧: ٣٥ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

مذنبي بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء الحاخامات، ولكن بعض الحاخامات قالوا إن الإسرائيليين الذين اقترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم، ويمكثون فيها اثنى عشر شهرًا وسوف تحرق روحهم، وسوف تثير الرياح أجزاءهم تحت نعال الصالحين (١).

وورد في التلمود أيضًا «**يعلم الشيوخ أن إبراهيم يجلس عند بوابة جهنم ويمنع أي شخص مختون من الدخول بينما يسقط غير المختونين في قرار الجحيم**» (٢).

ونظرًا لاعتقاد اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه فإنهم لا يمكثون في النار أبدًا، وإنما هي فترة وجيزة يخرجون بعدها إلى الجنة، ورد في التلمود «**أن مصير الجميع من أبرار وأشرار إلى النعيم الخالد، فالأبرار ينعمون به بعد الوفاة مباشرة، والأشرار بعد استيفائهم الجزاء الذي حكم به عليهم؛ لأن القصاص الأبدي لم يُفرَض سوى على جرائم معدودة كالانتحار وتضليل الأمة**» (٣).

وهذا الرأي مع سابقه يصوره القرآن الكريم بقوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

يقول صاحب تفسير المنار عن الآية: «**قال «الأستاذ الإمام»**: والجملة عبارة عن استسهال العقوبة والاستخفاف بها، اتكالًا على اتصال نسبهم بالأنبياء، واعتمادًا على مجرد الانتساب إلى الدين، وكانوا يعتقدون أن ذلك كاف في نجاتهم، ومن استخف بوعيد الدين زاعمًا أنه خفيف في نفسه أو أنه غير واقع بمن يستحقه حتمًا تزول حرمة الأوامر والنواهي في نفسه، فيقدم على ارتكاب المحارم بلا مبالاة، ويتهاون في الطاعات المحتمة، وهكذا شأن الأمم عندما تفسق عن دينها وتنتهك حرماته، ظهر في اليهود ثم في النصارى (٤).

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٩ .
(٢) فضح التلمود تعاليم الحاخامية السرية ص ٩٨ بقلم الأب أي بي برانتيس إعداد زهدي الفاتح - الناشر دار النفائس ١٩٨٣ .
(٣) التلمود أصله تسلسله وآدابه ص ١٤٣ .
(٤) تفسير المنار جـ ٣ ص ٩، ٢٠، ٢٢ - الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

المبحث الثالث عشر

رؤية الله تعالى بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: رؤية الله في التصور الإسلامي

وقوعها:

إن أعظم درجات النعيم في الآخرة يتمثل في رؤية المؤمنين لربهم عز وجل. وقد ثبتت رؤية الله عز وجل بالقرآن والسنة والإجماع، ونتحدث عن الرؤية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

يقول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣] يقول ابن كثير: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢] من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٣] أي تراه عيانًا، كما روى البخاري في صحيحه «إنكم سترون ربكم عيانًا» وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها» [١].

ويقول ابن حزم: «**ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين، لا حرمنا الله ذلك بفضله**»[٢].

ويدلل الإمام البيجوري على وقوع الرؤية بقوله: «**فالرؤية جائزة عقلاً دنيا وأخرى، لأن الباري سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود يصح أن يرى، فالباري عز وجل يصح أن يرى**» [٣].

(١) ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠ .
(٢) الفصل لابن حزم جـ ٣ ص ٣ .
(٣) البيجوري على الجوهرة ص ١٣٩ .

ويحكم بوجوبها شرعًا في الآخرة بقوله: «وواجبة شرعًا في الآخرة، كما أطبق عليه أهل السنة بالكتاب والسنة والإجماع» (١).

وابن قيم الجوزية في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» ينقل الإجماع على رؤية الله تعالى في الآخرة يقول: «اتفق عليه الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون» (٢).

وتعتبر الرؤية «هي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم» (٣).

ويستدل ابن القيم بأدلة كثيرة من القرآن الكريم على وقوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين (٤) ومما يستدل به قوله عز وجل ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق :٣٥] قال الطبراني: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل، وقاله من التابعين زيدُ بن وهب وغيره(٥).

ويستدل أيضًا بقول الله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين :١٥].

ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه - كانوا أيضًا محجوبين عنه. وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكر الطبراني وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ

---

(١) نفسه.

(٢) حادي الأرواح ص ١٩٦ لابن قيم الجوزية - الناشر مكتبة المتنبي بالقاهرة.

(٣) نفسه.

(٤) انظر حادي الأرواح من ص ١٩٧ - ٢٠٤ .

(٥) نفسه ص ٢٠١ .

﴿لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين :١٥] فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة [١].

ومما يستدل به على وقوع الرؤية في الآخرة من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس :٢٦].

يقول ابن كثير: «قد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ» [٢].

ونكتفي بهذا القدر من الاستدلال بالقرآن الكريم على وقوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين.

الرؤية من السنة:

روى الإمام مسلم بسنده عن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره، أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فإنكم ترونه كذلك**» [٣].

يقول صاحب فتح المنعم نقلًا عن النووي: «تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيًا عن رسول الله ﷺ، وآيات

---

(١) حادي الأرواح ص ٢٠١ . (٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٤ .

(٣) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٩١ - طبعة عيسى البابي الحلبي ورواه الإمام أحمد. انظر ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٤.

القرآن الكريم فيها مشهورة» [١].

ونكتفي بما رواه الإمام مسلم؛ لكثرة الأحاديث الدالة على رؤية الله في الآخرة يقول ابن القيم: **«وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة»** [٢]، وإذا اكتفينا بهذا القدر من الاستدلال بالكتاب والسنة على وقوع الرؤية فإننا نجد أن رؤية الله في الآخرة قد احتلت مكانًا بارزًا في الفكر الإسلامي.

يقول الإمام المحاسبي عن فرحة المؤمنين برؤية ربهم في الآخرة: **«فتوهم بعقلك نور وجوههم، وما يداخلهم من السرور والفرح حين عاينوا مليكهم، وسمعوا كلام حبيبهم وأنيس قلوبهم وقرة أعينهم ورضا أفئدتهم وسكن أنفسهم، فرفعوا رؤوسهم من سجودهم، فنظروا إلى من لا يشبهه شيء بأبصارهم، فبلغوا ذلك غاية الكرامة ومنتهى الرضا والرفعة، فما ظنك بنظرهم إلى العزيز الجليل الذي لا تقع عليه الأوهام ولا تحيط به الأذهان ولا يكيفه الفكر ولا تحده الفطن»** [٣].

والإمام الغزالي يذكر في **«الإحياء»** أنه لا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى [٤]، وابن سينا من الفلاسفة يرى أن اللذة العظمى تكون في رؤية الله والنظر إليه. يقول: **«فالسعادة الأخروية عند تخلص النفس عن البدن وآثار الطبيعة وتجرده من كامل اللذات ناظرًا نظرًا عقليًا إلى ذات من له الملك الأعظم، والروحانيين الذين يعبدونه وإلى العالم الأعلى وإلى وصول كماله إليه، واللذة الجليلة عند ذلك، والشقاوة الأخروية عند ضد ذلك»** [٥].

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٣٨ .

(٢) حادي الأرواح ص ٢٠٥، وانظر ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠ .

(٣) التوهم ص ٤٨ .

(٤) إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٥، ٣٠ .

(٥) رسالة أضحوية في المعاد لابن سينا ص ١١٨ تحقيق د. سيمان دنيا - الناشر دار الفكر العربي ١٩٤٩ .

كيفية الرؤية:

يقول الإمام البيجوري شارح جوهرة التوحيد: «قوله «بالأبصار» ظاهره أن الرؤية بالحدق فقط وهو أحد أقواله ثلاثة:

ثانيها: أنها بجميع الوجوه لظاهر قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣].

ثالثها: أنها بكل جزء من أجزاء البدن [١].

ويستدرك قائلًا: «**ولكن بلا تكيف للمرئي بكيفيةٍ من كيفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحيز وغير ذلك**» [٢].

والذي ذكره الإمام البيجوري: «**هو ما عليه أهل السنة والجماعة**» يقول الإمام النووي عن كيفية الرؤية: «**مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، ولا يشترط فيها اتصال الأشعة، ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك**» [٣] ويقول: «**ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة، تعالى الله عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة**» [٤].

ومن أعظم ما قيل عن كيفية الرؤية في الآخرة ما ذكر الإمام الغزالي بقوله: «إن قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة، فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك، وأهل البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة، ومن يشته رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته، بل يقصد الرؤية ولذتها، سواء كان ذلك بالعين أو بغيرها، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له، والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة، فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين، هذا في

---

(١) البيجوري على الجوهرة ص ١٤٠ .
(٢) نفسه. (٣) فتح المنعم جـ ٢ ص ٤٣٨ .
(٤) نفسه.

حكم الجواز، فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع. والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يُخْلَقُ في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجريا على ظاهره» (١).

الرؤية عند المعتزلة:

مما تجدر الإشارة إليه أن المعتزلة تنكر الرؤية، ويستدلون على نفيها بالسمع والعقل. يقول القاضي عبد الجبار مستدلاً على نفيها بقول الله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام :١٠٣] «ووجه الدلالة في الآية هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قُرِنَ بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحًا راجعًا إلى ذاته، وما كان نفيه تمدحًا راجعًا إلى ذاته كان إثباته نقصًا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال» (٢).

ويفند ابن حزم حجة الاستدلال بقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام :١٠٣] بقوله: «هذا لا حجة لهم فيه، لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، وهو معنى الإحاطة وليس هذا المعنى في النظر والرؤية.

فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء :٦١-٦٢] ففرق الله عز وجل بين الإدراك والرؤية فرقًا جليًا؛ لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشعراء :٦١] وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم، فصحت منهم الرؤيا لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء :٦٢] فأخبر الله تعالى أنه رأى

---

(١) المحبة والشوق والأنس والرضا ص ٤٥ للإمام الغزالي - الطبعة الأولى ١٩٦١ طبعة البابي الحلبي.
(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٣ .

أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك أن ما نفاه الله تعالى عز وجل فهو غير الذي أثبته، فالإدراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣]» (١).

ويؤول المعتزلة قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣] لينفوا الرؤية يقول الزمخشري: «**الوجه عبارة عن الجملة، والناضرة من نضرة النعيم، «إلى ربها ناظرة»** تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة :١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة :٣٠] ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى :٥٣] ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران :٢٨] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة :٢٤٥] ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود :٨٨] كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد، في حشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم، لأنهم الآمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه، ولو كان منظورًا إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء، والمعنى أنهم يتوقعون النعمة والكرامة من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه» (٢).

ويرد على الزمخشري صاحب كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال بقوله: «ما أقصر لسانه عند هذه الآية! فكم له يدندن ويطيل في جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاه صنع في مصادمتها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول، لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى، وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، ولا يؤثر عليه غيره، ولا يعدل به عز وعلا

(١) الفصل جـ ٣ ص ٢، ٣، وانظر الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص ١٢-١٦ بدون ناشر ولا طبعة.
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري جـ ٤ ص ١٩٢ .

منظورًا سواه، وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء، ونحن نشاهدُ العاشق في الدنيا إذا أظفرتَه برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظة، ولم يؤثر عليه غيره، فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أخطأه النظر إلى وجهه الكريم» (١).

ويستدل المعتزلة بشيء آخر على نفي الرؤية وهو أن «إلى» في قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣] ليست حرفا، ولكنها اسم وهي مفرد الآلاء بمعنى النعم. يقول ابن حزم: اعترض بعض المعتزلة وهو «**أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي**» فقال: إن «**إلى**» ها هنا ليست حرف جر، لكنها اسم، وهي واحدة الآلاء وهي النعم، فهي في موضع مفعول، ومعناه نعم ربها منتظرة (٢).

ويرد ابن حزم على الجبائي بقوله: «**وهذا بعيدٌ**» أي تفسير إلى بمعنى النعمة لوجهين:

أحدهما: أن الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهي النعمة فإذا حصلت لها النعمة فبعيد أن تنتظر ما قد حصل لها وإنما تنتظر ما لم يقع بعد.

الثاني: تواتر الأخبار عن النبي ﷺ ببيان أن المراد بالنظر هو الرؤية، لا ما تأوله المتأولون (٣).

الأدلة العقلية عند المعتزلة على نفي الرؤية:

يستدل القاضي عبد الجبار على نفي الرؤية بالعقل بما يسمى عنده بدلالة المقابلة، وتحريرها: أن الواحد منا راء بحاسة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلًا أو حالًّا في المقابل أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله تعالى لا

---

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال بهامش الكشاف جـ ٤ ص ١٩٢ مؤلفه الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير السكندري.

(٢) الفصل جـ ٣ ص ٢، ٣ .

(٣) نفسه ص ٣، وانظر ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠ .

يجوز أن يكون مقابلًا أو حالًّا في المقابل أو في حكم المقابل» [١].

ويُرد على ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار بأنه **«لا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة، تعالى الله عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة»** [٢].

وهناك أدلة كثيرة ذكرها القاضي عبد الجبار على نفي الرؤية بطريق العقل رأينا من غير المفيد ذكرها [٣].

وبعد أن استعرضنا الأدلة على وقوع الرؤية في الآخرة من الكتاب والسنة وإجماع العلماء نرى أن ما ذهب إليه المعتزلة من عدم وقوع الرؤية، مستندين إلى التأويل للآيات الصريحة في جواز الرؤية، والأدلة العقلية التي استعرضنا بعضًا منها، نجد أنه لا يصح التعويل على ما استندوا إليه. ونعتقد ما اعتقده أهل السنة من جواز الرؤية في الآخرة. وأنها من أكبر النعم التي يُنْعِمُ الله بها على المؤمنين في الجنة.

ثانيًا: رؤية الله في التصور النصراني

يتفق النصارى على اختلاف فرقهم أن السعادة في السماء تكون برؤية الله في الآخرة، يقول الآب «ميشيل متيم» السعادة في السماء بمشاهدة وجه الله الكريم [٤]، فالله هو الجمال نفسه والتمتع بمشاهدته يملأ النفوس سعادة وهناء وغبطة، فتبقى مسحورة ببهائه الرائع، لا ترتوي مدى الأبدية من هذه الرؤية السعيدة، ويزيدها غبطة أنها متأكدة أن لا نهاية لسعادتها أبدًا، ويخبرنا القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس [٥] أنه لما اختطف إلى السماء سمع كلمات لا يجوز أن يتلفظ بها، وشاهد ما لم يقع عليه عين، وسمع ما لم تسمعه

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٨ .
(٢) فتح المنعم جـ ٢ ص ٤٣٨، وانظر البيجوري على الجوهرة ص ١٤٠ .
(٣) انظر شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٠ - ٢٦١ .
(٤) رسالة يوحنا الأولى ٣: ٢ . (٥) ٤: ١٢ .

أذن، وتمتع بما لم يخطر على قلب الإنسان [١].

ونفس المعنى يذكره الآب «روبير كليمان» اليسوعي بقوله: **«أعظم سعادة يتمتع بها الأبرار هي مشاهدة الله وجهًا لوجه، متحدين به في محبة أبدية»** [٢].

والاتحاد بالله والشركة معه هي السعادة الأساسية للنصارى في الآخرة، يقول **«دونالد ديماري»: «الشركة مع الله هي أساس السماء»** [٣]. ويذكر **«ميخائيل مينا»** أن نعيم الأبرار هو عبارة عن اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله، ورؤية الله هي الجزاء الأعظم الفائق كل خير، الذي يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه، بل هي سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره والتي إليه تتجه كل أشواق قلبه [٤].

بعد استعراض آراء النصارى نجدُ أن هناك اتفاقًا على رؤية الله في الآخرة. وسوف نناقش النصارى في الله الذي يرى، هل هو الله الذي خلق السماوات والأرض أو هو المسيح الذي يؤلهه النصارى؟ أو هو الثالوث المتمثل في الآب والابن والروح القدس؟.

يقول «ميخائيل مينا»: قد ارتأى علماء الكتاب في رؤية الله رأيين هما.

١ - **قال أصحاب الرأي الأول**: إن رؤية الله بصورة حسية وبهيئة تُرى بالعين الجسدية غير ممكنة؛ لأنه ليس من المرئيات كما قال **«بولس الرسول»: «الذي لم يره أحدٌ من الناس ولا يقدر أن يراه»** [٥].

وبناء على قول بولس فإن الله الخالق للسموات والأرض لا يرى، إذن فمن الذي يراه النصارى ويتمتعون برؤيته؟ إنه المسيح، ولكنهم يقولون إنه يتصل بذات الله. وهذا هو الشرك أو الحلول بعينه.

---

(١) شرح التعليم المسيحي جـ ١ ص ٢٣٣ .

(٢) إيماننا الحي ص ٥١٢ .

(٣) عقائد أساسية ومدخل في علم اللاهوت ص ١٧١ - ترجمة شاكر إبراهيم سعيد.

(٤) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٥) رسالة تسالونيكي الأولى ٦ : ١٦، انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٥٤، ١٦٥ .

يقول: «ميخائيل مينا» بعد أن استدل بقول بولس «على عدم استطاعته رؤية الله نفسه»: «ترى ذاته تعالى وصفاته، بربنا يسوع المسيح؛ لأنه هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وقد أعلن إرادته ورحمته وطول أناته وقداسته، وقدرته وسائر صفاته لمخلوقاته» (١).

ويصحبون عقيدتهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت إلى الآخرة ليتمكنوا من رؤية الله بعد أن أعلن بولس أن الله لا يمكن أن يُرى.

وكما أن النفس ترى الجسد الذي تتحرك وتفعل به؛ هكذا اللاهوت يرى بواسطة الناسوت(٢).

ويعتبرون أن الذي يرى «المسيح» فقد رأي الله- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - ويستدلون على ذلك بقول «يوحنا»: قال له «فيلبس»: يا سيد أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع: أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يا فيليبس؟ الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا؟» (٣).

وعلى هذا الأساس تُفسر العبارات التي وردت على لسان علماء النصارى مثل الاتصال بالله، والاتحاد بالله، والشركة مع الله - التي أوردناها في تصوير رأي النصارى في الرؤية-.

٢- الرأي الثاني: يذهب النصارى إلى «أن الصالحين وإن كانوا لا يستطيعون أن يروا الله بحسب طبيعتهم إلا أنه بعد كشف هذا الحجاب واستبدال الموت بعدم الموت والفساد بعدم الفساد. يستطيعون ذلك بكيفية استعدادية مفاضة في العقل المخلوق وثابتة فيه ترفعه فوق قوته الطبيعية، وتصيره قاهرًا بكمال الاقتدار على أن يعاين الحضرة الإلهية» (٤). وأصحاب هذه الرأي يفسرون قول «بولس»: «إن الله لا يراه أحد من الناس» (٥). بأن معناه عدم إدراكه، أي لا يستطيع كائنٌ من كان أن يدرك الطبيعة الإلهية،

---

(١) نفسه. (٢) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٥ .
(٣) إنجيل يوحنا ١٤: ٨، ٩، وانظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٥ .
(٤) نفسه. (٥) رسالة تسالونيكي الأولى ٦: ١٦ .

حيث إنها غير مدركة من أحد [١].

ولا نكاد نلمس تنزيه الله عند بعض علماء النصارى، حتى نفاجأ بهذا التجسيم في قول أحد علمائهم، يقول القديس «باسيليوس»: **«إن الصالحين يشاهدون الذات الإلهية وجهًا لوجه، ويعرفون الله بمقدار المعرفة التي يعرف تعالى بها ذاته بمرأى لاهوته»** [٢].

وهكذا نرى الاضطراب في الآراء حول الموضوع. وإن دل هذا الاضطراب على شيء فإنما يدل على التدخل البشري على وحي الله عز وجل المتمثل في الإنجيل الذي علمه الله لعيسى بن مريم عليه السلام.

ثالثًا: رؤية الله في التصور اليهودي

لا نجد تفصيلات كثيرة عن رؤية الله في الآخرة [٣] عند اليهود في المصادر التي رجعنا إليها، فهناك بعض النصوص وردت في العهد القديم عن رؤية الله في الآخرة. ورد في سفر أيوب: **«أما أنا فقد علمت أن وليي حي، والآخر على الأرض يقوم، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسي، وعيناي تنظران، وليس آخر إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي»** [٤].

جاء في تفسير هذا النص: **«اشتقاق إلى مصالح بينه وبين الله. «بدون جسدي»** أي بعد موته فيكون جسدي تلاشى **«أرى الله»** وذلك بعد موته وبدون جسده، ولا شك في أن معرفة أيوب بقيامة الجسد. ورؤية الله في السماء كمعرفة غيره من قديسي العهد القديم» [٥].

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٥ .

(٢) نفسه.

(٣) لا نناقش اليهود في تجسيمهم وتشبيههم، لأنهم يزعمون أن الله يرى في الدنيا، ويصارع يعقوب ويصارع الحوت أيضًا تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(٤) سفر أيوب ١٩ - ٢٥: ٢٦.

(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢١١ .

والنص السابق وشرحه صريحان في رؤية الله في الآخرة وأنها كانت معلومة عند الأنبياء.

ورد في المزمور الثاني والأربعين «عطشت نفسي إلى الإله الحي، متى أجيء وأتراءى قدام الله» (١). ونص المزمور بين أن صاحبه ينتظر رؤية الله.

وسعديا الفيومي يذكر أن «دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور، وليس مع ذلك لا طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل، ولا بيع، ولا سائر الأمور التي في الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق جل وعز» (٢).

* * *

---

(١) المزامير ٤٢ - ٣.

(٢) الأمانات والاعتقادات ٢٦٣ .

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

راعينا في ترتيب المصادر والمراجع الترتيب الأبجدي، وقسمنا المصادر والمراجع إلى مصادر إسلامية وعربية وبدأنا بها ثم بعد ذلك المصادر التي تبحث في الفلسفات والديانات الأخرى، بصرف النظر عن المؤلف.

القرآن الكريم

كتب السنة:

* **البخاري**: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ت ٢٥٦هـ.

١- صحيح البخاري «**بحاشية السندي**» مكتبة زهران - القاهرة.

* **الترمذي**: محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩هـ.

٢- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي. تحقيق أحمد شاكر - محمد فؤاد عبد الباقي - إبراهيم محمد عطوة - دار الفكر بيروت.

* **ابن حنبل**: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١هـ.

٣- مسند أحمد بن حنبل - دار الفكر العربي - القاهرة.

* **عبد الباقي**: الأستاذ. محمد فؤاد عبد الباقي.

٤- اللؤلؤ والمرجان: فيما اتفق عليه الشيخان. وزارة الأوقاف بالكويت ١٩٧٧.

* **ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي القزويني ت ٢٧٥هـ.

٥- سنن ابن ماجه تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر بيروت.

* **مسلم**: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ.

٦- صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. واعتمدنا على النسخة غير المحققة لنفس الناشر.

* **النسائي:** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن دينار النسائي ت ٣٠٢هـ.

٧- سنن النسائي دار الفكر بيروت - الطبعة الأولى.

المصادر الإسلامية العربية

* **الأشعري:** الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت ٣٣٠هـ.

٨- الإبانة عن أصول الديانة - المطبعة السلفية- الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ.

٩- اللمع في الرد على أهل الأهواء والبدع. تحقيق الدكتور حمودة غرابة نشر مكتبة الخانجي ١٩٥٥م.

١٠- مقالات الإسلاميين. تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية ١٩٦٩.

* **الآلوسي:** أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ت ١٢٧٠هـ.

١١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - دار الطبعة المنيرية الطبعة الثانية.

* **أبو السعود:**

١٢- تفسير العلامة أبي السعود. إدارة الطباعة الجمعية العلمية الأزهرية الملاوية المصرية ١٣٤٨ هـ ١٩٢٨م.

* **الإيجي:** العلامة عضد الملة والدين. عبد الرحمن بن أحمد الإيجي.

١٣- شرح السيد على المواقف. دار الطباعة العامرة ١٢٥٧هـ.

* **البغدادي:**

أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ت ٤٢٩ هـ.

١٤- أصول الدين - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨١.

١٥- الفرق بين الفرق - دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

* **البغوي:** الإمام أبو محمد الحسين بن سعود البغوي الفراء.

١٦- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل - تحقيق خالد عبد الرحمن العك - مروان سوار - دار المعرفة. بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.

* **البيجوي:** الإمام إبراهيم البيجوري.

١٧- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد. طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية.

* **الدكتور:** بركات دويدار.

١٨- الوحدانية: الناشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م.

* **محمد البهي:** الدكتور محمد البهي.

١٩- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. الطبعة الثامنة. مكتبة وهبة.

* **ابن تيمية:** الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت ٧٢٨هـ.

٢٠- مجموع الفتاوى ابن تيمية - الناشر مكتبة ابن تيمية الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٢١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. الناشر مكتبة المدني.

٢٢- درء تعارض العقل مع النقل. تحقيق الدكتور رشاد سالم - دار الكتب القاهرة ١٩٧١.

* **التفتازاني:** العلامة سعد الدين سعود بن عمر التفتازاني.

٢٣- مقاصد الطالبين في علم أصول الدين - دار الطباعة العامرة بدار الخلافة ١٢٧٧هـ.

* **الجرجاني:** السيد الجرجاني.

٢٤- التعريفات الناشر. مكتبة البابي الحلبي ١٩٣٨ م.

* **جودة المهدي:** الدكتور جودة أبو اليزيد المهدي.

٢٥- قصد السبيل في التفسير الموضوعي لآي التنزيل - مطبعة الأنوار المحمدية الطبعة الأولى.

* **الجويني:** إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ابن عبد الله الجويني ت ٤٧٨هـ.

٢٦- الإرشاد إلى قواعد الأدلة. تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى - الناشر مكتبة الخانجي ١٩٥٠م.

٢٧- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة - تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - الطبعة الأولى ١٩٦٥.

* **ابن حجر:** الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ.

٢٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري- دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

* **ابن حزم:** الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ت ٤٦٥هـ.

٢٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل - الناشر مكتبة السلام العالمية.

* **خان:** الشيخ صديق حسن خان.

٣٠- يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار - تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - دار التراث الإسلامي بالأزهر ١٩٨١ م.

* **الخزرجي:** أبو عبيدة الخزرجي ت ٥٨٢هـ

٣١- بين الإسلام والمسيحية - تحقيق الدكتور: محمد عبد الغني شامة - الطبعة الثانية مكتبة وهبة - القاهرة.

* **الخياط:** أبو الحسين الخياط المعتزلي ت ٢٣١هـ.

٣٢- الانتصار - نشرة دنيبرج- المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٧- بيروت

* **دراز:** الدكتور محمد عبد الله دراز.

٣٣- دستور الأخلاق في القرآن - ترجمة الدكتور. عبد الصبور شاهين - الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٣.

٣٤- الدين - مطبعة السعادة ١٩٦٩.

٣٥- مدخل إلى القرآن الكريم - الناشر دار القلم. الكويت.

* **الرازي:** الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي.

٣٦- الأربعين في أصول الدين - الطبعة الأولى بمجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٣هـ.

٣٧- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين - مراجعة طه عبد الرءوف سعد الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٣٨- مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير - الناشر عبد الرحمن محمد - الطبعة الأولى ١٩٣٨م.

* **رحمت الله الهندي ت ١٣٠٨هـ.**

٣٩- إظهار الحق - تحقيق الدكتور. أحمد حجازي السقا - الناشر دار التراث العربي.

٤٠- رسالة التنبيهات في إثبات البعث والحشر ملحقة بإظهار الحق تحقيق محمد كمال فراج - توزيع الأهرام ١٩٧٨م.

* **ابن رشد العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ت ٥٩٥هـ.**

٤١- تهافت التهافت - تحقيق الدكتور. سليمان دنيا - الناشر دار المعارف الطبعة الثانية.

٤٢- مناهج الأدلة في عقائد الملة - تحقيق الدكتور. محمود قاسم - الطبعة

الثانية ١٩٦٤ – الناشر الأنجلو المصرية.

* **الدكتور:** رفقي زاهر.

٤٣– قصة الأديان – الطبعة الأولى ١٩٧٩.

٤٤– قضية التكفير عند الغزالي – الناشر مكتبة الأزهر ١٩٧٩.

* **الألمعي:** الدكتور. زاهر عواض الألمعي.

٤٥– مناهج الجدل في القرآن – مطاع الفرزدق بالسعودية.

* **الزمخشري:**

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ.

٤٦– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

* **أبو زهرة:** الشيخ محمد أبو زهرة.

٤٧– القرآن المعجزة الكبرى – الناشر دار الفكر العربي.

* **السنوسي:** أبو عبد الله السنوسي.

٤٨– شرح السنوسية الكبرى – تحقيق الدكتور عبد الفتاح بركة – الناشر دار القلم الكويت – الطبعة الأولى ١٩٨٢.

* **سيد قطب:** الأستاذ سيد قطب.

٤٩– مشاهد القيامة في القرآن. الناشر دار المعارف الطبعة السادسة ١٩٨٠ م.

٥٠– في ظلال القرآن – دار الشروق – الطبعة الثامنة والعاشرة.

* **ابن سينا:** أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ت ٤٢٨ هـ.

٥١– رسالة أضحوية في المعاد. تحقيق الدكتور: سليمان دنيا – دار الفكر العربي ١٩٤٩.

٥٢– النجاة – طبعة محيي الدين الكردي – الطبعة الثانية ١٩٣٨.

* **الشامي:** الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي.

٥٣– سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. تحقيق الدكتور مصطفى

عبد الواحد الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٤.

* **الشهرستاني:** الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٩ هـ.

٥٤- الملل والنحل. بهامش الفصل لابن حزم - مكتبة السلام العالمية.

* **الشيرازي:** صدر الدين الشيرازي.

٥٥- حقائق البعث والنشور. تحقيق عبد القادر عطا. دار التراث العربي - الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

* **الأصفهاني:** أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني ت ٧٤٩ هـ.

٥٦- مطالع الأنظار - بدون تاريخ ولا ناشر.

* **الطبري:** الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

٥٧- جامع البيان في تفسير القرآن - طبعة دار المعرفة - بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٠ - وطبعة دار المعارف. تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر.

* **الطوفي:** نجم الدين الطوفي البغدادي ت ٧١٦ هـ.

٥٨- الانتصارات الإسلامية. تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - مطبعة دار البيان - مصر.

* **عبد الجبار:** قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل ابن عبد الله الهمذاني الأسد أبادي ت ٤١٥ هـ.

٥٩- التكليف من المغني الجزء الحادي عشر - الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٥.

٦٠- تنزيه القرآن عن المطاعن - بدون تاريخ ولا ناشر.

٦١- شرح الأصول الخمسة. تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم. تحقيق الدكتور. عبد الكريم عثمان - نشر مكتبة وهبة.

* **عبد الحليم محمود:** الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود.

٦٢- التفكير الفلسفي في الإسلام - دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ م.

* **عبد الجليل شلبي:** الدكتور عبد الجليل عبده شلبي.

٦٣- صور استشراقية - نشر مجمع البحوث الإسلامية.

* **الدكتور: عبد الغني عبود.**

٦٤- اليوم الآخر والحياة المعاصرة - دار الفكر العربي ١٩٧٨ م.

* **الأستاذ: عبد الكريم الخطيب.**

٦٥- الله والإنسان - الناشر دار الفكر العربي.

* **ابن العز:** قاضي القضاة العلامة صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي ت ٧٩٢ هـ.

٦٦- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠هـ.

* **ابن عساكر:** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي.

٦٧- تهذيب تاريخ دمشق الكبير المعروف بابن عساكر - الناشر دار المسيرة بيروت ١٩٧٩.

* **عوض الله حجازي:** فضيلة الدكتور. عوض الله حجازي.

٦٨- مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام. الناشر الأنوار المحمدية - الطبعة الثانية.

* **غرابة:** فضيلة الدكتور حمودة غرابة.

٦٩- ابن سينا بين الدين والفلسفة - الناشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٢ م.

* **الغزالي:** الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ.

٧٠- إحياء علوم الدين - طبعة دار الشعب.

٧١- الأربعين في أصول الدين - نشر دار الآفاق بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٢ م.

٧٢- الاقتصاد في الاعتقاد - الناشر مكتبة الجندي.

٧٣- تهافت الفلاسفة - تحقيق الدكتور سليمان دنيا الطبعة السادسة دار المعارف.

٧٤- الاقتصاد في الاعتقاد - الناشر مكتبة الجندي.

٧٥- سر العالمين. الناشر مكتبة الجندي ١٩٦٨.

٧٦- المحبة والشوق والأنس والرضا الطبعة الأولى ١٩٦١ عيسى الحلبي.

٧٧- المنقذ من الضلال - تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود. الناشر دار الكتب الحديثة - الطبعة الخامسة ١٩٦٥.

٧٨- ميزان العمل: الناشر مكتبة الجندي.

٧٩- نفخ الروح والتسوية - تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - الناشر مكتبة المدينة المنورة ١٩٧٩ - مصر.

* **ابن قدامة:** أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة.

٨٠- المغني - الناشر - مكتبة الكليات الأزهرية.

* **القرافي:** الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي.

٨١- الأجوبة الفاخرة بهامش كتاب الفارق بين الخالق والمخلوق - مطبعة الموسوعات - مصر.

* **القرطبي:** الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج الأنصاري ت ٧٦١هـ.

٨٢- الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام - تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا الناشر دار التراث العربي.

٨٣- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

* **ابن قيم الجوزية:** أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي ت ٧٥١ هـ.

٨٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - مكتبة المتنبي القاهرة.

٨٥- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - الناشر المكتبة القيمة الطبعة الثانية تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا.

* **ابن كثير:** الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ.

٨٦- تفسير القرآن العظيم - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي.

٨٧- النهاية في الفتن والملاحم. تحقيق محمد أحمد عبد العزيز - دار التراث الإسلامي بالأزهر.

* **الكندي:** أبو يوسف بن إسحاق الكندي ت ٢٦٠ هـ.

٨٨- رسائل الكندي الفلسفية: تحقيق الدكتور عبد الهادي أبو ريدة - دار الفكر العربي ١٩٥٠.

* **المباركفوري:** الإمام الحافظ أبو العلي محمد عبد الرحمن المباركفوري ت ١٣٥٣ هـ

٨٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - الناشر محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧.

* **المحاسبي:** أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي.

٩٠- التوهم - بدون ناشر ولا تاريخ.

* **رشيد رضا:** الشيخ محمد رشيد رضا.

٩١- تفسير المنار - الناشر الهيئة العربية العامة للكتاب ١٩٧٣.

٩٢- الوحي المحمدي - الناشر مكتبة القاهرة - الطبعة السادسة ١٩٦٠.

* **محمد الغزالي:**

٩٣- ركائز الإيمان - الناشر دار الأنصار - القاهرة.

* **محمد قطب:** الأستاذ محمد قطب.

٩٤- دراسات قرآنية - دار الشروق.

* **ابن مسكويه:**

٩٥- تهذيب الأخلاق - منشورات - دار مكتبة الحياة - بيروت الطبعة الثانية.

***موسى شاهين:** فضيلة الدكتور/ موسى شاهين لاشين.

٩٦- فتح المنعم بشرح صحيح مسلم. مطبعة دار التراث العربي - الطبعة الثانية.

* **ناصر الدين الإسكندري:** الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن منير الإسكندري.

٩٧- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - هامش الكشاف للزمخشري طبعة عيسى البابي ١٩٧٢.

* **النسفي:** أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

٩٨- تفسير النسفي - الناشر عيسى البابي الحلبي.

* **النووي:** أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦ هـ.

٩٩- صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة العربية ومكتبتها - القاهرة.

* **النيسابوري:** نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري.

١٠٠- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان بهامش تفسير الطبري - دار المعرفة- بيروت لبنان.

* **ابن الهمام:** كمال الدين بن الهمام.

١٠١- المسايرة في علم الكلام. المكتبة المحمودية التجارية - الطبعة الأولى.

* **وحيد الدين:** الأستاذ وحيد الدين خان

١٠٢- الإسلام يتحدى - ترجمة ظفر الإسلام خان مكتبة القرآن.

* **ابن الوزير:**
العلامة محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى ت ٨٤٠ هـ.
١٠٣- إيثار الحق على الخلق. الناشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣.
* **يحيى هاشم:** فضيلة الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل.
١٠٤- الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية. الناشر دار الفكر العربي ١٩٧٨.
١٠٥- فلسفة الإنذار - مطبعة عبيد حدائق حلوان - الطبعة الأولى ١٩٨٤.
١٠٦- فلسفة التسليم - مكتبة بالإمارات عام ١٩٨٢.

المصادر التي تبحث في الديانات والفلسفات بصرف النظر عن المؤلف:
١٠٧- التوراة السامرية تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا. الناشر دار الأنصار.
١٠٨- السنن القويم في تفسير العهد القديم - مجموعة من اللاهوتيين صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣.
١٠٩- إنجيل برنابا - ترجمة الدكتور/ خليل سعادة الناشر مكتبة محمد صبيح ١٩٥٨.
١١٠- العهد القديم.
١١١- العهد الجديد.
* **إبراهيم لوقا:** القس إبراهيم لوقا.
١١٢- المسيحية في الإسلام. الناشر دار النشر القبطية - الطبعة الثانية.
* **أحمد أمين:** الأستاذ أحمد أمين.
١١٣- قصة الفلسفة اليونانية. بالاشتراك مع الدكتور زكي نجيب محمود

الطبعة السابعة - الناشر لجنة التأليف والترجمة.

* **أحمد شلبي:** الدكتور أحمد شلبي.

١١٤- اليهودية. الناشر النهضة المصرية ١٩٧٣ - الطبعة الثالثة.

١١٥- أديان الهند الكبرى. دار النهضة المصرية.

* **أحمد عبد الغفور:** الشيخ أحمد عبد الغفور.

١١٦- الديانات والعقائد في مختلف العصور - الطبعة الأولى - مكة المكرمة.

* **أحمد عبد الوهاب:** المهندس/ أحمد عبد الوهاب.

١١٧- المسيح في مصادر العقائد المسيحية - الناشر مكتبة وهبة.

* **المحرقي:** الأبيل إسحاق المحرقي.

١١٨- دينونة البشر العامة - مطبعة فيكتور كبرلس. القاهرة ١٩٨٤.

* **أدولف إرمان:**

١١٩- ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها - ترجمة الدكتور عبد المنعم وآخرون الناشر مصطفى البابي الحلبي.

* **إميل بريهية:**

١٢٠- الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري. ترجمة الدكتور/ محمد يوسف موسى. الناشر مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤.

* **أنطون ذكرى:**

١٢١- الأدب والدين عند قدماء المصريين - الناشر مطبعة المعارف ومكتبتها ١٩٢٣.

* **آي بي براناتيس:**

١٢٢- فضح التلمود - تعاليم الحاخاميين السرية دار النفائس بيروت ١٩٨٣.

* **بنيامين بنكرتين:**

١٢٣- تفسير إنجيل متى الطبعة الثالثة ١٩٨١.

* **البيروني:** أبو الريحان بن أحمد البيروني.

١٢٤- تحقيق ما للهند من مقولة. الناشر عالم الكتاب الطبعة الثانية ١٩٨٣.

* **جرهاردوس فوس:**

١٢٥- عمل اللاهوت الكتابي ترجمة الدكتور عزت زكي. الناشر دار الثقافة ١٩٨٢ حبيب سعد.

١٢٦- أديان العالم - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

* **الدكتور: عبد المنعم الحنفي.**

١٢٧- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. دار المسيرة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠.

١٢٨- عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت. الدكتور/ دونالد ديماري ترجمة شاكر إبراهيم - الناشر مكتبة النيل المسيحية.

١٢٩- تراث العالم القديم: ترجمة زكي سوس. الناشر دار الكرنك ١٩٦٥.

* **الدكتور: رؤوف شلبي:** فضيلة الدكتور متولي يوسف شلبي.

١٣٠- الأديان القديمة في الشرق. دار الشروق - الطبعة الثانية ١٩٨٣.

★ **رشاد فكري:**

١٣١- تفسير حزقيال - الناشر مكتبة كنيسة الأخوة.

* **الدكتور: رفقي زاهر.**

١٣٢- أعلام الفلسفة الحديثة - الناشر النهضة المصرية - الطبعة الأولى ١٩٧٩.

* **روبير كليمان اليسوعي:**

١٣٣- إيماننا الحي. الناشر دارا لمعرفة ١٩٦١.

* **زكي شنودة:**

١٣٤- تاريخ الأقباط، الناشر جمعية التوفيق القبطية، الطبعة الأولى ١٩٦٢.

* **الشيخ: محمد أبو زهرة.**

١٣٥- الديانات القديمة. الناشر دار الفكر العربي.

* **سعديا الفيومي:**

١٣٦- الأمانات والاعتقادات - طبعة لندن ١٨٨٢.

* **الدكتور: كامل سعفان.**

١٣٧- اليهود تاريخًا وعقيدة - نشر دار الهلال عدد أبريل ١٩٨١.

* **الأستاذ: سليمان مظهر.**

١٣٨- قصة الديانات - دار الوطن العربي.

* **الدكتور: أحمد سوسة.**

١٣٩- مفصل العرب واليهود في التاريخ. طبع دار الحرية نشر دار الرشيد العراق ١٩٨١.

* **القمص: سيد أروس عبد المسيح.**

١٤٠- دراسات في علم الإسخاطولجيا - الناشر الكلية الإكليريكية بشبين الكوم.

* **شارل جيبير:**

١٤١- المسيحية نشأتها وتطورها - ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود الناشر دار المعارف.

* **الدكتور: شمعون يوسف مويال.**

١٤٢- التلمود أصله وتسلسله وآدابه. مطبعة العرب ١٩٠٩م.

* **الأستاذ: شوقي عبد الناصر.**

١٤٣- بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود.

* **الدكتور: حسن ظاظا:**

١٤٤- الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه - الناشر مكتبة سعد رأفت بالإسكندرية ١٩٧٥.

*** الأستاذ: ظفر الإسلام خان.**

١٤٥- التلمود تاريخه وتعاليمه - دار النفائس بيروت.

*** عبد الله الترجمان الأندلسي.**

١٤٦- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب - تحقيق الدكتور محمد علي حماية دار الثقافة للطباعة والنشر.

*** العقاد: الأستاذ/ عباس محمود العقاد:**

١٤٧- الله - كتاب في نشأة العقيدة الإلهية دار المعارف ١٩٦٩. الطبعة السادسة.

١٤٨- عبقرية المسيح - كتاب اليوم ١٩٥٣.

*** الدكتور: عمارة نجيب.**

١٤٩- الإنسان في ظل الأديان - المكتبة التوفيقية - الطبعة الأولى ١٩٧٦.

*** القمص: عوض سمعان.**

١٥٠- الكهنوت - الناشر دار الثقافة - الطبعة الثانية.

*** غلاب: الدكتور محمد غلاب.**

١٥١- الفلسفة الشرقية - بدون تاريخ ولا نشر.

*** القس: فايز فارس.**

١٥٢- حقائق أساسية في الإيمان المسيحي - الناشر دار الثقافة - الطبعة الأولى.

*** الدكتور: أبو الغيط الفرت.**

١٥٣- بولس والمسيحية - دار الطباعة المحمدية - الطبعة الأولى.

*** القس الدكتور: فهيم عزيز.**

١٥٤- الفكر اللاهوتي في كتابات بولس. الناشر دار الثقافة.

*** كارل وليمز الكبير:**

١٥٥- الأمور المتيقنة عندنا - الناشر المجمع العام لكنائس الله.

* **كلايد تارنر.**

١٥٦- هذه عقائدنا دار المنشورات المعمدانية - بيروت ١٩٧٢.

* **ابن كمونة: سعيد بن منصور بن كمونة اليهودي.**

١٥٧- تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث - الناشر دار الأنصار.

* **كوستلي بندلي:**

١٥٨- مدخل إلى العقيدة المسيحية - منشورات النور بيروت.

* **مراد فرج:**

١٥٩- شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية. مطبعة دار الرغائب ١٩١٧.

* **موريس بوكاي:**

١٦٠- دراسة الكتب المقدسة - الناشر دار المعارف.

* **القمص: ميخائيل مينا.**

١٦١- علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية - مطبعة رمسيس ١٩٧٤.

١٦٢- علم اللاهوت النظامي مجموعة من اللاهوتيين الناشر - دار الثقافة.

* **ميشيل ميتيم:**

١٦٣- شرح التعليم المسيحي مطبعة الإحسان حلب ١٩٥٢.

* **ناشد حنا:**

١٦٤- أشعياء مفصلًا آية آية.

* **النشار: الدكتور علي سامي النشار:**

١٦٥- الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية. بالاشتراك مع الأستاذ عباس الشربيني - الناشر منشأة دار المعارف بالإسكندرية.

* **وافي: الدكتور علي عبد الواحد وافي:**

١٦٦- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام الناشر دار

نهضة مصر ١٩٧١.

*** وول ديورانت:**

١٦٧- قصة الحضارة - الجزء الثاني من المجلد الأول ترجمة محمد بدران. الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

*** وليم إدى:**

١٦٨- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - الناشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣.

*** الأنبا يؤانس. أسقف الغربية.**

١٦٩- السماء - بدون ناشر.

*** الأستاذ: يوسف كرم.**

١٧٠- تاريخ الفلسفة اليونانية. الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر.

المعاجم:

*** جبران مسعود:**

١٧١- الرائد. الناشر - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٥.

*** الدكتور: جميل صليبا.**

١٧٢- المعجم الفلسفي - دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢.

*** الرازي: الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.**

١٧٣- مختار الصحاح. المطبعة الأميرية ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م.

*** الفيروزآبادي: العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.**

١٧٤- القاموس المحيط - طبع المطبعة الميمنية بمصر.

١٧٥- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية. القاهرة ١٩٧٢.

١٧٦- قاموس الكتاب المقدس - تأليف مجموعة من اللاهوتيين - الطبعة السادسة بيروت ١٩٨١.

١٧٧- دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة العربية - الطبعة الثاني ١٩٦٩.

المخطوطات:

الباحث: أحمد عجيبة.

١٧٨- الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه - مكتبة كلية أصول الدين بطنطا.

الباحث: فتحي محمد أحمد الزغبي.

١٧٩- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام - مكتبة كلية أصول الدين بطنطا.

الحوليات

١٨٠- حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية - العدد الخامس ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م بحث بعنوان البعث عند الفلاسفة الإسلاميين للدكتور/ محمد حسن خليل أبو حطب.

* * *

تعريف بالمؤلف

أد/ فرج الله عبد الباري أبو عطا الله

ولد في دقادوس – ميت غمر – دقهلية في ١٣/٥/١٩٥٩م

– تلقى تعليمه في الأزهر الشريف منذ السنة الأولى الابتدائية حتى حصل على الليسانس في أصول الدين والدعوة الإسلامية ١٩٨١م بمرتبة الشرف.

– عين معيدًا في قسم مقارنة الأديان سنة ١٩٨١ م.

– حصل على درجة الماجيستير في العقيدة والفلسفة بتقدير ممتاز عام ١٩٨٧ م في موضوع اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

– صدر قرار بتعيينه مدرسًا مساعدًا في قسم العقيدة والفلسفة عام ١٩٨٧م.

– حصل على العالمية الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٩٠م في موضوع موقف القرآن الكريم من الفكر المادي.

– صدر قرار تعيينه مدرسًا بقسم العقيدة والفلسفة ٣/١٠/١٩٩٠م.

– رقى إلى درجة أستاذ مساعد في قسم العقيدة والفلسفة في ٤/١/١٩٩٥م.

– أعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بكلية أصول الدين بالرياض قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة اعتبارًا من ٢٦/١٠/١٩٩٣ إلى ٢١/٨/١٩٩٩.

– اختير في فترة إعارته ضمن أحد عشرة أساتذة حققوا سبق الإنجاز والجدية في الإرشاد الطلابي والبحث العلمي في كلية أصول الدين بالرياض.

– رُقي إلى درجة أستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في ٨/١١/٢٠٠٠م.

- سافر إلى كل من تركيا وسوريا لزيادة دور الكتب فيها وتصوير بعض المخطوطات، وزيارة كلية الإلهيات بمرمرة بإستانبول.

- يقوم بخطبة الجمعة في مساجد وزارة الأوقاف والجمعيات الأهلية منذ سنة ١٩٧٩م.

المؤلفات العلمية: -

١- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام - طبعة ثانية - دار الوفاء.

٢- موقف القرآن الكريم من الفكر المادي - رسالة دكتوراه (مخطوطة).

٣- النزعة الإلحادية في النظريات العلمية - بحث نشر في حولية أصول الدين عام ١٩٩١م.

٤- الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية نشأته وتطوره طبعة ثانية عام ٢٠٠٠م.

٥- التصور اليهودي للمسيح وعلاقته بالتقارب المسيحي اليهودي المعاصر طبعة ثانية عام ٢٠٠١م.

٦- نقض دعوى عالمية النصرانية مترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٩٧م حولية أصول الدين بطنطا.

٧- عالم الملائكة - دراسة عقدية كتاب عام ١٩٩٨م.

٨- العلمانية النسبة الدلالة - الدوافع بحث عام ١٩٩٩م حولية أصول الدين.

٩- العقيدة الدينية ونشأتها بين التوحيد والتطور كتاب عام ٢٠٠٠م.

١٠- العقائد الدينية عند الأمم الوثنية كتاب عام ٢٠٠٠م.

١١- الديمقراطية رؤية إسلامية بحث - مقدم إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي في عمان - الأردن عام ١٩٩٨ م.

١٢- بحث عن المادية منشور في موسوعة المذاهب المعاصرة دار إشبيلية

الرياض عام ١٩٩٧م.

١٣- الاستنساخ بحث مقدم إلى اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر عام ٢٠٠٠ م.

* * *


الفهرس

فهرس الموضوعات

* * *